

لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة

<https://palstinebooks.blogspot.com>

دراسات في البلاغة العربية

مِنْ بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ

المعاني · البيان · البديع

١

تأليف

دكتور نعمان شعبان علوان

أستاذ البلاغة المشارك
ورئيس قسم اللغة العربية
الجامعة الإسلامية - غزة

دكتور محمد شعبان علوان

أستاذ البلاغة المشارك
عميد المكتبات
الجامعة الإسلامية - غزة

الطبعة الثانية
فريدة ومنقحة

الدار العربية للنشر والتوزيع



دراسات فى البلاغة العربية

من بلاغة القرآن

المعانى - البيان - البديع

تأليف

دكتور / نعمان شعبان علوان

أستاذ البلاغة المشارك
رئيس قسم اللغة العربية
الجامعة الإسلامية - غزة

دكتور / محمد شعبان علوان

أستاذ البلاغة المشارك
عميد المكتبات
الجامعة الإسلامية - غزة

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

١٩٩٨

مقدمة الناشر

يتزايد الاهتمام باللغة العربية فى بلادنا يوما بعد يوم . ولا شك أنه فى الغد القريب ستستعيد اللغة العربية هيبتها التى طالما أمتهنت وأذلت من أبنائها وغير أبنائها . ولا ريب فى أن إمتهان لغة أية أمة من الأمم هو إذلال ثقافى فكرى للأمة نفسها ، الأمر الذى يتطلب تضامر جهود أبناء الأمة رجالا ونساءً ، طلابا وطالبات ، علماء ومثقفين مفكرين وسياسين فى سبيل جعل لغة العروبة تحتل مكانتها اللانقطة التى اعترف المجتمع الدولى بها لغة عمل فى منظمة الأمم المتحدة ومؤسساتها فى أنحاء العالم ، لأنها لغة أمة ذات حضارة عريقة استوعبت - فيما مضى - علوم الأمم الأخرى ، وصهرتها فى بوتقتها اللغوية والفكرية ، فكانت لغة العلوم والأدب ، ولغة الفكر والكتابة والمخاطبة .

إن الفضل فى التقدم العلمى الذى تنعم به أوروبا اليوم يرجع فى واقعه إلى الصحوة العلمية فى الترجمة التى عاشتها فى القرون الوسطى . فقد كان المرجع الوحيد للعلوم الطبية والعلمية والاجتماعية هو الكتب المترجمة عن اللغة العربية لابن سينا وابن الهيثم والفارابى وابن خلدون وغيرهم من عمالقة العرب ، ولم ينكر الأوروبيون ذلك ، بل يسجل تاريخهم ما ترجموه عن حضارة الفراعنة والعرب والإغريق ، وهذا يشهد بأن اللغة العربية كانت مطوعة للعلم والتدريس والتأليف ، وإنها قادرة على التعبير عن متطلبات الحياة وما يستجد من علوم وإن غيرها ليس بأدق منها ، ولا أقدر على التعبير .

الخلافة العثمانية

ولكن ما أصاب الأمة من مصائب وجمود بدأ مع عصر الاستعمار التركى ، ثم البريطانى والفرنسى ، عاق اللغة من النمو والتطور ، وأبعدها عن العلم والحضارة ولكن عندما أحس العرب بأن حياتهم لا بد من أن تتغير ، وأن جمودهم لا بد أن تدب فيه الحياة ، اندفع الرواد من اللغويين والأدباء ، والعلماء فى إنماء اللغة وتطويرها ، حتى أن مدرسة قصر العينى فى القاهرة ، والجامعة الأمريكية فى بيزوت درستنا الطب بالعربية أول إنشائها. ولو تصفحنا الكتب التى ألفت أو ترجمت يوم كان الطب يدرس فيهما باللغة العربية لوجدناها كتباً ممتازة لا تقل جودة عن أمثالها من كتب الغرب فى ذلك الحين ، سواء فى الطب ، أو حسن التعبير ، أو براعة الإيضاح ، ولكن هذين المعهدين تنكرا للغة العربية فيما بعد ، وسادت لغة المستعمر . وفرضت على أبناء الأمة فرضاً ، إذ رأى المستعمر فى خلق اللغة العربية مجالا لعرقلة الأمة العربية .

وبالرغم من المقاومة العنيفة التى قابلها ، إلا أنه كان بين المواطنين صنائع سبقوا الأجنبى فيما يتطلع إليه . فتفننوا فى أساليب التملق له اكتسابا لمرضاته ، ورجال تأثروا بحملات المستعمر الظالمة . يشككون فى قدرة اللغة العربية على استيعاب الحضارة

الجديدة ، وغاب عنهم ما قاله الحاكم الفرنسي لجيشه الزاحف إلى الجزائر : ((علموا لغتنا وانثروها حتى نحكم الجزائر ، فإذا حكمت لغتنا الجزائر ، فقد حكمتها حقيقة)) .

فهل لى أن أوجه نداء إلى جميع حكومات الدول العربيّة بأن تبادر - فى أسرع وقت ممكن - إلى اتخاذ التدابير ، والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية لغة تدرّس فى جميع مراحل التعليم العام ، والمهنى ، والجامعى ، مع العناية الكافية باللغات الأجنبية فى مختلف مراحل التعليم لتكون وسيلة الإطلاع على تطور العلم والثقافة والانفتاح على العالم . وكلنا ثقة من إيمان العلماء والأساتذة بالتعريب ، نظرا لأن إستعمال اللغة القومية فى التدرّس ييسر على الطالب سرعة الفهم دون عائق لغوى ، وبذلك تزداد حصيلته الدراسية ، ويرتفع بمستواه العلمى ، وذلك يعتبر تأصيلا للفكر العلمى فى البلاد ، وتمكينا للغة القومية من الازدهار والقيام بدورها فى التعبير عن حاجات المجتمع ، وألفاظ ومصطلحات الحضارة والعلوم .

ولا يغيب عن حكوماتنا العربية أن حركة التعريب تسير متباطئة، أو تكاد تتوقف، بل تحارب أحيانا ممن يشغلون بعض الوظائف القيادية فى سلك التعليم والجامعات، ممن ترك الاستعمار فى نفوسهم عقدا وأمراضا ، رغم أنهم يعلمون أن جامعات إسرائيل قد ترجمت العلوم إلى اللغة العبرية، وعدد من يتخاطب بها فى العالم لا يزيد على خمسة عشر مليون يهوديا ، كما أنه من خلال زيارتى لبعض الدول واطلاعى وجدت كل أمة من الأمم تدرس بلغتها القومية مختلف فروع العلوم والأدب والتقنية ، كاليابان ، وأسبانيا ، وألمانيا ، ودول أمريكا اللاتينية ، ولم تشك أمة من هذه الأمم فى قدرة لغتها على تغطية العلوم الحديثة ، فهل أمة العرب أقل شأننا من غيرها ؟!

وأخيرا .. وتمشيا مع أهداف الدار العربية للنشر والتوزيع ، وتحقيقا لأغراضها فى تدعيم الإنتاج العلمى ، وتشجيع العلماء والباحثين فى إعادة مناهج التفكير العلمى وطرائقه إلى رحاب لغتنا الشريفة ، تقوم الدار بنشر هذا الكتاب المتميز الذى يعتبر واحدا من ضمن ما نشرته - وستقوم بنشره - الدار من الكتب العربية التى قام بتأليفها أو ترجمتها نخبة ممتازة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية المختلفة .

وبهذا ... ننفذ عهدا قطعناه على المضى قدما فيما أردناه من خدمة لغة الوحى . وفيما أراد الله تعالى لنا من جهاد فيها .

وقد صدق الله العظيم حينما قال فى كتابه الكريم : (وقل اعملوا فسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبكم بما كنتم تعملون) .

محمد أحمد درباله

الدار العربية للنشر والتوزيع

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور عبدالقادر حسين

كنت أعمل أستاذا زائرا للدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بأم درمان بالسودان منذ عشرة أعوام تقريبا.

وقد شد انتباهي طالبان شقيقان في قسم الدراسات العليا، ورأيت فيهما حسن المتابعة للدرس والشرح، وتيقظ شديد لكل قضية أتاولها بالعرض والتمحيص، ومناقشتي فيما قلت بعد الانتهاء من المحاضرة، فأقف منهما على سعة علم وحسن اطلاع ورغبة جارفة في الإحاطة والدقة مما جعلني أتوقع لهما مستقبلا زاهرا في البحث البلاغي ولولوج أبوابه ومناحيه.

كان الأخوان من الأشقاء الفلسطينيين الذين تشغلهم قضية بلدهم والوصول إلى حقهم من الأرض الضائعة المغتصبة.

مضت أيام ومرت سنون وأنا لا أكاد أعرف عن الشقيقين شيئا، وإذا بهما أمامي بمقر عملي في جامعة الأزهر وقد حصل كل منهما على درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى في البلاغة من جامعة أم درمان الإسلامية العريقة.

الدكتور محمد شعبان علوان، حصل على الدرجة عام ١٩٩١م.

والدكتور نعمان شعبان علوان، حصل على الدرجة عام ١٩٩٢م.

ويقومان الآن بالعمل بالتدريس في الجامعة الإسلامية بغزة، ومعهما أصول كتاب بلاغي قد أتما تأليفه، يتناول المعاني والبيان والبيدع. وعرضا على أن أكتب مقممة للكتاب وأعرّف القارئ بهما وبجهودهما في ميدان البلاغة.

رحبت بهذا العرض كل الترحيب فالشجرة قد عظمت فروعها، والغصن قد زادت ثماره، وقد آن لنا أن نمد إليهما الأيدي فننتوق الثمار ونشعر بمذاقه وطيبه.

والكتاب في التمهيد يتناول بالدراسة الفصاحة والبلاغة: فصاحة الكلمة والكلام والمتكلم، والشروط التي ينبغي أن تتوافر في كل منها، والدعائم التي تقوم عليها البلاغة من اختيار اللفظ وحسن التركيب وصحة الابتداء والانتهاء، وأن البلاغة ليست من صفات المفردات من غير

اعتبار تركيب، ولا بد أن يكون الكلام مؤثرا تهتز له النفس وينفعل به الوجدان.

أما علم المعانى فيبدأ الكتاب بالحديث عنه متناولا الخبر ومطابقة النسبة الكلامية مع النسبة الخارجية، فإن تطابقا يكون الكلام صادقا، وإن لم يتطابقا فالكلام كاذب.

وهذا ما أجمع عليه جمهور البلاغيين، مخالفين بذلك رأى النظام الذى ذهب إلى اعتبار الموافقة أو المخالفة بالنسبة إلى الاعتقاد دون غيره مما أخذ به الجمهور.

كما يتحدث الكتاب عن الإنشاء الطلبى من أمر ونهى واستفهام وتمنٍ ونداء، وخروج كل منهما عن معناه الحقيقى إلى معنى آخر يستفاد من السياق والقرائن، ويضرب الأمثلة لكل منها من القرآن الكريم والشعر العربى الرصين الذى يعمل على تقويم اللسان العربى حتى يألف استعمال الأساليب الراقية.

ويذكر أنوات التمنى : ليت وهل ولعل ولو، ويبين الفرق بين التمنى والترجى، فالتمنى من أقسام الإنشاء الطلبى، والترجى من أقسام الإنشاء غير الطلبى، ويقول:

إن ما استقر عليه بعض الناس من أن التمنى طلب المستحيل، والترجى طلب الممكن، خال من الدقة، لأن التمنى قد يكون لغير المستحيل، والترجى يكون لترقب حصول الشيء.

ويبين أن التكرار لا بد فيه من سر بلاغى أو لطيفة من اللطائف مثل تقوية الحكم أو التنبيه لأمر عظيم أو المبالغة أو نحو ذلك فإن خلا من سر بلاغى فهو حشو وتطويل لا فائدة فيه.

ومن خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، الالتفات ، ويبين أثره فى بلاغة الكلام : من إيقاظ النفس وتحريكها ، وأنه من الأساليب التى تشتمل على فوائد جملة كالإختصاص والتلطف والتعجب وتنشيط همة السامع لمتابعة مايلقى إليه من قول .

فالكتاب يحرص على إبراز القيمة البلاغية فى كل مبحث من المباحث البلاغية: فى التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى، وفى التعبير عن الماضى بلفظ المستقبل، وفى وضع المفرد موضع المثنى والجمع، ووضع المثنى موضع المفرد والجمع، ووضع الجمع موضع المفرد والمثنى، والقلب والتغليب، والتمثيل لكل منها بأمثلة من القرآن الكريم.

وعندما يتناول الكتاب أنوات القصر يتحدث عن "إنما" وهى أبلغ ما تكون حين تستعمل فى التعريض ولم يرد بها نفس معناها الحقيقى، ويبين فروق الاستعمال بين "إنما" ، والنفس والاستثناء" فلكل من الأداتين موضع تستعمل فيه دون غيره حتى يكون الكلام مصيبا وبعيدا عن

الشطط، ومستعملا فيما ينبغي أن يستعمل فيه ، وإلا وصف بالضعف والرداءة والبعد عن البلاغة.

وفي الحديث عن الإيجاز والإطناب وما بينهما من مساواة، يقول الكتاب: إن حال المخاطب هو الذى يقتضى التعبير بواحد منها دون غيره ، فالمقام هو الذى يدعو إلى اختيار هذا وترك ذلك ، حتى يوصف المتكلم بأنه بليغ ، ولو وضع الإطناب فى موضع الإيجاز أو العكس لأصبح الكلام خاليا من البلاغة دون أن يفى بالمطلوب .

وعندما ينتقل إلى الفصل الثانى الذى أفرد للحديث عن البيان: يذكر التشبيه الضمنى الذى لا يظهر فى الكلام، وإنما يلح فى التركيب ويفهم من السياق، وهذا النوع من التشبيه أنفذ فى النفوس والخواطر لاكتفائه بالتميح، فيزداد الكلام قوة وتأثيرا، وهذا النوع من التشبيه الضمنى يكثر فى الحكم والأمثال والعظات. ويضرب مثلا بقوله تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ الحجرات ١٢ .

أما التشبيه المقلوب فهو يستعمل عند إرادة المبالغة كما يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني، وأن أول من أشار إلى الحديث عن هذا النوع: الأصمعى.

والتشبيه عند المؤلفين بصفة عامة يضيف على المعنى شرفا وإيضاحا، ويزيده قوة وتأكيدا، ويرفع من قدره، حتى تهفو إليه النفس، وتتحرك إليه القلوب؛ لأنه ينتقل بنا من المعنى الأصلي إلى صورة تشبيهه، وكلما كان هذا الانتقال بعيدا قليلا الخطورة على البال ، كان التشبيه أروع للنفس وأدعى إلى الإعجاب، وله أثر بعيد المدى فى التعبير عن المعانى المختلفة.

ويعتبر الاستعارة صورة توصف بالفصاحة والبلاغة، وترتكز فى أصلها على أساس من التشبيه، وهى تعطى الكثير من المعانى باليسير من الألفاظ ، كما تجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر .

ومن مظاهر الاستعارة التشخيص والتجسيد فى المعنويات، وبتث الحركة فى الجمادات حيث تتحول الصورة من شىء صامت إلى شكل متحرك، ويحول المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقل إلى كتلة مجسدة تراها العيون وتلمسها الحواس.

ويفرق بين الكناية والتعريض، فالكناية تقع فى المجاز، والتعريض ليس منه فى شىء، لأنه يفهم من السياق، والكناية تقع فى المفرد والمركب، والتعريض لا يقع إلا فى المركب.

ولما كان التعريض أخفى من الكناية؛ لأنها تعرف عن طريق اللفظ، وهو يفهم عن طريق الإشارة، وما يعرف عن طريق اللفظ يكون أوضح.

وفى النهاية يتحدث الكتاب عن علم البديع ويختار منه أهم ألوانه من محسنات معنوية ترجع إلى المعنى، ومحسنات لفظية تقود إلى اللفظ، مما يزيد المعانى شمولاً والألفاظ انسجاماً، فيرشد البصر إلى النص الأبدى ويتعلق به فتقبل عليه النفس إقبالاً لا مزيد عليه. والله أسأل أن يوفق المؤلفين ويسد خطاهما .

أ. د. عبدا القادر حسين

أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد

جامعة الأزهر

١٩٩٤/٩/١٠

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه القائل : "أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش" ، ومعلم البلاغة والفصاحة، والمعلّى من شأنها وقدرها إذ يقول : " إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة "

لقد عرف العرب بفصاحتهم وبلاغتهم ، وقوة بيانهم، وأحكامهم الأدبية التي شهدتها أسواقهم ونواديبهم حتى اختاروا صفوة نتاجهم الأدبي ، وعلقوه على أستار الكعبة فسمى بالمعلقات، وشهد لهم القاصي والداني بهذا الإبداع، فلما جاء الإسلام، وتنزل القرآن، أدرك العرب الأفحاح وهم أصحاب السليقة السليمة مافى القرآن من بلاغة وفصاحة، وأدركوا ما فيه من إعجاز وشعروا بالفارق الكبير بين كلامهم وبين ما جاء به القرآن. فكان طبيعيا أن يؤثر القرآن فى بيانهم، وتدوّقهم بشكل خاص، وفى حياتهم بشكل عام.

ثم بدأ يظهر بعد ذلك الأثر القرآنى فى نشأة العلوم على اختلاف أنواعها: علوم الدين وعلوم العربية التى منها علوم البلاغة حتى أن السؤال الواحد فى كتاب الله كان سببا فى تأليف كتاب بأكمله، وأفضل شاهد على ذلك مجاز القرآن لأبى عبيدة: فقد سأل إبراهيم الكاتب أبا عبيدة فى مجلس الفضل بن الربيع عن معنى الوعيد فى قوله تعالى: {إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعتها كأنه رؤوس الشياطين} مبينا أن الوعد يجب أن يكون بما عهدته وألفته العرب فقال له أبو عبيدة : إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم وجاء لهم بما عهدوه وألفوه، أما سمعت قول امرء القيس :

أيقنتنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كانياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم وعدوا به فاستحسن
الفضل ذلك، واستحسنه السائل، وكان هذا السؤال سببا في تأليف الكتاب.

ومن أجل ذلك كان التوجه في هذا الكتاب إلى القرآن الكريم، فكنا نذكر الأسلوب
البلاغى، ثم نذكر الشواهد من القرآن، ، ومن كلام العرب، ونوضحها توضيحا بلاغيا
مما يؤدي إلى إظهار أثر الأسلوب البلاغى فى توضيح المعنى الذى يؤدي بدوره إلى
إظهار الجماليات فى الصور البلاغية، وقمنا بعرض مباحث الكتاب بطريقة واضحة
وميسرة على النحو التالى:

المقدمة البلاغية: والتي تتضمن الفصاحة والبلاغة، وعلم المعانى ومافيه من قضايا
بلاغية متعددة. (الخبر والإنشاء) - التعريف والتنكير - التقديم والتأخير - خروج الكلام
عن مقتضى الظاهر - الفصل والوصل - القصر - الإيجاز والإطناب والمساواة. وعلم
البيان وما يتضمنه من التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والتعريض وعلم البديع
بمحسناته المعنوية واللفظية.

راجين من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى خدمة الكتاب العزيز الذى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ونسأل الله أن ينفع بكتابنا هذا عباده المؤمنين عامة،
وطلاب العلم خاصة، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وفى ميزان حسناتنا يوم القيامة،
إنه سبحانه على مايشاء قدير.

قال تعالى ﴿ حم . تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا
لقوم يعلمون ﴾ (فصلت) .

حرصا منا على خدمة هذه اللغة العظيمة التى كرمها الله بالقرآن الكريم فكتب لها
الخلود والبقاء لتبقى ديمومة العلم سائرة ويظل الإنسان حريصا على العطاء المتجدد من
أجل الوصول إلى أعلى درجات التمام . انطلاقا ن هذا الحرص قنا بإعادة طبع الكتاب

للمرة الثانية . وقد تداركنا الأخطاء المطبعية فى الطبعة الأولى لتصبح طبعة منقحة ،
كما يعتبر هذا الكتاب هو الأول ضمن سلسلة فى الدراسات البلاغية سيلية مجموعة من
الكتب نقوم بطبعها ونشرها إن شاء الله تعالى

المؤلفان

الدكتور نعمان شعبان علوان الدكتور محمد شعبان علوان

السبت ٢٨ - ٨ - ١٩٩٤



الباب الأول

الفصاحة والبلاغة

الفصاحة والبلاغة

أولاً: الفصاحة :

الفصاحة في اللغة هي الظهور والبيان . يقال : أفصح الصبح إذا ظهر وبيان ، وكل ما وضع فقط أفصح . وأفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته فظهر . والفصاحة : البيان ، يقال : فصح الرجل فصاحة فهو فصيح، وكلام فصيح أى : بليغ ، ولسان فصيح: طلق ، وأفصح الأعجمى فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه . (١)

وقد وردت الفصاحة في القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ (٢) . وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لثغة بسبب تناوله تلك الجمرة فحصل فيه شدة في التعبير (٣) . ولهذا قال : ﴿ وَأَحْلَلُ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (٤) .

وجاءت في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أفصح العرب بيد أنى من قریش".

ولقد ذكر ابن الأثير اعتراضا على من قال أن الفصاحة هي الظهور والبيان من غير تفصيل ، فقال : "و غاية مايقال في هذا الباب : أن الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوى، يقال : أفصح الصبح إذا ظهر، ثم أنهم يقفون عند ذلك، ولايكشفون عن السر فيه، وبهذا القول لاتتبين حقيقة الفصاحة لأنه يعترض عليه بوجوه من الإعراضات (٥)

(١) لسان العرب لابن منظور. مادة "فصح".

(٢) انظر: فتح القدير - الشوكان، ج٤، ص ١٧٢ - دار المعرفة - بيروت.

(٣) طه : ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) انظر: الملل الساتر لابن الأثير. ج١، ص ٩٠. دار تحفة مصر - القاهرة. تحقيق د. احمد الحرق ود. بدوى طابان.

الأول : أنه إذا لم يكن اللفظ ظاهرا وبنيا لم يكن فصيحاً ثم إذا ظهر وبان صار فصيحاً.

الثانى : أنه إذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين ، فقد صار ذلك بالنسب والإضافات إلى الأشخاص، فإن اللفظ قد يكون ظاهراً لزيد، ولا يكون ظاهراً لعمرو. فهو إذن فصيح عند هذا، وغير فصيح عند الآخر، وليس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع . لأنه إذا تحقق حد الفصاحة ، وعرف ما هو لم يبق فى اللفظ الذى يختص به خلاف .

الثالث : أنه إذا جاء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغي أن يكون فصيحاً وليس كذلك. لأن الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبح .

فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل : أن اللفظ الفصيح هو الظاهر البين .

وقد وضح ذلك بقوله : "أن الكلام الفصيح هو الظاهر البين، واعنى بالظاهر البين أن تكون الفاظه مفهومة لايحتاج فى فهمها إلى استخراج من كتاب لغة مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر وذلك أن أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار ألفاظها فاختراروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه" (١)

والفصاحة عند البلاغيين : وصف للكلمة والكلام والمنتكلم، فيقال: كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ومنتكلم فصيح .

(١) الملل السائر - ج ١ ص ٩١ .

أولاً - فصاحة الكلمة :

ونعنى بها: اللفظة المفردة ، وهي : خلوص الكلمة من : تنافر الحروف والغرابية ومخالفة القياس (١) . ومن ثم لا تكون الكلمة فصيحة إلا إذا كانت خالية من هذه العيوب الثلاثة.

١ - تنافر الحروف :

التنافر : وصف فى الكلمة يوجب الثقل على اللسان (٢) . والمرجع الحقيقى فى اعتبار الكلمة فصيحة أو متنافرة هو الذوق وحده ، ومدى تقبلك لها عند سماعها (٣) . وليس القرب والبعد فى مخارج الحروف كما قال البعض .

وذلك كقول الأعرابى الذى سئل عن ناقته فقال : " تركتها ترعى الهعخع" وهو اسم شجر من شجر الصحراء . وسبب الثقل "أن الهاء والعين لا يكاد واحد منها يأتلف مع الآخر من غير فصل" (٤)

ومنها : قول امرئ القيس :

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص فى مثنى ومرسل (٥)

والشاهد على التنافر فى البيت : كلمة مستشزرات ، فهى مستكرهة لنقلها على اللسان ، وعسر النطق بها ، وهذا بدوره أنقص من فصاحتها .

(١) انظر : الايضاح - للتزوين ، ص ٧٢ تحقيق : محمد عبدالمعنى خفاجى - دار الكتاب اللبنانى ، ط ٤ عام ١٩٧٥م . وفتح

التقدير - الشوكان ج ٤ ص ١٧٢ .

(٢) الايضاح - للتزوين ص ٧٢ .

(٣) فن البلاغة - د . عبدالمعنى حسين ، ص ٦٣ ، عالم الكتب - بيروت ط ١٩٨٤ .

(٤) عروس الأنوار - السبكي ج ١ ص ٧٨ طبعة عيسى الحلبي - القاهرة .

(٥) مستشزرات : مرتفعات . العقاص : جميع عقيمة ، وهى الخصلة المجموعة من الشعر . والمثنى : المنقول . والمرسل : خلاف المثنى .

٢ - الغرابة :

وهي : أن تكون الكلمة وحشية غير مألوفة الاستعمال لا يظهر معناها فيحتاج في معرفتها إلى أن ينقب عنها في كتب اللغة. ومثال ذلك: ماروى عن عيسى بن عمر النحوى أنه سقط عن حماره ، فاجتمع عليه الناس فقال: "مالكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقوا عنى". أى مالكم اجتمعتم على اجتماعكم على رجل مجنون ابتعدوا عنى".

أو تخريجها على وجه بعيد، نحو: مسرجا وصفا للأنف فى قول رؤبة بن العجاج:

ومقلة وحاجبا مزجبا ^{الأنف} وفاحما ومرسنا مسرجا (١)

فالمرسن الأنف ، ولا يدرى ماذا أراد بوصفه بمسرج، ومن ثم اختلف أئمة اللغة فى تفسيره ، فابن دريد قال : هو من قولهم للسيوف سريجية، أى منسوية إلى حداد يسمى سريجا ، فهو يريد تشبيهه بالسيف السريجى فى الدقة والاستواء ، وابن سيده صاحب المحكم قال : هو من السراج ، فهو يقصد أنه شبيه به فى البريق واللمعان ، وهذا قريب من قولهم سرج وجه بالكسر أى حسن . وسرج الله وجهه بهجه وحسنه ، وعلى كلا الحالين فهو غير ظاهر الدلالة على ذلك المعنى. (٢)

فالفظة إذا دلت على أكثر من معنى، واختلف فى تحديد المعنى المراد منها فى موضعها فإنها تكتسب بذلك صفة الغرابة التى تنتقص من درجة فصاحتها. (٣)

(١) والمعنى: أن لهذه المرأة الموصوفة ثيابا بيضاء مفلجة، ومقلة واسعة حسنة سوداء، وحاجبا مدقفا مقوسا وشعرا اسودا فاحما، وانفا كالسيف السريجى فى دقته واستوائه أو كالسراج فى بريقه وضيائه. والمرسن: الأنف الذى يشد بالرسن ثم استعير لأنف الانسان.

(٢) علوم البلاغة - المراغى - ص ٢٠ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) علم المعان. د. عبدالعزيز عتيق، ص ٢٠ - دار النهضة العربية - بيروت عام ١٩٨٤م.

٣- مخالفة القياس :

أن تكون الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواضع الصرفي.

كقول الراجز الأموي :

الحمد لله العلى الأجلل أنت ملك الناس ربا فاقبل

فإن القياس : الأجل بالإدغام . فكلمة : الأجل مخالفة للقواعد الصرفية . لأنه فك الإدغام والأصل الإدغام فكان ينبغي أن يقول : الحمد لله العلى الأجل .

ومنه قول الشاعر

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

فالقياص : ضنوا بإدغام النون .

ويضيف بعض البلاغيين إلى هذه الشروط شرطا رابعا وهو : ألا تكون الكلمة ^٤مكروهة في السمع ينفر منها الحس والذوق، كلفظ الجرشي في قول أبي الطيب في قصيدة مدح بها سيف الدولة الحمداني :

مبارك الأسم أغر اللقب كريم الجرشي شريف النسب^(١)

نسى

وكالنقاخ في قول الشاعر :

وأحمق ممن يلحق الماء قال لي دع الخمر واشرب من نقاخ مبرد

لا عذب

والنقاخ : العذب من الماء.

ومثله : كلمة البعاق . وهي بمعنى السحابة .

(١) الجرشي : النفس . والأغر : من ربه غرة ، وهي بياض في الجهة.

ويعلل الخطيب القزويني ذلك بقوله : " والكراهية فى السمع أن تمج الكلمة ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة . فإن اللفظ من قبيل الأصوات ، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعهت، ومنها ما تكسره سماعه" (١)

ثانياً - فصاحة الكلام :

وأما فصاحة الكلام فهي "خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات، والتعقيد" (٢) فلا يكون الكلام فصيحاً إلا إذا كان خالياً من هذه العيوب الثلاثة:

١ - تنافر الكلمات:

وهو وصف يعرض للكلمات مجتمعة فتكون الكلمات بسببه متناهية فى النقل على اللسان يصعب النطق بها وهى متتابعة، وإن كانت كل كلمة فصيحة على انفراد. وهذا ما عبر عنه الجاحظ فى البيان والتبيين بقوله: "ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد إنشاده إلا ببعض الاستكراه، كقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وقد ذكروا أنه من أشعار الجن ، وأنه لا يتهياً لأحد أن ينشده ثلاث موبت فلا يتتعتع" (٣)

ومنه ما كان فيه بعض النقل كقول أبى تمام :

كريم متى امدحه أمدحه والورى معى وإذا مالمته لمته وحدى

(١) الايضاح - القزويني ص ٧٤ .

(٢) المرجع السابق - نفس الصفحة .

(٣) البيان والتبيين - الجاحظ ج ١ ص ٦٥ ، دار المعارف - القاهرة .

فمنشأ التثقل هنا تكرار كلمة أمدحه وكلمة لمته . وفيه عيب آخر: وهو مقابلة المدح باللوم ، وإنما يقابل بالذم . وكأنه أراد أن ينفي الذم عنه بنفيه اللوم .

٣ - ضعف التأليف :

أن يكون الكلام جارياً على غير القواعد النحوية المشهورة . كعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً، نحو : "ضرب غلامه زيداً" فإن الضمير متصل بالفاعل ، وهو يعود على المفعول به ، والمفعول هنا متأخر في اللفظ عن الفاعل كما هو متأخر عنه في الرتبة ، وجمهور النحاة يمنع ذلك . لأنه ربما يؤدي إلى لبس وغموض في المعنى ، فيظن السامع أن الضمير في غلامه يعود على شخص تقدم ذكره (١) .

ومنه : قول الشاعر :

جزى ربه عنى عدى بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فأرجع الشاعر الضمير في ربه إلى متأخر لفظاً ورتبةً، وهذا من ضرائر الشعر . وقيل : "يجوز في هذا البيت إذا كان الضمير لمصدر جزى ، أى رب الجزاء" (٢)

ومن ذلك ، قول حسان بن ثابت:

ولو أن مجداً أخذ الدهر واحداً من الناس أبقي مجده الدهر مطعماً

فالضمير في مجده يعود إلى مطعماً، وهو متأخر في اللفظ كما نرى في البيت، وفي الرتبة لأنه مفعول به.

(١) انظر : فن البلاغة - د. عبدالقادر حسين، ص ٦٥ .

(٢) الإيضاح ، ص ٧٥ .

٣ - التعقيد :

وهو أن يشتمل الكلام على خلل بحيث لا يفهم المراد منه. وقد عبر الخطيب عن هذا بقوله: "ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد" (١) وله سببان:

الأول : سبب يرجع إلى اللفظ، ويسمى تعقيدا لفظيا.

كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه (٢)

فالمعنى الذى حاول الفرزدق أن يعبر عنه: وما مثله في الناس حى يقاربه إلا مملكا أبو امه أبوه - ففصل الشاعر بين أبو امه وهو مبتدأ، وأبوه وهو خبر المبتدأ بفاصل وهو (حى) وفصل بين النعت والمنعوت وهما: حى يقاربه بفاصل وهو (أبوه)، وقدم المستثنى (مملكا) على المستثنى منه (حى يقاربه) فنظم البيت فى غاية التعقيد، وذلك لأن السامع لا يدري كيف يتوصل منه الى معناه.

قال المبرد عن هذا البيت: "إنه أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعانى، وقد هجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير، كأن هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد" (٣)

ومن ذلك : ما أنشده ابن الاعرابى:

فأصبحت بعد خط بهجتها كأن قفرا رسوما قلما

أى: فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسوما. فقدم وأخر وفصل بين الكلمة وما يتصل بها مما لا يجوز لأحد القياس عليه . قال ابن جنى : "وهذا التعقيد ونحوه ربما لجأ إليه الشاعر لا لضعف منه باللغة، ولا جهلا منه بتوخى أسباب

(١) الإيضاح ، ص ٧٥.

(٢) الإيضاح ، ص ٧٥.

(٣) الكامل - المبرد ج ١ ص ١٨ - المطبعة التجارية - القاهرة.

الفصاحة عند العرب . بل يلجأ إلى ذلك إظهاراً لقوة طبعه ، وسمو نفسه، وتعجرفه
- كل ذلك قد يدفع الشاعر إلى ارتكاب هذه الضرورات على قبحها" (١)

الثاني : سبب يرجع الى المعنى، ويسمى تعقيدا معنوياً.

ويكون هذا في الانتقال من المعنى الظاهر للفظ إلى المعنى المقصود من اللفظ.
وهذا الانتقال يكون غامضاً عند التعبير عن الكلمات في غير معانيها الحقيقية مما
يؤدى إلى خلل في المعنى . كقول العباس بن الاحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

فأخذوا عليه قوله : لتجمدا. لأنه أراد بجمود عينيه التوقف عن البكار للسرور
الذى يلاقيه من قرب الأحبة، وهذا خطأ معنوى . لأن الجمود (خلو العين من
البكاء) في حال إرادة البكاء منها لا يكون كناية عن المسرة، وإنما يكون كناية عن
البخل كما قال الشاعر :

ألا إن عيناى لم تجد يوم واسط عليك بجارى دمعها لجمود. (٢)

إذن فالجمود لا يكون كناية عن السرور بل عن البخل، وبهذا يكون الانتقال من
جمود إلى بخل بالدموع لا إلى ما قصده الشاعر من السرور.

ثالثاً: فصاحة المتكلم :

وهى : ملكة يقدر بواسطتها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح. (٣)
بمعنى : أن تكون الفصاحة صفة راسخة فى المتكلم تصاحبه فى جميع
المواقف فإذا تخلت عنه فليست لديه ملكة الفصاحة، ولا يوصف المتكلم بها(٤) .
"وبتك الصفة يتمكّن المتكلم من صياغة ضروب الكلام من مدح وهجاء وخطب

(١) الخصائص - ابن جنى ج٢ ص ٣٩٢ دار الكتاب العربى - بيروت. (٢) الايضاح، ص ٧٩.

(٣) الايضاح، ص ٧٩.

(٤) الايضاح، ص ٧٩.

ووسائل منمقة في الوعظ والارشاد والمفاخرات والمنافرات. ولن يبلغ شاعر أو ناثر هذه المنزلة إلا إذا كان ملما باللغة كثير الاطلاع على كتب الأدب محيطا بأسرار أساليب العرب حافظا لعيون كلامهم من شعر جيد، وأثر مختار عالما بأحوال الشعراء والخطباء، ومجالس الملوك والأمراء، محيطا بعبادات العرب وأخبار أيامهم. (١)

ثانياً: البلاغة :

البلاغة لغة : الوصول والانتهاء. يقال بلغ الشيء يبلِّغ يبلِّغ بلوغاً وبلاغاً وصل وانتهى، والبلاغ: ما يتبلِّغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. ورجل بليغ : حسن الكلام فصيحاً، يبلِّغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، وقد بلغ بلاغة صار بليغاً. (٢)

ويقال: بلغت الغاية: أي وصلت إليها، وبلغت الشمس قلب السماء أي وصلت إلى قلب السماء. ويقال: بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً، وسميت البلاغة بلاغة: لأنها توصل

المعنى إلى قلب السامع. قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (٣) أي : بالغا في وعظهم إلى المقصود مؤثراً فيهم. (٤)

والبلاغة صفة للكلام والمتكلم، فيقال: كلام بليغ، ومتكلم بليغ، ولا يقال كلمة بليغة لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً.

وقد ذكر ابن عبدربه الأندلسي في كتابه العقد الفريد: بعض التعريفات البلاغية والظاهر أن هذه التعريفات إنما أرادوا بها ذكر أوصاف البلاغة، ولم

(١) لسان العرب - ابن منظور مادة : (بلغ)

(٢)

(١) علوم البلاغة - المراعي، ص ٣٥.

(٢) فتح القدير - الشوكاني، ج ١ ص ٤٨٣.

(٤)

(٣) سورة النساء : ٦٣

يريدوا بها التعريف الاصطلاحي المحدد. قيل لعمر بن عبيد: ما البلاغة؟ قال : ما بلغك الجنة وعدل بك عن النار. وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ معرفة الفصل من الوصل. وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ فقال : إيجاز الكلام وحذف الفضول، وتقريب البعيد . وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال : ألا يؤتى القائل من سوء فهم السامع، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل . وقيل لابن المقفع : ما البلاغة؟ فقال: البلاغة اسم يجرى في وجود كثيرة ، منها : ما يكون في السكوت، ومنها : ما يكون في الاستماع، ومنها : ما يكون في الحديث، ومنها : ما يكون في الإشارة ، والإيجاز هو البلاغة(١) .

واكتفى الجاحظ بذكر قول بعضهم وهو من أحسن ما اجتباه ودونه: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه. فلا يكون لفظه إلى سمعك اسبق من معناه إلى قلبك"(٢)

وقال المبرد : " إن حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقارنة اختها وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول"(٣)

وإن شئت التعريف الإصطلاحي للبلاغة فهي : مطابقة الكلام لمقتضى حال السامعين مع فصاحته.(٤)

فالبلاغة إذن تقوم على دعائم:

- أولاً : اختيار اللفظة.
ثانياً : حسن التركيب وصحته.

(١) انظر: العقد الفريد - ابن عبدبره الأندلسي، ج ٢ ص ٢٦٠، طبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة.

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٥. (٣) البلاغة - المبرد ص ٥٩.

(٤) الايضاح ص ٨٠. وانظر: شرح التلخيص - كمال الدين البائري ص ١٤٦ المنشأة العامة للنشر والتوزيع - طرابلس - تحقيق

د. محمد مصطفى صوفية.

ثالثاً : اختيار الأسلوب الذى يصلح للمخاطبين مع حسن ابتداء وحسن إنتهاء.

وبقدر ما يتهيأ من هذه الدعائم يكون الكلام مؤثراً فى النفوس ، والتأثير هو

الدعامة الرابعة من دعائم البلاغة.(١)

ومقتضى الحال مختلف تبعاً لتفاوت مقامات الكلام. فارتفاع شأن الكلام فى الحسن والقبول يكون بمطابقته للإعتبار المناسب، وانحطاط شأن الكلام يكون بعدم ذلك. فالكلام الرصين الجزل يكون محموداً فى مقام الشدة والجزالة كما أن اللين السهل يكون محموداً فى مقام اللين والسهولة. ٤

فإذا راعينا هذه المطابقة بين حال المخاطب وقول القائل لزم أن نلاحظ شيئاً آخر حتى يوصف الكلام بالبلاغة وهى: أن تكون مفردات كلماته فصيحة لا تنافر بين حروفها ولا غرابة فى ألفاظها، ولا خروج عن القياس الصرفى كما تكون مجموع كلماته متألفة بعضها ببعض، ويشد بعضها بعضاً فيصير الكلام حلواً ويصبح بليغاً(٢) وهذا ما أكده عبدالقاهر الجرجاني فقال: البلاغة ليست من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب.

وفى القرآن الكريم الدليل الكافى لهذا. قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ وَمَاهُؤُ بِالْهَزْلِ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمَلُهُمْ رُؤِيدًا ﴾ (٣)

فالوعيد والتهديد فى هذه الآيات كأنه الصواعق التى تتخلع لها قلوب الكافرين الملحدين. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا

(١) إنظر : البلاغة فونها وانواعها - د. فضل عباس، ص ٥٨ دار الفرقان - الأردن ط ٢ عام ١٩٨٩م.

(٢) الطارق : ١١ - ١٧.

(٣) من البلاغة ص ٧٣.

يَعْمَلُونَ ذَلِكَ جَزَاءَ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءَ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَخْحَدُونَ أَوْ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الْمُهْدِينَ أَضْلَانًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْأَسْفَلِينَ (١)

هذا خطاب للكافرين فيه ما فيه من التهديد والوعيد والإهانة والتحقير فمن يحارب الإسلام في الدنيا سيداس بالأقدام يوم القيامة، ومن فرض عليهم رأيه في الحياة الدنيا فتقبلوه ونفذوه بلا وعى ولا تفكير ولا تصحيح ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّبِعُونَ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴾ (٢)

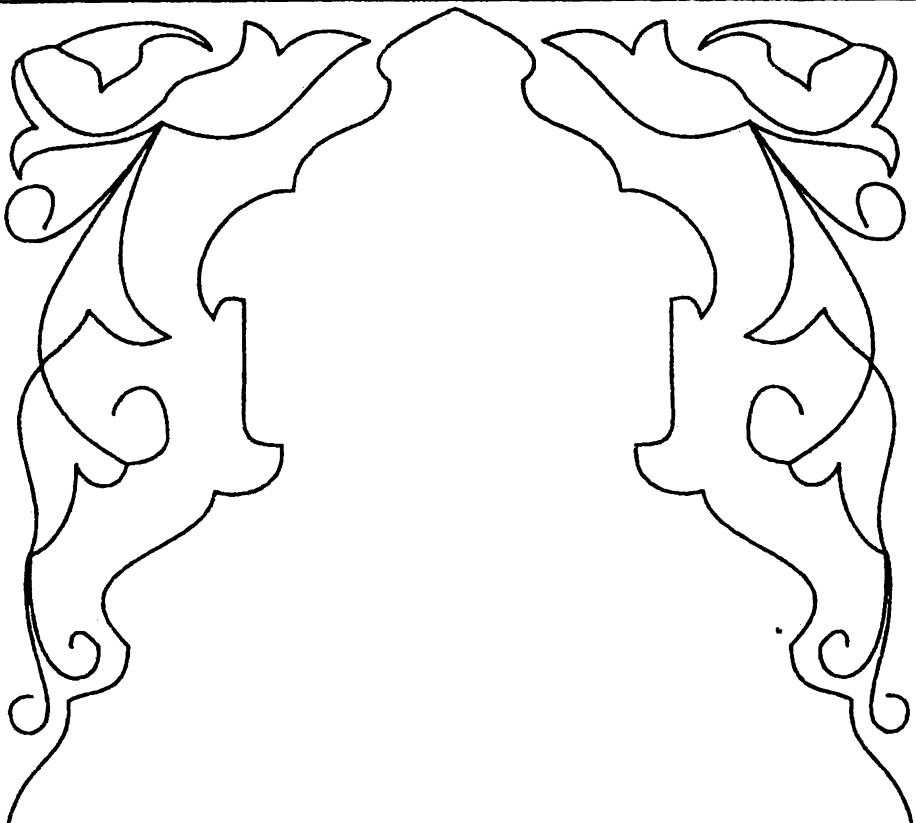
فجاء الكلام مراعيًا لحال المخاطبين مراعاة تامة، ولكن لو انتقلنا لنرى كيف تغير الكلام، فنقف قليلا مع المؤمنين، ونتأمل في كيفية الخطاب الموجه إليهم، قال تعالى: ﴿ إِن الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَٰؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلْنَا مِن غُفُورٍ رَّحِيمٍ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣)

(١) فصلت: ٢٦ - ٢٩.

(٢) الزخرف: ٢٢ - ٢٦.

(٣) فصلت: ٣٠ - ٣٥.

فالخطاب كله رحمة ولين لأن الحال تقتضى هذا الخطاب والفرق واضح بين الخطابين، فهذا مقام وذاك مقام، وهذا مقال وذاك مقال ولكل مقام مقال كما يقولون. فإذا كان الكلام مطابقاً لحال المخاطبين لزم أن يكون فصيحاً حتى يوصف بالبلاغة وما ذلك إلا لأن الفصاحة شرط من شروط البلاغة فإن حكماً على الكلام بأنه بليغ كان فصيحاً، ولكن إن أخل بشرط من شروط الفصاحة فلا يسمى بليغاً ولا فصيحاً فكل بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغ.



الباب الثاني

علم المعاني

علم المعانى

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال .

وأحوال اللفظ هى الأمور التى تعرض له من التقديم والتأخير، والتعريف والتكثير، والخبر-والإنشاء، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة، وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر إلى غير ذلك من الموضوعات.

والمقصود بمطابقة الحال: أن يكون اللفظ مطابقاً لأحوال المخاطبين. ويبدو أن أول من سُمى علم المعانى بهذه التسمية هو الإمام عبدالقاهر الجرجانى فى كتابه دلائل الإعجاز، وهذا واضح من قوله: "إنه إنتلاف الألفاظ ووضعها فى الجملة الموضوع الذى يفرضه معناه النحوى".

وقال فى موطن آخر : واعلم أن النظم : أن تضع كلامك الموضوع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشيء منها. وهذا هو السبيل فليست بواجب شينا يرجع صوابه إن كان صوابا ، وخطؤه إن كان خطأ ويدخل تحت هذا الاسم ألا وهو معنى من معانى النحو، قد أصيب به موضعه ووضع فى حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل فى غير ما ينبغى له .

مما تقدم يتضح لنا أن علم المعانى هو روح النحو علتة، وبين أغراضه وأحواله بالإضافة إلى علوم المعانى كلها التى ذكرناها .

الخبر والإنشاء

أولا : الخبر

تعريفه :

هو كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته . أى بقطع النظر عن الذى ينطق بالخبر سواء أكان مقطوعا بصدقه أو كذبه . ويقطع النظر عن البدهيات كالسماء فوقنا و الأرض تحتنا . فهذه مما لا يشك أحد فى صدقها ، ولكننا نعتبرها خبرا إلى ذات الكلام نفسه .

ولكل خبر تتلفظ به نسبتان :

- ١ - نسبة تفهم من الخبر ويدل عليها الكلام ، وتسمى النسبة الكلامية .
- ٢ - نسبة تعرف من الواقع وتسمى النسبة الخارجية .

فإن طبقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية ، كان الخبر صادقا إيجابا ونفيا . وإن لم تطابق النسبة الكلامية النسبة الخارجية إيجابا ونفيا كان الخبر كاذبا . فإذا قلنا : محمد ناجح أو جاء محمد من السفر ، وكان فى الواقع والخارج كذلك كان الخبر صادقا ، وإن لم يكن كذلك كان الخبر كاذبا ، وهذا ما أجمع عليه الجمهور فى الحكم على صدق الخبر أو كذبه ، مخالفا بذلك رأى النظام الذى ذهب إلى أن الصدق ما وافق الاعتقاد ، والكذب ما خالف الاعتقاد ، وإن تناقيا مع الواقع .

أغراض الخبر :

للخبر غرضان أصليان هما :

الأول - فائدة الخبر :

وهى إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام . وهذا هو الأصل فى كل خبر ، لأن فائدته تقديم المعرفة أو العلم إلى الآخرين ، كأن تقول لأخيكَ الذى ترقب

النتيجة : " ظهرت النتيجة " . فهذا الغرض يقوم على أساس أن من يلقي إليه الخبر يجهل حكمه ، ويراد إخباره بذلك ومن هنا تأتي الفائدة . كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الدين المعاملة " . وكقولنا : المسافة بيننا وبين الشمس أضعاف ما بيننا وبين القمر .

الثاني - لازم الفائدة : عن طريق عالم بالحكم

هي : إفادة المخاطب بأن المتكلم عالم بالحكم ، والمخاطب في هذه الحالة لم يعرف خبرا كان يجهله ، كقولك لمن فاز بالجائزة : لقد فزت بالجائزة . فالغرض من هذا الخبر أن أشعر المخاطب أنني عالم به .

ومنه قول خديجة للرسول صلى الله عليه وسلم : " إنك لتصدق في الحديث ، وتصل الرحم وتؤدى الأمانة " . فهي لم تخبر الرسول عليه الصلاة والسلام شيئا لا يعرفه فهو يعلم عن نفسه أنه صادق في حديثه مؤد للأمانة ، ولكن الشيء الجديد في الخبر : أن السيدة خديجة أعلمته أنها تعرف عنه هذا الخلق (١) .

الأغراض البلاغية للخبر :

يخرج الخبر عن الغرضين الأساسيين إلى بلاغية متعددة منها :

١- إظهار التحسر : كقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتْ إِمرَأَةٌ عِمرَان رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرِيَمَ وَإِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾

قال ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾ : " لفظ خبر فسي ضمنه التحسر والتلف ، وإنما تلهفت لأنهم كانوا لا يحررون الإناث لخدمة الكنائس ،

(١) آل عمران : ٣٥ - ٣٦ .

(٢)

(٣) فن البلاغة ، ص ٨١ .

ولا يجوز ذلك عندهم ، وكانت قد رجحت أن يكون مافى بطنها ذكرا فلما وضعت أنثى تلهفت على فوت الأمل" (١)
ومنه قول شوقي (٢) :

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام

٢- إظهار الضعف : كقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُ بِدُعَايِكَ رَبًّا شَقِيًّا ﴾ (٣)

وهذا في غاية الخضوع والتذلل وإظهار الضعف ، والقصور عن نيل مطالبه وبلوغ مأربه (٤)

ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (٥)

ومنه قول الشاعر :

إن الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي إلى ترجمان

٣- المدح : كقول النابغة :

فإتاك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كواكب

٤- الفخر : كقول عمرو بن كلثوم :

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجديننا

ومنه قول أبي فراس الحمداني :

(١) الخمر الوجيز - ابن عطية ج ٣ ص ٨٨ مؤسسة دار العلوم - قطر، ط ١، ١٩٨٢م.

(٢) الشوقيات : ج ١ ص ٢٣٠ (٣) مرم : ٤.

(٤) فتح القدير : ج ٣ ص ٣٢١ (٥) النقص : ٢٤.

إنما إذا اشتد الزمان وناب خطب وادلهم
أفريت حول بيوتن عدد الشجاعة والكرم،
للقا العدا بيض السيوف وللنمدى حمر النعم
هذا وهذا دأبنا يودى دم ويراق دم.

٥- الاستراحام والاستعطاف : كقوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ (١)

ومنه قول إبراهيم بن المهدي مخاطبا المأمون :

أتيت جرما شنيعا وانت للعفو أهل
فبان عفوت فمن وان قتلت فعذل

٦- الوعد : كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ (٢)

فقوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ ﴾ إلى آخر الآية لفظ خبر ضمنه وعد بشرط ، لأن قوله : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ﴾ بمنزلة أن يقال : إن يصبر منكم عشرون يغلبوا مائتين (٣) . ومنه قوله تعالى : ﴿ سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ ﴾ (٤) . وكقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٥) . فالخبر وعد للمحسن ووعيد لغير المحسن .

٧- الوعيد : كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٦) وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً ﴾ (٧) فاللفظ خبر في ضمنه وعيد لهم (٨) .

(١) القمص : ١٦ . (٢) الأنفال : ٦٥ .
(٣) المحرر الوجيز وآثره في الدراسات البلاغية : ٥ . محمد علوان ، ص ١٥١ ، رسالة دكتوراة .
(٤) فصحت : ٥٣ . (٥) البقرة : ٢٣٧ .
(٦) البقرة : ٢٢١ . (٧) آل عمران : ١٧٦ .
(٨) المحرر الوجيز وآثره في الدراسات البلاغية ، ص ١٥٢ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (١)

٨- التحذير : كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أبغض الحلال عند الله الطلاق " .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴾ (٢) فالخبر تضمن معنى التحذير ، والمعنى : والله أعلم بأعدائكم أيها المؤمنون وما يريدونه بكم من الاضلال فاكثفوا بولايته ونصره ولا تتولوا غيره ولا تستنصروه (٣) ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ (٤)

٩ - التوبيخ : نحو قولك لتارك الصلاة : " الصلاة ركن من أركان الإسلام " .

أضرب الخبر :

ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في إعتباره حال المخاطب عند إلقاء الخبر وللخبر ثلاثة أضرب :

الأول - الابتدائي :

وهو الخبر الذي يكون خاليا من المؤكِّدات . لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر (٥) فهو ليس بمتردد ولا منكر له .

كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٧) وكقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " الدين المعاملة " وقوله : " شر الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم " .

(١) المحرر الوجيز وأثره في الدراسات البلاغية ، ص ١٥٢ . (٢) النساء : ٤٥ .

(٣) فتح القدير : ج ١ ص ٤٧٤ وانظر المحرر الوجيز وأثره في الدراسات البلاغية ص ١٥٣ .

(٤) النساء : ٤٥ .

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، ج ٢ ص ٤٦٥ مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٦ .

(٦) النجم : ٣١ . (٧) الكهف : ٤٦ .

الثاني - الطلبى :

وهو الخبر الذى يتردد المخاطب فيه ، ولا يعرف مدى صحته فيحسن عندئذ أن يؤكد له الكلام بمؤكد واحد لنزول منه الشك ونمحو التردد ، ويتمكن الخبر من نفسه (١) . وهذا ما بينه السكاكى فى كتابه حيث قال : " واذا ألقاها إلى طالب لها متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو منه بين بين لينقذه من ورطة الحيرة استحسنت تقوية المنقذ بإدخال اللام فى الجملة أو إن (٢) "

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٥)

الثالث - الإنكارى :

وهو الخبر الذى ينكره المخاطب إنكارا يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد كقوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمِ الْإِنسَانَ الْكَلِمَةَ لَمُرسَلُونَ ﴾ (٦) *تفسير السكاكى على مرسلون أيضا تفيد التوكيد (مقرر)*

فانظر كيف أكدوا لهم الخبر أولا بيان ولكنهم لما أمعنوا بالتكذيب وأصروا عليه وكذبوا الرسل زادوا فى تأكيده فجاءوا بمؤكدين جديدين : الأول : القسم : وهو مفهوم من قوله ﴿ رَبَّنَا عَلَّمِ ﴾ والثانى : اللام ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرسَلُونَ ﴾ (٧)

(١) انظر معجم المصطلحات البلاغية، ج ٢، ص ٤٦٦، وفى البلاغة، ص ٨٣.

(٢) مفتاح العلوم - السكاكى، ص ١٧٠، تحقيق : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٨٣.

(٣) المائدة : ٩٠. (٤) النحل : ٩٠.

(٥) القصص : ٢٠. (٦) يس : ١٣ - ١٦.

(٧) البلاغة : فترها وانماها ص ١١٤.

وهذا ما عبر عنه الخطيب القزويني بقوله : "وجه الحق أن الكلام إما خبر أو إنشاء لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج ، الأول الخبر والثاني الإنشاء"^(١)

وينقسم الإنشاء إلى قسمين :

(١) الإنشاء الطلبي (٢) الإنشاء غير الطلبي .

الإنشاء غير الطلبي : هو ما لا يستدعي مطلوباً والمأثمة ينشأ الأمر ^{إنشاء} وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب . وله أساليب مختلفة وهي :

(١) صيغ التعجب : وله صيغتان : هما : ما أفعله :

كقوله تعالى : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ﴾^(٢) أي : لعن الإنسان الكافر ما أشد كفره ، ومعناه التعجب من إفراط كفره^(٣) .

وأفعل به : كقوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٤) قال أبو العباس : العرب تقول هذا في موضع التعجب^(٥) .

(٢) القسم : ويكون بالواو والتاء والباء .

كقوله تعالى : ﴿ وَالصُّحْحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿ تَا اللَّهُ لَاكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾^(٧) وقوله تعالى : ﴿ تَا اللَّهُ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾^(٨) وقوله تعالى : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ﴾^(٩) ، وقولنا : أقسم بالله لافعلن كذا وكذا .

(١) الإيضاح : ص ٨٥ .
 (٢) فتح القدير ج ٥ ، ص ٣٨٤ .
 (٣) فتح القدير ج ٣ ص ٣٣٤ .
 (٤) الأنبياء : ٥٧ .
 (٥) التوبة : ٦٢ .
 (٦) عبس : ١٧ .
 (٧) مريم : ٣٨ .
 (٨) الضحى : ١ ، ٢ .
 (٩) يوسف : ٩١ .

(٣) صيغ المدح والذم : كقوله تعالى: ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١)
وقوله تعالى : ﴿ يَدْعُوا لِمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (٢)

(٤) صيغ العقود : مثل بعت واشتريت ووهبت / رزقته / طلقته / أنتطلق

(٥) الرجاء : وقوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ (٤)

فإن هذا القول لا يحتمل صدقا ولا كذبا ، ولا يستدعى شيئا غير حاصل وقت الطلب ، وهذا هو الإنشاء غير الطلبي .

الإنشاء الطلبي :

وهو ما يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب . وهو خمسة أنواع : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمنى ، والنداء .

أولا - الأمر :

الأمر نقيض النهي ، يقال : أمره يأمره أمرا وإمرا فأتى أي قبل أمره (٥) . والأمر في اصطلاح البلاغيين : هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ، فينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه إليه الأمر (٦) .

وقد عبر عن هذا المعنى العلوي في كتابة الطراز فقال : هو صيغة تستدعي الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء (٧)

وللأمر أربع صيغ هي :

(١) النحل : ٣٠ . (٢) الحج : ١٣ .

(٣) غافر : ٣٦ . (٤) المائدة : ٥٢ .

(٥) لسان العرب - مادة (أمر).

(٦) انظر : معجم المصطلحات البلاغية - ج ١ ص ٣١٣ ، وعلم المعاني - د. عبدالعزیز عتيق، ص ٨١ .

(٧) الطراز - العلوي - ج ٣ ص ٢٨١ .

- ١- فعل الأمر : كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١).
- وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ... ﴾ (٢).
- وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (٣).
- ٢- المضارع المقرون بلام الأمر : كقوله تعالى : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كِتَابًا بِالْعَدْلِ ﴾ (٥).
- ٣- اسم فعل الأمر : كقوله تعالى : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (٦) فعليكم اسم فعل امر بمعنى : الزموا . ومنه صه بمعنى : اسكت ، ومه بمعنى : اكف ، وأمين بمعنى استجب ، ونزال بمعنى انزل .
- ٤- المصدر النائب عن فعل الأمر : كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٧) وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة " ، وقول قطري بن الفجاءة :

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع

هذه الصيغ الأربعة تفيد طلب الفعل وجه الاستعلاء ، وقد يخرج الأمر عن هذا المعنى الأصلي إلى معان أخرى أو ثنائية تفهم من سياق النظم ودلالة الحال .

(١)	الرمل : ١ . ٢ .	(٢)	النور : ٥٦ .
(٣)	الأحزاب : ١٠ .	(٤)	الطلاق : ٧ .
(٥)	البقرة : ٢٨٢ .	(٦)	المائدة : ١٠٥ .
(٧)	البقرة : ٨٣ .		

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر :

أولاً - الدعاء :

وهو الطلب على سبيل التضرع ، يكون من خطاب الأدنى لمن هو أعلى منزلة ، كدعاء الإنسان ربه^(١) كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾^(٣) وقوله تعالى : ﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِنَا ﴾^(٥)

وذكره ابن قتيبة في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(٦) ، وقال إنه على طريق الدعاء والمسألة^(٧) . وقال القزويني : " إذا استعملت - الأمر - في طلب الفعل على سبيل التضرع كقوله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾^(٨) .^(٩)

ثانياً - التعمير :

وهو الطلب بما لا يقدر عليه المخاطب ، أي مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه اظهارا لعجزه وضعفه ، وعدم قدرته وذلك من قبيل التحدى^(١٠) . نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾

(١) انظر : أساليب بلاغية، د. احمد مطلوب، ١١١. وفي البلاغة، ص ١١٧.

(٢) آل عمران : ١٩١ - ١٩٤.

(٣) نوح : ٢٨.

(٤) العنكبوت : ٣٠.

(٥) يونس : ٨٨.

(٦) سيا : ١٩.

(٧) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة ص ٣١.

(٨) نوح : ٢٨.

(٩) أنظر: الإيضاح - القزويني ص ٢٤٣.

(١٠) علم المغان: د. عبدالعزير عتيق، ص ٨٧.

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ . إذ ليس المراد طلب ذلك منهم ، وإنما إظهار عجزهم ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ (٢)

ومنه قول الشاعر :

أروني بخيلا طال عمرا ببخله وهاتوا كريما مات من كثرة البذل
وقول الفرزدق :

أولك أبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع

ثالثا - التهديد :

وهو استعمال صيغة الأمر فى مقام عدم الرضا . كما قال ابن قتيبة : أن يأتى الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد (٣) كقوله تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ ﴾ (٥) ، وقوله تعالى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٦)

ومنه قول الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحى فافعل ما تشاء

ومنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : "إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

رابعا - النعم والارشاد :

وهو الطلب الذى لا إلزام فيه ، وإنما يحمل بين طياته النصيحة الخالصة . كقول خالد بن صفوان لابنه : "دع من أعمال السر ما لا يصلح لك فى العلانية" وكقول بعض الحكماء لابنه : "يابنى استعذ بالله من شرار الناس".

(١) البقرة : ٢٣ . (٢) البقرة : ٢٣ . (٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢١٦ . (٤) فصلت : ٤٠ . (٥) القلم : ٤٤ . (٦) النساء : ٢٣٨ .

ونحو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾^(٢).

وكقوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٣).

وكقول الشاعر :

شاور سواك إذا نابتك نائبة يوما وإن كنت من أهل المشورات

خامسا - التخيير :

وهو أن يكون المخاطب مخيرا بين شيئين أو عدة أشياء شريطة ألا يجمع بينهما .

نحو : " تزوج هند أو اختها " فالمخاطب مخير بين زواج هند أو اختها فيختار واحدة ، ولا يجوز له الجمع بين الأختين ، وكقولهم : " تزوج أو عش عذبا " ونحوه : التحق بكلية التجارة أو الآداب .

قال المبرد : وكذلك وقوعها للتخيير ، أى صيغة الأمر . تقول : إضرب إما عبد الله واما خالد^(٤) .

سادسا - الإباحة :

وذلك إذا استعملت صيغة الأمر فى مقام توهم السامع فيه عدم جواز الجمع بين أمرين فيكون الأمر إذنا له بالفعل فله أن يفعل ، وله أن يترك . كقوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾^(٥) كان المسلمون قبل أن تنزل هذه الآية إذا صلوا العشاء حرم عليهم الطعام والشراب والنساء

(٢) البقرة : ٢٨٢ .

(٤) المتضرب - المبرد ج ١ ص ١١ .

(١) البقرة : ٢٨٢ .

(٣) الأعراف : ١٩٩ .

(٥) البقرة : ١٨٧ .

حتى يفتروا فأباح الله لهم الأكل والشرب مع ما تقدم من إباحة الجماع إلى أن يبين ضياء الصباح من سواد الليل .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (١)

أجمع الناس على أن مقتضى الأمر في قوله {فانتشروا} للإباحة (٢). وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (٣) أنه للإباحة في طلب المعاش . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ (٤).

ونص المبرد على معنى الإباحة فقال : " وذلك كقولك : جالس الحسن أو ابن سيرين أى : قد أذنت لك في مجالسة هذا الضرب من الناس (٥) . وذكره ابن قتيبة فقال : " وعلى لفظ الأمر وهو اباحة قوله تعالى : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٧).

ومما تقدم يتضح لنا الفرق بين التخيير والإباحة ، حيث أنه لا يجوز الجمع بين الأمرين في التخيير ، ولكنه يجوز في الإباحة .

سابعاً - الإهانة والتحقير :

وتكون بتوجيه الأمر إلى المخاطب بقصد استحقاره ، واستصغاره نحو قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٨). أى : قولوا له تهكما وتقريعاً وتوبيخاً : ذق العذاب إنك أنت العزيز الكريم (٩) . وذلك أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم لقي أباً جهل فقال : إن الله تعالى أمرنى أن أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ، قال : فنزع ثوبه من يده وقال : ما تستطيع لى انت ولا صاحبك من شئ ، ولقد

- | | | | |
|-----|-----------------------------|-----|---------------------------------|
| (١) | الجمعة : ١٠ . | (٢) | المحرر الوجيز : جـ ١٤ ، ص ٤٤٨ . |
| (٣) | الجمعة : ١٠ . | (٤) | المائة : ٢ . |
| (٥) | المقتضب : جـ ١ ، ص ١١ . | (٦) | النور : ٣٣ . |
| (٧) | تأويل مشكل القرآن ، ص ٢١٦ . | (٨) | الدخان : ٤٩ . |
| (٩) | فتح القدير : جـ ٤ ، ص ٥٧٩ . | | |

علمت انى امنع اهل البطحاء ، وأنا العزيز الكريم ، قال : فقتله الله تعالى يوم بدر ، وأذله ، وعيره بكلمته ، وأنزل : ذق إنك أنت العزيز الكريم . وقوله تعالى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١) .

ومنه قول جرير متهما بالفرزدق :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ابشر بطول سلامة يا مربع

ثامنا - التسوية :

وتكون فى مقام يتوهم فيه أن أحد الأمرين أرجح من الآخر ، نحو قوله تعالى : ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) أى : سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيد لكم عنها ، ولا خلاص لكم منها .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٣) أى : مهما انفقتم من نفقة طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم فالامر افساد التسوية .

وهناك معان بلاغية أخرى للامر نذكرها على سبيل المثال لا الحصر منها :

التفويض : كقوله تعالى : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ (٤) ، قال ابن فارس : وقد

جاءت الآية لخروج الأمر الى التسليم (٥) .

والتهليف : كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مُؤْتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾ (٦) ، والمشورة : كقوله تعالى :

﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ (٧) .

(٢) الطور : ١٦ .

(٤) طه : ٢٠ .

(٧) الصافات : ١٠٢ .

(١) النساء : ١٣٨ .

(٣) التوبة : ٥٣ .

(٥) الصاحي : ١٨٥ .

(٦) آل عمران : ١١٩ .

والتسخير : كقوله تعالى : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (١) ، والإكرام : كقوله تعالى :
﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ﴾ (٢) ، وقد اعتبرها البعض للإباحة .

ثانيا - النهي :

وهو خلاف الأمر - يقال : نهاه نهيا فانتهى وتناهى ، أى كف (٣) . والنهي فى اصطلاح البلاغيين : هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام . وله صيغه ولحده ، وهى المضارع المقرون بلا الناهية .

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَتَّبِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّكَاةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٧) .

على العزيم بين المنه والنهاي :-

ويتفق النهي مع الأمر فى أن كل واحد منهما لا بد فيه من اعتبار الاستعلاء ، وأنهما

جميعا يتعلقان بالغير ، فلا يمكن أن يكون الإنسان أمرا لنفسه أو ناهيا لها . ويختلفان

فى الصيغة ، لأن كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر ، ويختلفان فى أن

الأمر دال على الطلب والنهي دال على المنع، وأن الأمر لا بد فيه من إرادة مأمورة ،

وأن النهي لا بد فيه من كراهية منهية (٨) .

الأغراض البلاغية التى يخرج إليها النهي :

يخرج النهي عن معناه الحقيقى إلى معان أخرى تستفاد من السياق والقرائن .

منها :

- | | | | |
|-----|---------------------|-----|---------------------------------|
| (١) | الأعراف : ١٦٦ . | (٢) | الحجر : ٧٦ . |
| (٣) | النسان : مادة نهي . | (٤) | الأنعام : ١٥٢ . |
| (٥) | الحجرات : ١٢ . | (٦) | الأعراف : ٥٦ . |
| (٧) | الإسراء : ٣٢ . | (٨) | إنظر : الطراز ج-٣ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ . |

أولاً - الدعاء :

ويكون النهي صادرا من الأدنى الى الأعلى على سبيل التضرع والدعاء ، نحو قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

وتكرير النداء فى هذه الآية للايذان بمزيد من التضرع واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى .

وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٢).

ومنه قول كعب بن زهير للرسول عليه الصلاة والسلام معتذرا :

لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت فى الاقاويل

ثانيا - النصح والارشاد :

إذا كان النهي يحمل بين ثناياه معنى من معانى الإرشاد والنصيحة .

كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِنِ بُدِّلَكُم مِّنْهَا ﴾ (٣) .

فظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التى إذا علم بها الشخص ساعته ، فكان الرجل يسأل عن ابيه بعد موته فيجاب بأنه فى النار ، فتسئنة الإجابة ، وهذا ما ذكره أبو هريرة عن الرسول عليه الصلاة والسلام حيث قال : خرج رسول الله صلى الله عليه

آل عمران : ٨ .

(٢)

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٣) المائدة : ١٠١ .

وسلم وهو غضبان محمر الوجه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال : أين أبى ؟ قال: فى النار . فقام آخر فقال من أبى ؟ فقال : أبوك حذافه . فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام ديننا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، والقرآن إماما ، وإنا يارسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله اعلم من أبائنا ؟ قال : فسكن غضبه ونزلت هذه الآية (١) .

فجاء النهى يحمل معنى الارشاد لهؤلاء الناس ألا يسألوا عن أشياء إن بدت لهم أساءتهم .

كقول القائل :

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

وكقول الشاعر أيضا :

ولا تجلس إلى أهل الدنيا فإن خلاق السفهاء تعدى

ثالثا - العيبس :

نحو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

أى : أن المعذرة لا تنفعكم وإنما تجزون بأعمالكم فلا تلوموا إلا أنفسكم .
وقوله تعالى : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (٣) .

ومنه قول المتنبى فى مدح سيف الدولة :

لا تطلبن كريما بعد رؤيته إن الكرام بأسخاهم يدا ختموا

(١) التحريم : ٧ .

(٢)

مختصر ابن كثير، جـ ١، ص ٥٥٤

(١)

(٣) التوبة : ٦٦ .

رابعاً - التحقير :

كقول الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وكقولك للخامل : لاتحاول الوصول إلى مرتبة العلماء .

خامساً - بيان العاقبة :

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١) أى عاقبة الظلم

العذاب لا الغفلة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

يُرزقُونَ ﴾ (٢).

سادساً - التوبيخ :

كقول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

سابعاً - الإكتناس :

كقوله تعالى : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٣) .

ثامناً - الإلتماس :

ويكون صادراً من أخ لأخيه ، أو صديق إلى صديقه . وهذا ما عبر عنه السكاكي بقوله

:" إن استعمل للنهي فى حق المساوى الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي إلتماساً" (٤)

(١) آل عمران : ١٦٩ .

(٢)

(١) إبراهيم : ٤٢ .

(٤) مفتاح العلوم : ٣٢٠ .

(٤)

(٣) التوبة : ٤٠ .

وكقوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى : ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ
بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ (١) .

ثالثا - الاستفهام :

الاستفهام لغة : هو طلب الفهم ومعرفة الشيء المجهول . ويقال : فهمت الشيء :
عقلته وعرفته وأفهمه الأمر ، وفهمه إياه : جعله يفهمه ، واستفهمه : سأله أن يفهمه وقد
استفهمني ، فأفهمته وفهمته تفهيمًا (٢) .

وفي الإصطلاح : هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة مخصوصة (٣) .

نحو قولهم : أنت ضربت زيدا ؟ وقولهم : أدبس في الإناء أم عسل .

أدوات الإستفهام :

للإستفهام أدوات كثيرة : منها : ما يفيد التصور ، ومنها : ما يفيد التصديق ، ومنها ،
ما يفيد التصور والتصديق معا .

١ - ما يفيد التصور والتصديق : الممزة .

أما التصور ، فهو طلب تعيين المفرد . نحو قولهم : أزيد ناجح أم اسامة ؟

وقولهم : أمحمد فاز بالجائزة أم خالد؟ فالسائل هنا لا يعرف من الناجح ومن الفائز
فيريد تعيين أحدهما من خلال السؤال ، فتأتي الإجابة بأحدهما . فيقال مثلا : زيد في
الأولى ومحمد في الثانية .

(١) طه : ٩٤ . (٢) إنظر : لسان العرب ، مادة فهم .

(٣) إنظر : مفتاح العلوم : السكاكي ، ص ٣٠٨ . والايضاح : ص ٢٢٨ ، ومعجم الامتلاحات البلاغية ، ج ١ ص ١٨١ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (١) . وقوله تعالى : { أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } (٢) .

أما التصديق : فهو طلب تعيين النسبة أو الحكم .

نحو قولهم : أقام محمد ؟ وأفهمت الدرس ؟

فأنت هنا تسألك عن الحكم وهو قيام محمد ، وفهم الدرس هل تحقق أم لا ، فتأتي الإجابة بنعم أو لا .

٣- ما يفيد التصديق :

نحو : هل . والتصديق كما عرفناه هو السؤال عن الحكم، فلا يسأل بها عن التصور، ولهذا يمتنع أن تأتي بعدها أم المعادلة، فلا يقال: هل زيد قام أم عمرو؟ لأنه يؤدي إلى التناقض وذلك؛ لأن هل تفيد أن السائل جاهل بالحكم، وأم تفيد أنه عالم بالحكم، وإنما يطلب تعيين أحد الأمرين، فيجتمع في الجملة الواحدة علمك بالحكم وجهالك به.

والجواب عنها يكون بنعم أو لا . نحو قولنا : هل جاء محمد من السفر؟ وهل حضر المدرس ؟ وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

٣- ما يفيد التصور :

نحو : ما - متى - من - أيان - أين - أنى - كيف - كم - أى

١ - (ما) : يطلب بها شرح الشيء ، وأكثر ما يستفهم بها عن غير العاقل نحو قولهم :

(٢) يوسف : ٣٩ .

(١) البقرة : ١٤٠ .

(٣) الزمر : ٩ .

ما البلاغة ؟ وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ ﴾ (١). وقوله تعالى :

﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (٢).

٢- (من) : وأكثر ما يستفهم بها عن العاقل، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ

افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ (٤).

٣- (متى) : ويسأل بها عن الزمان ماضيا كان أو مستقبلا .

نحو قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٥).

ونحو قولنا : متى جئت من السفر ؟ فتأتي الإجابة : بالأمس .

٤- (أيان) : ويسأل بها عن المستقبل .

كقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (٦).

وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (٧).

٥- (أين) : ويسأل بها عن المكان .

نحو قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ﴾ (٨).

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (٩).

(٢) القارعة : (١) : ٢.

(٢)

(١) البقرة : ٢١٩.

(٤) فصلت : ١٥.

(٤)

(٣) العنكبوت : ٦٨.

(٦) النازعات : ٤٢.

(٦)

(٥) السجدة : ٢٨.

(٨) القيامة : ١٠.

(٨)

(٧) الذاريات : ١٢.

(٩) الأعراف : ٣٧.

٦- (أنى) : ويسأل بها عن الحال - فتستعمل بمعنى كيف نحو : قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا..﴾ (١).

وكقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ أَلَيْسَ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ...﴾ (٢). ويسأل بها عن المكان فتستعمل بمعنى : من أين نحو قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (٣).

٧ - (كيف) : ويسأل بها عن الحال .

نحو قوله تعالى : ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤). وإذا قيل : كيف محمداً؟ فالجواب : صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك .

٨ - (كم) : ويسأل بها عن العدد.

نحو قوله تعالى : ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (٥). وقوله تعالى : ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُدَلِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦).

٩ - (أى) : وهى للسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما . نحو قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُ الْفَرِيقَيْنِ

(٢) آل عمران : ٤٠ .

(٤) الأعراف : ٨٦ .

(٦) البقرة : ٢١٨ .

(١) البقرة : ٢٥٩ .

(٣) آل عمران : ٣٧ .

(٥) الكهف : ١٩ .

خَيْرَ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا» (١). أى : أنحن أم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مع أنهم كانوا يفتخرون بأنفسهم ويقولون نحن أحسن منازل وأحسن نديا من محمد وأصحابه .

وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

أى : الإنس أم الجن ..

ونحب أن ننوه إلى أن هذه الأدوات واستعمالها فى معانيها الأصلية { السؤال عن شىء مجهول } لا يحقق لنا غرضا بلاغيا، ولكن لا بد من البحث عن معان مجازية أو معان ثانية نتعرف عنها من سياق الكلام، وهذا يحتاج إلى وقفات لمعرفة حال المتكلم وحال المخاطب .

الأغراض البلاغية التى يخرج إليها الإستفهام:

أولاً - النفي :

وفيه يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقى إلى معنى النفي . نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣). أى : لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله (٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (٥).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٦).

أى : لا أحد من الكاتمين أظلم من كتم شهادة عنده من الله، ولا أحد من المفتريين أظلم ممن افترى على الله كذبا.

(١) مريم : ٧٣ . (٢) النمل : ٢٨ . (٣) البقرة : ١١٤ . (٤) فتح القدير : ١٣١ . (٥) الأنعام : ٢١ . (٦) البقرة : ١٤٠ .

وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ (١). قال الفخر الرازي: (وهل: استفهام معناه النفي، وتقدير الآية: أنهم لا يؤمنون بك إلا إذا جاءهم أحد هذه الأمور الثلاثة وهي: مجيء الملائكة أو مجيء الرب سبحانه وتعالى، أو مجيء الآيات القاهرة) (٢).
وقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٣).

ثانياً - التفريغ:

وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بصورة من صور الاستفهام.
كقوله تعالى : ﴿ آأَلْتِ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٤)، طلبوا من إبراهيم أن يقر ويعترف بأنه هو الذى كسر الأصنام، وما طلبوا منه أن يقر لهم بوجود تكسير فى الأصنام. لأن التكسير واقع وحاصل (٥).

ويرى الخطيب القزوينى أن الاستفهام على حقيقته إذ ليس فى السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه هو الذى كسر الأصنام (٦).

وهذا فيه نظر، وذلك لوجود الأدلة المشتركة على لسان إبراهيم عندما أقسم بالله ليحطمن هذه الأصنام ﴿ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ (٧). وعلى لسان المشركين ﴿ وَلَقَدْ سَمِعْنَا قَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٨).

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نُزَيِّنْكَ فِينَا وَلَيْدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (٩).

- | | | | |
|-----|--|-----|--------------------------------|
| (١) | الأصنام: ١٥٨. | (٢) | تفسير الرازي: ج ١٤، ص ٦. |
| (٢) | البقرة: ٢٥٥. | (٤) | الأنبياء: ٦٢. |
| (٥) | أنظر: دلائل الإعجاز، ١١٣، تحقيق: محمود شاكر. | (٦) | إنظر: الايضاح للقزويني، ص ٢٣٥. |
| (٧) | الأنبياء: ٥٧. | (٨) | الأنبياء: ٦٠. |
| (٩) | الشعراء: ١٨. | | |

فإن موسى لا ينكر ذلك، وإنما يريد فرعون تثبيت هذا الأمر (١).

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (٣). أى: شرحنا لك صدرك بلا ريب ولا شك، ووجدناك يتيمًا فأويناك، وضالًا فهديناك، وفقيرًا فأغنيناك.

وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (٥).

فهذا استفهام تقرير معناه التحقيق والتثبيت. لذلك ذهب كثير من العلماء إلى أن معنى هل فى الآية الكريمة (قد) أى: قد أتى على الإنسان حين من الدهر (٦).

وكقول الشاعر:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أى: أنتم كذلك.

ثالثا - الاستبطاء:

وهو تأخر الجواب أو عد الشيء بطينا فى زمن انتظاره. نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٧). فاستبطاء المسلمون النصر لما هم فيه من المحن والكوارث، وذلك لأن الرسل عليهم السلام يكونون فى غاية الثبات والصبر وضبط النفس عند نزول البلاء.

(١) إنظر: البلاغة فنونها وأنهاها، د. فضل عباس، علم المعاني، ص ١٩١. دار الفرقان.

(٢) الشرح: ١. (٣) الضحى: ٨٦.

(٤) الفيل: ٢. (٥) الإنسان: ١.

(٦) البلاغة، فنونها وأنهاها، ص ١٩٣. (٧) البقرة: ٢١٤. *حاصل ٢٠٠٤*

فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغت بهم الشدة إلى هذه الدرجة العظيمة قيل لهم : إلا إن نصر الله قريب. فتقدير الآية: هكذا كانت حالهم إلى أن أتاهم نصر الله ، ولم يغيرهم طول البلاء عن دينهم ، وأنتم يا معشر المسلمين كونوا على ذلك وتحملوا الأذى والمشقة في طلب الحق فإن نصر الله قريب (١) .

ولو قيل : كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده أن يقول على سبيل الاستبطاء متى نصر الله؟ وعن هذا يجيب صاحب التفسير الكبير بقوله: "أن كونه رسولا لا يمنع من أن يتأذى من كيد الأعداء. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (٢). وقال تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (٤). وعلى هذا فإذا ضاق قلبه، وقلت حيلته، وكان قد سمع من الله تعالى أنه ينصره إلا أنه ما عين له الوقت في ذلك، قال عند ضيق قلبه : متى نصر الله حتى إنه إن علم قرب الوقت زال همه وغمه وطال قلبه - والذي يدل على صحة ذلك أنه قال في الجواب إلا إن نصر الله قريب (٥):

وكقول الشاعر :

حتى متى أنت في لهو وفي لعب الموت نحوك يهوى فاغرا فاه

وكقولك لمخاطب دعوته فأبطأ في الاستجابة لك : (كم دعوتك ؟) فليس المراد هنا الاستفهام عن عدد مرات الدعوة ، وإنما المراد : أن تكرر الدعوة قد باعد بين زمن الإجابة وزمن السؤال، وفي ذلك إبطاء. ولهذا جاء السؤال دالا على استبطاء تحقق المسئول عنه وهو الاستجابة للدعوة المتكررة (٦).

(١) الحجر : ٩٧ .

(٢)

أنظر : تفسير الفخر الرازي ، ج ٦ ، ص ١٨ .

(١)

يوسف : ١١٠ .

(٤)

الشعراء : ٣ .

(٣)

علم المعاني ، ص ٢١٠ .

(٦)

أنظر : تفسير الرازي ، ج ٦ ، ص ١٩ .

(٥)

رابعا - الإهانة والتحقير:

وفيهما يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليدل على ضالة المسئول عنه والتصغير من شأنه مع معرفة المتكلم أو السائل به^(١).

كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٢). قالوا إهانة للرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التنقص والازدراء .

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾^(٣). فقد استصغر ابراهيم عليه السلام هذه العبادة الموروثة عند قومه، وانتقص من قدرها وإستهان بها حتى أنهم لم يجدوا مبررا لاعتكافهم على هذه العبادة الباطلة إلا لأنها دين الآباء والأجداد .

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾^(٤) مستهينا بهذه العبادة ومنكرا عليهم ذلك. ولهذا قال عز وجل: ﴿أَنفِكَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) .

ومنه قول الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى أطنين أجنحة الذباب يضير؟

جعله كأنه قد ظن أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن أن وعيده يضير^(٦). فإن كان الطنين يضر بالإنسان، فكذلك وعيدك يضر بى. وهذا فى غاية الإهانة والتحقير لصاحب الوعيد .

(١) الفرقان : ٤١ .

(٢)

(١) المرجع السابق، ص ١٠٩ .

(٣) الصفات : ٨٥ .

(٤)

(٣) الأنبياء : ٥١ - ٥٣ .

(٦) أنظر: دلائل الإعجاز، ص ١٢١ .

(٦)

(٥) القصص : ٨٦ ، ٨٧ .

خامسا - التكمم والسخرية :

وهو إظهار السخرية وعدم المبالاة بالمسئول عنه ولو كان إنسانا عظيما، وهذا قريب من الإهانة والتحقير. نحو قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَابُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (١). فاستخفوا بشعيب وصلاته لأنه كثير الصلاة وكان قومه كلما رأوه يصلى سخروا منه فقالوا : صلاتك تأمرك أن نترك دين آبائنا وأجدادنا وألا نطفف في موازيننا وأموالنا إن هذا لهو عين الرشد والصواب .

وقوله تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مِمَّا كُم لَا تَنْطِقُونَ ﴾ (٢). قال لهم هذا القول تهكما بهم .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣). فإن الله عالم به لا يخفى عليه شيء ، وفيه إشارة إلى أن الدين ينبغي أن يكون لله وأنتم أظهرتموه لنا لا لله فلا يقبل منكم ذلك (٤).

سادسا - الوعيد والتهديد:

كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٥) . أي المكذبين للرسول المخالفين لما جاءوهم به . فهو للأمم المتأخرة حتى لا تعصى رسولها فيصيبها ما أصاب الأولين، وهذا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴾ (٦).

ومن الوعيد قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ

(٢) الصفات : ٩١ .

(٤) تفسير الرازي : ٢٨ ، ص ١٢٣ .

(٦) المرسلات : ١٧ .

(١) هود : ٨٧ .

(٣) الحجرات : ١٦ .

(٥) المرسلات : ١٦ .

طَقَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ صَوْلَاتٍ إِنَّ رَبَّكَ
لِبِالْمِرْصَادِ (١).

فذكر الله قصتهم في القرآن ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، ولقد كانوا عصاة متمردين
ومكذبين لرسلمهم خارجين عن طاعتهم فأهلكهم الله بأنواع من العذاب، وما منع هذا
العذاب ما ملكوا من قوة وبطش. فالوعيد والتهديد للمتأخرين جاء عبر الاستفهام في أول
الآيات.

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ (٢).



وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحَ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (٣).

ومنه قولهم لمن يسئء الأدب : ألم أودب فلانا إذا كان عالما بذلك (٤).

سابعاً - التصوية :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ .. ﴾ (٥) فإنذارك وعدم إنذارك لهم سواء، ولذلك ختمت الآية بقوله لا يؤمنون
ليبين أنهم كفار في كلا الحالين .

وقد سماه أبو عبيدة في مجازة بإستفهام الإخبار (٦). ومثل له المبرد بقوله : ليت
شعري أقام زيد أم قعد (٧).

ومنه قول المتنبي :

ولست إبالي بعد إدراك العلا أكان تراثا ما تناولت أم كسبا (٨)

- | | | | |
|-----|--|-----|--------------------------------------|
| (١) | الفجر : ٦ - ١٤ | (٢) | الفيل : ١ . |
| (٣) | هود : ٨١ . | (٤) | شرح عقود الجمال، ص ٥٤ - السيوطي. |
| (٥) | البقرة : ٦ . | (٦) | مجاز القرآن، أبو عبيدة، ج ٢، ص ١٥٨ . |
| (٧) | المنتخب للمبرد، ج ٢، ص ٥٣ . | | |
| (٨) | إنظر : معجم المصطلحات البلاغية، ج ١، ص ١٨٨ . | | |

ثامنا - الأمر :

كقوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَتَّفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (١).
 قيل : الاستفهام فى الآية أمر بالتفكر والتدبر لطلب المعرفة. وفى اللفظ محذوف
 والتقدير : أو لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة (٢).

وكقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ﴾ (٣) وهو تقرير
 فى ضمنه الأمر، أى أسلموا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (٤) والتدبر : النظر فى أعقاب الأمور
 وتأويلات الأشياء ، هذا كله يتضمنه قوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ وهذا أمر
 بالنظر والاستدلال (٥).

وكقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٦). أى أسلموا . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٧) أى تذكر آيات الله ، وكقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ
 مُنْتَهُونَ ﴾ (٨).

وجاء التعبير عن الأمر بلفظ الاستفهام لكون المخاطب معاندا بعيدا عن الإنصاف،
 لأن المنصف إذا ظهرت له الحجة لم يتوقف بل يقبل فى الحال (٩). وإيراد الأمر بصورة
 الاستفهام فضلا عما فيه من تعبير مؤدب - لأنك تترك المخاطب بالخيار بين أن يفعل
 وألا يفعل - فيه إغراء بالعمل وحث عليه (١٠).

(١) الأعراف : ١٨٤ . (٢) التفسير الكبير، ج ١٥، ص ٧٥ .

(٣) آل عمران : ٢٠ . (٤) النساء : ٨٢ .

(٥) أنظر : المحرر الوجيز، ج ٤، ص ١٤٦ . (٦) هود : ١٤ .

(٧) القمر : ٤٠ . (٨) المائدة : ٩١ .

(٩) أنظر : الفجر الرازى، وأثره فى علم البلاغة، ص ٥٧ .

(١٠) أنظر : المحرر الوجيز، وأثره فى الدراسات البلاغية، ص ١٧٢ .

تاسعا - النهي :

نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) . أى لا تخشوا الأعداء فالله أولى بالخوف والخشية بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ فَالَهُ أَكْبَرُ ﴾ (٢) .

عاشر - الإنكار :

وينقسم إلى قسمين :

(١) الإنكار التوبيخي :

وهو إما للتوبيخ على أمر وقع فى الماضى بمعنى : ما كان ينبغى أن يكون ، نحو قولهم : أعصيت ربك ؟ وإما للتوبيخ على أمر واقع فى الحال أو خيف وقوعه فى المستقبل ، بمعنى : لا ينبغى أن يكون هذا الأمر . نحو قولهم : أتعصى ربك ؟ تقول هذا لمن هو واقع فى المنكر أو لمن هم أن يقع فيه .

وكقولك للرجل الذى يركب الخطر : أخرج فى هذا الوقت ؟ أتذهب فى هذا الطريق ؟

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

فالاستفهام فى أتؤمنون للإنكار والتوبيخ (٤) . فانكر الله عليهم هذا التفريق بين أحكامه ووبخهم على ذلك .

(١) النوبة : ١٣ . (٢) المائدة : ٤٤ . (٣) البقرة : ٨٥ . (٤) البحر المحيط ، أبو حيان ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

وكقوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثُلُونِ الْكِتَابِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) . فالاستفهام خرج فى قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ ﴾ عن معناه الأسمى إلى التوبيخ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وقد يبدو فى بعض أساليب الإستفهام أن المتكلم ينكر الأمر على نفسه فى الظاهر وإن كان مراده إنكاره على الآخرين يريد بذلك التلطف فى النصيح، وعدم مواجهة المخاطبين بالإنكار حتى لا ينسب القبح إليهم فيثير غضبهم، وهذا أسلوب لطيب فى الإنكار تتألف به القلوب فتقبل النصيح وتبتعد عن الخطأ (٣) . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ (٤) . يريد : أغير الله تبتغون بدليل قوله : ﴿ أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ ﴾ .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَ مَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥) فإنه يريد : وما لكم لا تعبدون الذى فطركم لتستقيم العبارة مع قوله وإليه ترجعون .

وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ (٦) ، والمعنى : أنه لما قرر معهم أن الله تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٧) ، ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ (٨) ، وأنه سميع عليم أمر أن يقول لهم على جهة التوبيخ والتوقيف : أغير هذا الذى هذه صفاته أتخذ وليا ؟ بمعنى أن هذا خطأ لو فعلته بين، وتعطى قوة الكلام أن من فعله من سائر الناس بين الخطأ (٩) .

(١) البقرة : ٤٤ . (٢) الصافات : ٩٥ .

(٣) فن البلاغة: ص ١٣٨ . (٤) الأنعام : ١١٤ .

(٥) يس : ٢٢ . (٦) الأنعام : ١٤ .

(٧) البقرة : ١١٦ . (٨) الأنعام : ١٣ .

(٩) إنظر : المحرر الوجيز وأثره فى الدراسات البلاغية، ص ١٧٩ . د. محمد علوان .

٢) الإنكار التكذيبى : وهو إما أن يكون إنكاراً للتكذيب فى الماضى بمعنى : لم يكن . فإذا ادعى المخاطب وقوع شىء فى الماضى أتى بالاستفهام الإنكارى تكديباً له فى دعواه نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخِذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) . فأنكر الله عليهم لما صدر منهم من هذه الدعوة الباطلة أنها لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾ (٣) . أى : أخصمكم ربكم بالذكر وخص نفسه بالبنات؟ فالاستفهام إنكارى تكذيبى بحيث أنكروا الله عليهم هذا الافتراء وكذبهم فى دعواهم الباطلة .

وإما أن يكون الإنكار التكذيبى بمعنى : لا يكون ، وهذا يخص الحال والمستقبل ، نحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ يَدَيْكُمْ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (٤) . أى أنكروكم على قبول الإيمان وأنتم كارهون للرسالة فهذا لا يكون منا أبداً .

وعليه قول الشاعر :

أيقنتلى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأتياب أغوال

وقول الشاعر :

أترك إن قلت دارهم خالد زيارته إني إذا للثيم (٥)

وهناك أغراض بلاغية أخرى : منها :

- التمنى : كقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ (٦) .

(١) البقرة : ٨٠ . (٢) فتح القدير، ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٣) الإسراء : ٤٠ . (٤) هود : ٢٨ .

(٥) أنظر : الإيضاح، ص ٢٣٧ . (٦) آل عمران : ٥٣ .

- العرض : كقوله تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

- التعجب : كقوله تعالى : ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهَيْدَةَ ﴾ (٣).

- التشويق : كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

وكقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥).
فلاستفهام هنا خرج إلى الترغيب في الجهاد إذ المقصود من هذه الآية مزيد بيان من الترغيب (٦).

- الاستبعاد: كقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا مَجْذُونٌ ﴾ (٧).

- الاستعطاف : كقوله تعالى : ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْأُسْفَهَاءُ مِنَّا ﴾ (٨) فهو استفهام استعطاف أى : لاتهلكنا (٩).

الفرقان : ٧ .

(٢)

النور : ٢٢ .

(١)

الصف : ١٠ ، ١١ .

(٤)

النمل : ٢٠ .

(٣)

أنظر: التفسير الكبير، ج-١٦، ص ٥٥ .

(٦)

التوبة : ١٦ .

(٥)

الأعراف : ١٥٥ .

(٨)

الدخان : ١٣ ، ١٤ .

(٧)

رابعاً : التمنى :

هو طلب أمر محبوب لايرجى حصوله إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً غير مطموح في نيته (١).

فالأول : كقول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

فعودة الشباب أمر محبوب، ولكنه مستحيل الحصول.

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ﴾ (٣).

وعليه قول العجاج : ياليت أيام الصبا رواجعاً .

والثاني : كقوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ (٤).

فطلب الغنى على هذه الصورة شيء محبوب، ولكنه صعب المنال .

وقد يتمنى بـ (هل) نحو قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ

يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا

لَنَا ﴾ (٥). مع أنهم يعلمون علم اليقين أنه لا شفيع لهم، ولكنهم تمنوا ذلك بهل لابرار

الشيء المتمنى في صورة الممكن لكمال العناية به .

وقد يتمنى بـ (لعل) نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صرْحَا

لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ الْأَسْبَابَ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى ﴾ (٦) . فبلوغ فرعون

(٩) انظر : الفخر الرازي وأثره في علم البلاغة - د. محمد علوان، ص ٦٣.

(١) أنظر : الإيضاح، ص ٢٢٧، والمطول-التفازان. ج ٢ ص ٢٣٩، وعلوم البلاغة، المراغي، ص ٦٠.

(٢) مريم : ٢٣. (٣) الأنعام : ٢٧.

(٤) الأعراف : ٥٣. (٥) القصص : ٧٩.

أسباب السموات أمر مستحيل. وهذا يقتضى استعمال الأداة التى وضعت للتمنى وهى ليت، ولكنه استعمل بدلا منها لعل التى تفيد الرجاء، وسبب هذا العدول هو إيراد الأمر المستحيل فى صورة الممكن إظهارا لكمال العناية به والتشويق إليه^(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ ﴾^(٢).

وقد يمتنى بـ (لو) نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِيعِ الْمُكذِّبِينَ وَدُوا لَوْ تُدْهِنُونَ فَيُدْهِنُونَ ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾^(٤). فاستعمل لو للتمنى بدلا من ليت لاطهار التمنى فى صورة الممتنع علما بأن لو فى أصل استعمالها حرف امتناع لامتناع فامتنت البراءة لامتناع الكرة، كقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^(٥) فامتنت الفساد لامتناع تعدد الالهة.

الفرق بين التمنى والترجى:

- التمنى : هو طلب حصول الشيء المحبوب، والترجى: هو ترقب حصول الشيء^(٦).

- التمنى قسم من أقسام الإنشاء الطلبى ، والترجى قسم من أقسام الإنشاء غير الطلبى وأفعال الرجاء : عسى وحرى واخولق ..

ولهذا تدرك أن ما استقر عند بعض الناس أن التمنى طلب المستحيل والترجى طلب الممكن خال من الدقة، لأن التمنى قد يكون لغير المستحيل كما رأينا. هذا من جهة ومن

(٦) غافر : ٣٦ ، ٣٧ .

(١) فن البلاغة: ص ١٥٢ .

(٢) يس : ٧٤ .

(٣) البقرة : ١٦٧ .

(٤) الفلم : ٨ ، ٩ .

(٥) الأنبياء : ٢٢ .

(٦) أنظر : نقل بتصرف من البلاغة فنونها وأنها - علم اللسان، ص ١٥٦ .

جهة ثانية فإن الترجى ليس طلباً، وإنما هو ترقب حصول الشيء.

خامساً - النداء :

وهو طلب الإقبال من المخاطب بحرف من حروف النداء.

ومن هذه الأحرف :

(١) الهمزة وأى: وهما لنداء القريب .

نحو قولهم : أفاطم . وأبنى كما فى قول المفضل الضبى فى رثاء ابنه:

إبنى لا تبعد وليس بخالد حى ومن تصب المنون بعيد

وكما تقول لمن يسمعك، ولمن هو قريب منك: أى بنى.

(٢) يا - أيا - وا : وهى لنداء البعيد.

أما (يا) : فهى أكثر أدوات النداء استعمالاً.

كقوله تعالى: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ

بَغِيًّا ﴾ (١). وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ أَنْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ (٢). وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ

أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴾ (٣). وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ

أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ ﴾ (٤).

ومنه قول الفارعة بنت طريف ترثى أخاها الوليد :

فيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تحزن على ابن طريف

وأما (أيا) : فكقول الشاعر :

(١) مريم : ٢٨ . (٢)

(٣) هود : ٤٤ . (٤) التوبة : ٢٣ .

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة لمن تجمع الدنيا وأنت تموت
وكقول الشاعر :

أيا منازل سلمى أين سلماك من أجل هذا بكيناها بكيناك
أما (وا) : فتستعمل للندبة .

نحو قولهم : وامعتصماه ، واحر قلباه .

(٣) هيا - أ - أى: وهى أقل الأدوات استعمالا.

فنقول : هيا ذكريات الماضى ، أ فلسطين سلاما واعتذارا ، أى بنى قومي.

أخرى ويخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من السياق والقرائن
منها :

(١) الإغراء: وهو حث المخاطب على الفعل الطيب والبعد عن الفعل السىء.

كقول الشاعر:

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وكقولك للجندى المتردد فى الدفاع : يا شجاع تقدم.

وكقولك لمن أقبل يتظلم : يا مظلوم.

وقولك : ويا نزيه تعفف عن الصغائر.

فهذه الأمثلة لا يقصد بها النداء، وإنما يريد بها إغراء المخاطب على الفعل

الطيب.

(٢) الاستغاثة: نحو : ياناه للمسلمين، ويا ناصر العدل للمظلوم، ويا أصحاب القوة

للضعفاء.

وكقول الشاعر:

يالرجال نوى الألباب من نفر لا يبرح السفه المردى لهم دينا

(٣) التحسر: كقول الشاعر في رثائه لمعن بن زائدة :

فيا قبر معن كيف وارىت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا^(١)

وقول الشاعر :

بكيك يا على بدمع عيسى فما أغنى البكاء عليك شيئا
وكانت في حياتك لى عظة وأنت اليوم أوعظ منك حيا
وواضح أن الشاعر لا ينادى ابنه لأنه ميت، وإنما يتحصر على فقده وموته.

(٤) التعجب : نحو قول الفرزدق:

فواعجبا حتى كليب تسبني كأن أباهما نهشل أو مجاشع

فالفرزدق يتعجب من جرأة جرير وقومه عليه.

وكقولهم: يا لجمال السماء ويا لسمو الرجال ط.

(٥) الندبة : كقول الشاعر :

فواكبدي مما ألقى من الهوى إذا حن إلف أو تألق بارق

فهو يندب نفسه، ويتوجع على كبده مما يلاقيه من العشق والهيام.

(١) مترعا : مملوء من جرده وكرمه.

التعريف والتكثير

التعريف ما دل على شئ بعينه، والتكثير ما دل على شئ ليس بعينه^(١).

وعلى ذلك فالمعرفة أخص من النكرة، وكلما كانت أخص كانت أتم دلالة على المراد من النكرة . وتستخدم المعارف في القرآن الكريم في مواضعها الجديرة بها، ولها أغراض بلاغية يمكن أن نفهم من سياق الآيات.

ومن هذه الأغراض :

(١) التفخيم والتعظيم :

كقوله تعالى : ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ، فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾^(٢).

وهذا في غاية التفخيم، لأن الأمر لا يستطاع تحديده بوصف مهما بولغ في هذا الوصف . وفي ذلك ترك للخيال يسبح ليكمل الصورة ويرسمها.

وكقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٣) وفيه تعظيم لشأن الصناعة. لأنها صناعة الله جل شأنه.

ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾^(٤). ففيه تعظيم

لشأن العباد لأنهم عباد الله عز وجل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٥). فجاء

التعبير باسم الإشارة الذي يدل على البعيد للتعظيم .

وقوله تعالى : ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ ﴾^(٦) ولم يقل: هذا الذي، مع

حضوره، لبعد منزلته في الحسن .

(٢) طه : ٧٨ .

(٤) الحجر : ٤٢ .

(٦) يوسف : ٣٢ .

(١) البلاغة العربية : ٥ . احمد مطلوب ، ١٠٦ .

(٣) النمل : ٨٨ .

(٥) البقرة : ٢٠١ .

ويأتى اسم الإشارة الذى يدل على القرب لإفادة التعظيم كما فى قوله تعالى :
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴾ (١).

ألا ترى أن قوله تعالى : **﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾** جاء لئفى الريب، وهذا يستدعى البعد. وقوله تعالى : **﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ ... ﴾** ذكر الهداية، وهذا يستدعى القرب حتى يكون الهادى قريباً من المهدي .

(٢) التحقير :

كقوله تعالى : **﴿ وَإِذَا رَأَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾** (٢). وكان فى اسم الإشارة القريب ما يشير إلى أن هذا الشخص القريب منا ، والذى نعلم فى أموره ما نعلم لاتقبل منه دعوى الرسالة، ولا يليق به أن يذكر الهتنا بسوء (٣).

وكقوله تعالى : **﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾** (٤).

ومنه قوله تعالى : **﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾** (٥).

(٣) الـذم :

مثل قوله تعالى : **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾** (٦). وقوله تعالى : **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾** (٧).

وقوله تعالى : **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾** (٨).

- | | | | |
|-----|-------------------------------------|-----|-----------------|
| (١) | الإسراء : ٩ . | (٢) | الأنبياء : ٣٦ . |
| (٣) | من بلاغة القرآن، احمد بلوى، ص ١٣٥ . | (٤) | الفرقان : ٤١ . |
| (٥) | المسد : ١ . | (٦) | الحج : ٨ . |
| (٧) | العنكبوت : ١٠٠ . | (٨) | لقمان : ٦ . |

ففي هذا وغيره ذم لمن يتصف بذلك، ودعوة له في صمت إلى الإقلاع والكف.

ومن خصائص التعريف باسم الموصول: استطاعته أن يخفى تحت اسم المذنب، وفي ذلك من الرجاء في هدايته ما ليس في افشاء اسمه وفضيحته^(١) كما في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.

(٤) زيادة التقرير:

كقوله تعالى: ﴿ وَرَأَوْدَتُهُ لَيْلِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٢).

فالغرض من التعريف باسم الموصول: هونزاهة يوسف عليه السلام، وبعده عن مظنة الريبة، وهذا التعبير أوضح في الدلالة على هذا الغرض مما لو قيل امرأة العزيز لأنه إذا امتنع على الفحشاء مع كونه في بيتها وتحت سلطانها ووسائل إغرائه موفورة عندها كان ذلك غاية في النزاهة والطهارة^(٣).

والتنكير يأتي لأغراض بلاغية تفهم من السياق والقرائن، ومنها:

(١) الإفراد:

كقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(٤).

فليس المراد في الآية تعيين الرجال، ولكن المراد هو أن يصل خبر الانتمار عليه بالقتل، فيخرج من المدينة. إذ المقصود قص القصة المتعلقة به للموعظة والذكرى، وذلك القصد يتحقق دون تعيين من تتعلق به^(٥).

(٢) يوسف: ٢٣.

(١) من بلاغة القرآن، ص ١٣٦.

(٣) انظر: علوم البلاغة، للرامعي، ص ١٠٨. من بلاغة القرآن، ص ١٣٧. والاشارات والتنبهات للرحمان، ص ٣٨.

(٥) علم المعان: د. دريش الجندي، ص ٩١.

(٤) القصص: ٢٠.

(٢) التعظيم :

كقوله تعالى : ﴿ ولکم فی القصاص حياة یا أولی الألباب لعلکم تتقون ﴾ (١).

أى : حياة عظيمة. وهنا نجد المراد من مطلق حياة، وهو ما يستفیده المجتمع من حکم القصاص، فكثير من الناس يرتدعون من القتل خوفا من القتل فكانت الحياة لكليها، وفيها رادع لسفاکی الدماء عن تماديهم فى القتل، ومنع ما كانت عليه العرب من قتل جماعة بواحد.

وقوله تعالى : ﴿ قل قد جاءکم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قاتم فلم تقتلتموهم إن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبور والكتاب المنير ﴾ (٢).

أما التعظيم فيستفاد من وصف هؤلاء الرسل بأنهم جاءوا بالبينات. فالمقام هو الذى عظم هؤلاء الرسل .

وقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب ﴾ (٣).

فذهب بعضهم إلى أن التكرير (نصيبا) يفيد التقليل أى: أتوا حظا قليلا فلماذا الغرور، بينما ذهب آخرون إلى أن التكرير هنا يفيد التكرير أو التعظيم، أى: أتوا حظا وافرا يمكنهم من معرفة الحق فلم هذا الجحود إذن؟ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك ﴾ (٥).

فالتكرير هنا فى كلمة (رسل) أفادت التكرير والتعظيم معا، فهم كثيرون من جهة، ورسول ذوو شأن يستحقون الإجلال والتعظيم من جهة أخرى.

(٢) آل عمران : ١٨٤ .

(٣) البلاغة: فنونها وأنها، ص ٣٣٠ .

(١) البقرة : ١٧٩ .

(٣) آل عمران : ٢٣ .

(٥) فاطر : ٤ .

(٣) التحقير:

كقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (١).

وفيه بيان حرص هؤلاء الناس على حياة لا يعنيههم أن تكون هذه الحياة رقيقة أو وضيفة، عزيزة أو حقيرة. ولهذا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة لشدة تعلقه وحببه بهذه الحياة.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ (٢) أى: إن نظن بالساعة إلا ظنا حقيرا ضعيفا. فتتكرر المفعول المطلق هنا للإشارة إلى تحقيره، وأنه ظن ضعيف (٣). والظن فى الآية جاء بمعنى الشك والتوهم، أى: ونتوهم توهمًا، ولذلك قالوا وما نحن بمستيقنين (٤).

وقوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّأَكَ رَجُلًا﴾ (٥)

وقوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَى شَىءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (٦) فالتكثير فى هذه الآيات جاء للتحقير.

(٤) النوعية:

كقوله تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٧).

أى: نوع من الغشاوة، ونوع من العذاب.

(١) البقرة: ٩٦.

(٢) الجاثية: ٣٢. {وإذ قيل أن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة أن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين}

(٣) علم المعان: د. درويش الجندى، ص ٩٤.

(٤) فتح القدير: ج ٥، ص ١٠.

(٥) الكهف: ٣٧.

(٦) عبس: ١٧-١٩.

(٧) البقرة: ٧.

قال الزمخشري : إن على أبصارهم نوعا من الأعطية غير ما تعرفه الناس، وهو غطاء التعامى عن آيات الله^(١). ويرى السكاكي: أن التكرير هنا للتعظيم أى: غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم دفعة واحدة تحول بينهم وبين الإدراك^(٢).

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٣).

فالتكرير فى قوله ﴿ من ماء ﴾ أى : خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة ، أو من ماء مخصوص وهى النطفة^(٤).

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾^(٥).

أى : نوع من الحرب لا يعلمها إلا الله. وهذا تهديد شديد ووعد أكيد لمن استمر على التعامل بالربا، وإن حربا يتوعد بها الله لهى كقيلة بأن تثير فى النفس الخوف والرعب.

ومنه قول الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقه أعيت من يداويها

أى لكل داء نوع من الدواء خاص به .

(١) الكشف : الزمخشري، ج ١ ص ٥٣.

(٢) أنظر : مفتاح العلوم للسكاكي، ص ١٩٣. دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٣) النور : ٤٥.

(٤) أنظر: المفتاح، ص ١٩١، والاشارات والتنبهات، ص ٤١. (٥) القرآنة : ٢٧٩.

(٥) التشويق :

كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (١).

فالتشويق في هذا المقام كان مثيراً للشوق والرغبة في المعرفة .

(١) الصف : ١٠ .

التكرار

التكرار في اللغة : هو مصدر كُـرر، إذا ردد وأعاد يقال: كُـرر الشيء تـكـريراً وتكراراً، أعاده مرة بعد أخرى^(١).

وفي الاصطلاح هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً^(٢).

وينقسم التكرار إلى قسمين :

(١) تكرار في اللفظ والمعنى .

(٢) تكرار في المعنى دون اللفظ.

الأول : تكرار في اللفظ والمعنى .

كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾^(٣).

ففي الآيتين تكرار في اللفظ والمعنى ، وهو قوله تعالى : (يحق الحق) و (ليحق الحق) . وإنما جيئ به هنا لاختلاف المراد ، وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين : إرادة الله، وهي الجمع بين الطائفتين بين المؤمنين، وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال، وإرادة المؤمنين، وهي: لقاء الطائفة التي لا منعة فيها ولا قتال.

والثاني : بيان الغرض من اختيار ذات الشوكة على غيرها. فنصر الله

المؤمنين على الكافرين في هذا اللقاء، وأظهر دينه ورفع كلمة الإسلام والمسلمين عالية خفاقة .

(١) أنظر : اسرار التكرار في لغة القرآن، د. محمد شيخون، ص ٩٠، مكتبة الكليات الأزهرية، ومعجم المصطلحات البلاغية،

ج ١ ص ٣٣٨.

(٢) الملل السائر لابن الأثير، ج ٣، ص ٣. (٣) الأنفال : ٧ - ٨.

ومن التكرار قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ (١).

فكرر قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ والمراد به غرضان مختلفان:

فالأول : إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة له والإخلاص في دينه.

والثاني : إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه. ولذلك قدم المعبود وهو لفظ الجلالة على فعل العبادة، وأخره في الأول؛ لأن الكلام واقع في الفعل (٢).

وقد يكون التكرار في اللفظ والمعنى ، والمراد به غرض واحد. نحو قوله تعالى : ﴿ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرْتُمْ قِيلَ قَدَّرَ ﴾ (٣). فالتكرار يفيد التعجب من تقديره، وتفكره، وإصابته الغرض والهدف الذي رسمه. ومن أجل ذلك نقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهما في المعنى سواء، وإنما كرر القول لتقرير المعنى وإثباته (٤).

وهذا حكم التكرار في قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وذلك عند كل نعمة عددها على عباده ولعل هذا التكرار يثير في نفس سامعه اليقين بأنه ليس من الصواب أن ينكر الإنسان نعمًا تكررت وآلاء توالى.

ومنه قوله تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ (٥) و ﴿ وَالْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٦).

فالتكرار أفاد التعظيم والتفخيم. وقد جعلها ابن أبي الإصبع للوعيد والتهديد (٧).

(١) الرمز : ١١ - ١٥ (٢) أنظر : المثل السائر، جـ ٣، ص ٥.

(٣) المدثر: ٢٩ - ٣٠ (٤) المثل السائر: جـ ٣، ص ١٠.

(٥) القارعة : ١ (٦) الحاققة : ١.

(٧) أنظر : ابو الفتح عثمان ابن جنى وأثره في علم البلاغة، د. نعمان علوان، ص ٧٥.

الثاني : التكرار في المعنى .

كقوله تعالى : ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) . فإن الأمر بالمعروف خير، وليس كل خير أمر بالمعروف . فهذا تكرار في المعنى يدل على معنيين: أحدهما: عام والآخر: خاص، وذلك أن الخير أنواعه كثيرة من مجملها الأمر بالمعروف. وفائدة التكرار هنا: التبيينه على فضل الخاص.

وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٢) . فهو تأكيد بتكرار الشيء بغير اللفظ الأول. وهذا قول السيد عندما اقترب ذنوبا فعاقبه عند آخرها (هَذَا بِمَا عَصَيْتَنِي وَخَالَفْتَ أَمْرِي) .

ويكون التكرار في المعنى للدلالة على غرض واحد، ولا نجد شيئا من ذلك يأتي في الكلام إلا لتأكيد الغرض المقصود كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) . فإن البث والحزن بمعنى واحد، وإنما كرره لشدة الخطب النازل به.

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن فِي أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) .

فإنه كرر العفو والصفح والمغفرة، والجميع بمعنى واحد للزيادة في تحسين عفو الوالد عنه والزوج عن زوجه.

(١) آل عمران : ١٠٤ . (٢) البقرة : ٦١ .

(٣) يوسف : ٨٦ . (٤) التغابن : ١٤ .

الأغراض البلاغية للتكرار :

(١) التقوية :

كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (١). فتكرار إرادة الله التوبة على عبادة " تقوية للإخبار الأول، وليس المقصد في هذه الآية إلا الإخبار عن إرادة الذين يتبعون الشهوات فقدمت إرادة الله توطئة مظهرة فساد إرادة متبعي الشهوات" (٢).

فالتقوية التي أَرادها ابن عطية هنا هي تغلبة الحكم الأول .

(٢) التنبيه لأمر عظيم :

كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٣).

فالتكرار في لفظ الجلالة جاء للتنبيه على أمر عظيم، ولايجوز إظهار الاسم إلا في المعاني الفخمة في النفوس التي يؤمن فيها اللبس على السامع فقال: وإلى الله ولم يقل واليه (٤).

ومنه قول الشاعر :

لا أرى الموت يسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

(٣) تأكيد البيان والعتبة :

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُنْقِصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَكُمُ بِخَيْرٍ وَإِنِّي

(٢) المحرر الوجيز، ج ٤، ص ٢٢.

(٢)

(١) النساء: ٢٦، ٢٧.

(٣) آل عمران : ١٠٩.

(٤) أنظر: المحرر الوجيز، وأثره في الدراسات البلاغية، ص ٢٠٧.

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ، وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١﴾.

فكر عليهم الوصية في الكيل والوزن تأكيداً وبياناً وعظة. لأن لا تنقصوا هي أوفوا بعينه لكنهما منحنيان إلى معنى واحد (٢).

٤) التهديد والتخويف :

كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

فالآية كررها عن قرب، لأنها تضمنت معنى التهديد والتخويف .

أى : إذا كان أولئك الأنبياء على إمامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم فأنتم أحرى، فوجب التأكيد، فلذلك كررها (٤).

٥) الإبلاغ والتحذير :

كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٥).

والتقدير : واذكر يوم يناديهم، وكرر هذا المعنى إبلاغاً وتحذيراً ، وهذا النداء عند ظهور كل ما وعد الرحمن على السنة المرسلين من وجوب الرحمة لقوم والعذاب لأخرين، ومن خضوع كل جبار لعزة رب العالمين فيتوجه حينئذ توبيخ الكفار فيقول الله لهم: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ؟ ﴾ على معنى التفريع (٦).

ففي هذا التكرار ما يوحى بالرهبة ويملأ القلب خوفا ورعبا من التكذيب بهذا

اليوم (١).

المحرر الوجيز: جـ ٧، ص ٣٧٦.

(٢)

هود : ٨٤، ٨٥.

(١)

المحرر الوجيز، جـ ١، ص ٥٠٩.

(٤)

الفرقة : ١٤١.

(٣)

المحرر الوجيز: جـ ١١، ص ٣٢٧.

(٦)

القصص : ٧٤.

(٥)

٦ المبالغة والتأكيد:

المبالغة: هي ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو في الضعف حدا مستحيلا أو

بعيدا..(٢)

والتأكيد : تمكين الشيء في النفس وتقويمه امره وفائدته: إزالة الشكوك، وإمطة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد (٣).

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ (٤).

أمر الله تعالى الجميع بالتعاون على البر والتقوى. قال قوم: هما لفظان بمعنى واحد وكرر باختلاف اللفظ تأكيدا ومبالغة اذ كل بر تقوى، وكل تقوى بر (٥).

والثاني : كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (٦).

فهى نعم من الله على الضابرين المسترجعين، وصلوات الله على عبده: عفوه ورحمته، وبركته، وتشريفه إياه فى الدنيا والآخرة، وكرر الرحمة لما اختلف اللفظ تأكيدا، وهى من أعظم أجزاء الصلاة منه تعالى (٧).

وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ (٨)

فغفران الذنوب وتكفير السيئات أمر قريب بعضه من بعض، لكنه كرر للتأكيد، ولأنها مناح من الستر وإزالة حكم الذنب بعد حصوله (٩).

ومن هنا يتضح لنا أن التكرار فى القرآن الكريم إنما جاء لأهداف عظيمة ومقاصد بليغة واشتمل على أسرار ولطائف ومعان قيمة كما تقدم.

ثمة ملاحظة أخيرة وهى: أن التكرار إذا جاء لفائدة وبيان سر خفى من الأسرار وإظهار لطيفة من اللطائف فإنه يكون إطنابا محمودا يعطى الكلام بلاغة وفصاحة، وإن كان بغير ذلك فهو عبارة عن حشو فى الكلام وتطويل لا فائدة منه.

(١) المعان فى ضوء اساليب القرآن: د. عبدالفتاح لاشين. ص ٣٥٧. ط ١٩٧٨. دار المعارف بالقاهرة.

(٢) علوم البلاغة، للمراغى، ص ٣١٣. (٣) الطراز، ج ٢، ص ١٧٦.

(٤) المائة: ٢. (٥) المحرر الوجيز وأثره فى الدراسات اللغوية، ص ٢١١.

(٦) البقرة: ١٥٧. (٧) أنظر: المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٣٤.

(٨) آل عمران: ١٩٣. (٩) المحرر الوجيز، ج ٣، ص ٤٦٥.

الاعتراض

هو كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقى الأول على حاله (١).
 فقولنا : محمد قائم . هذا كلام مفيد فإذا أدخلنا لفظاً مفرداً قلنا : محمد والله قائم . ولو أزلنا القسم بقی الكلام على حاله ولم يتغير معناه .
 وكذلك لو قلنا : محمد على ما به من المرض قائم . فأدخلنا ما بين المبتدأ والخبر لفظاً مركباً ، ولو حذفنا هذا الاعتراض لبقى الكلام على حاله لم يتغير معناه .
 ولقد أشار صاحب الخصائص إشارة هامة : إلى دلالة الاعتراض النفسية ، فقال : اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن ، وفصيح الشعر ، ومنثور الكلام وهو جار عند العرب مجرى التأكيد (٢).
 ويقول في موطن آخر : والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن ودال على فصاحة المتكلم وقوة نفسه (٣).

ومن أمثلة الاعتراض : قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (٤). وفيه اعتراضان : أحدهما : قوله {إنه لقسم لو تعلمون عظيم} وبين جوابه {إنه لقرآن كريم}. وفي نفس الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف (أقسم) وبين صفته (عظيم) بقوله (لو تعلمون) .
 ولو جاء الكلام غير معترض فيه لوجب أن يكون : فلا أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم وإنه لقسم عظيم لو تعلمون . ولكن جاء معترضاً جارياً على لسان العرب ، وفائدة هذا الاعتراض : تعظيم شأن المقسم به في نفس السامع .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥). فالاعتراض بين إذا وجوابها بقوله : ﴿ وَاللَّهُ

(١) المثل السائر : جـ ٣ ، ص ٤٠ .

(٢) الخصائص : لابن جني ، جـ ١ ، ص ٣٣٥ . دار الهدى للطباعة والنشر .

(٣) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ . (٤) الرائعة : ٧٥ ، ٧٦ .

(٥) النحل : ١٠١ .

أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ ﴿ وتقدير الكلام : وإذا بدلنا آية مكان آية قالوا إنما أنت مفسر . فكان المشركون إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها كذبوا الرسول واتهموه بالافتراء فجاء الاعتراض ليبين لهؤلاء أن هذا الكلام ليس من عند الرسول ، وإنما هو من عند الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِّلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (١).

فقوله: (سبحانه) اعتراض في الآية، وتقدير الكلام: ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون. ولما كان المقام مقام تنزيه جاء الاعتراض ليقف حاجزاً أمام المشركين وافتراءاتهم التي نسبوها إلى الله، فكأنه قال: ويجعلون لله البنات، والله منزّه عن قولهم وإفكهم، ولهم ما يشتهون من اختيار الذكور لأنفسهم تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(١) النحل : ٥٧.

التقديم والتأخير

التقديم من قدم أى وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك^(١)

وقال الزركشى عن التقديم والتأخير: هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم فى الفصاحة، وانقياده لهم، وله فى القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق^(٢).

وإن الألفاظ فى اللغة قوالب للمعانى، فيجب أن ترتب ترتيباً وضعياً بحسب ترتيبها الطبيعى ولكن قد يعرض لبعض الكلام من المزايا ما يدعوا لتقديمه وإن كان حقه التأخير فيكون من الحسن التقديم ليكون مشيراً إلى الغرض الذى يراد^(٣). وعلى ذلك فالتقديم والتأخير فى أجزاء الكلام لايتأتى اعتباراً، وإنما يكون لغرض بلاغى مقصود. ومن هذه الأغراض:

(١) التخصيص :

كقوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾^(٤). أفلا ترى أن الجحيم والسلاسل لن يقلت منها هذا العاصى الأثيم فقدمت لتفيد التخصيص وكأنها خاصة لهؤلاء الناس.

وقوله تعالى : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ إِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٥) فتقديم شاخصة على أبصار يصورها لك كأن كل صفة أخرى لها قد انمحت، ولم يبق لها سوى الانفتاح الذى يؤذن بالخوف والذهول^(٦).

ولذلك كان نفي الغول مقصوراً على الآخرة دون خمر الدنيا . فلا يوجد فيها الغول الذى يغتال العقول ويسبب دوران الرأس فيفقد الإنسان التوازن. قال

(١) أنظر : لسان العرب، مادة، (قدم وأخر). (٢)

أنظر : البرهان فى علوم القرآن، ج٣، ص ٢٢٣.

(٣) علوم البلاغة: للمراغى. ص ٩٢. (٤)

الحاقة : ٣٠ - ٣٢.

(٥) الأنبياء : ٩٧. (٦)

من بلاغة القرآن : ص ١١٢.

تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُتَزَفُونَ ﴾ (١).

وكقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٢) أى: دينكم الكفر ودينى الإسلام. والمعنى الكفر مختص بكم كما أن الإسلام مختص بى (٣).

ومنه، قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٤). فملك السموات والأرض مقصور على الله وحده، وكذلك المصير.

وقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥). أى : لا نعبد إلا أنت، ولا نستعين إلا بك فالعبادة والاستعانة مقصورة على الله وحده. وكان المعنى : نخصك بالعبادة ، ونخصك بطلب المعونة دون سواك، وهذا أبلغ من قولنا : نعبدك ونستعين بك .

ومن هذا القبيل قولنا : ما أنا قلت هذا . أى : لم أقله ، ولكنه مقول غيرى، فقدم المسند اليه وهو أنا، وسبق بنفى لافادة التخصيص، ولكنه لم ينف هذه المقولة عن غيره ولذلك لا يصح: ما أنا قلت هذا ولاقاله غيرى.

وقولنا : ما أنا ضربت زيدا . فلم نقل ذلك إلا وزيد مضروب، وكان القصد أن تنفى أن تكون أنت الضارب، ومن أجل ذلك لا يصح أن تقول: ما أنا ضربت زيدا ولاضربه أخذ غيرى .

ومنه قول الشاعر:

ما أنا أسقمت جسمى به ولا أنا أضمرت فى القلب نارا

(١) الصفات : ٤٧ .

(٢) الكافرون : ٣ .

(٣) انظر : فن البلاغة، ص ١٠٨ .

(٤) النور : ٤٢ .

(٥) الفاتحة : ٤ .

(٢) تقوية الحكم وتقريره في نفس السامع :

كقوله تعالى : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (١). فقدم الاسم لبيان أن المخلوق لا يستحق العبادة فالحكم المقصود هو بطلان العبادة لغير الله واستحقاقها لله رب العالمين، فجاء التقديم ليقوى هذا الحكم في نفوس السامعين .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

وكقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

وكقوله تعالى : ﴿ فَعَمَّيْتُ عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٤).

فتقديم الضمير أبلغ لأن التوكيد يكون للحكم، وليس للمحكوم عليه.

ومنه قول الشاعر :

هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباح يبذ المغاليا

فلم يرد أن يدعى لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها كأنه يعرض بقوم آخرين فينفى أن يكونوا أصحابها، وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل وأنهم يقتعدون الجياد منها، وأن ذلك دأبهم، ومن غير أن يعرض لنفيه عن غيرهم. إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم (٥).

وكذلك قولك في شخص كريم: هو يحب الثناء، وهو يعطى الجزيل.

فأنت لا تريد أن تقصر العطاء وحب الثناء عليه، وتتفيه عن غيره ولكنك تريد أن تؤكد أن العطاء الجزيل وحب الثناء من عادته ودأبه، وأنه متمكن منه غاية التمكن.

قال عبد القاهر الجرجاني: ومما يرى تقديم الاسم فيه كاللزام (مثل) و(غير)

في نحو قوله :

(١) الفرقان : ٣. (٢) المؤمنون : ٥٩.

(٣) يس : ٧. (٤) القصص : ٦٦.

(٥) دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني، ص ١٦٥، مكتبة القاهرة، تحقيق: محمد عبدالمعتم حفاجي، ١٩٨٠.

مثلك ثينى الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه^(١)

ومعناه : مثلك يستطيع أن يكفك أحزان الناس و يدخل عليهم الصبر، ومثلك يوقف الدمع عن العيون. فالشاهد : تقديم مثل وهذا ماجرى على عادة العرب واستعمالها، وهو تقديم كاللزام إذ أنه لا يريد بها غير المضاف إليه. وكذلك حكم (غير) إذا سلك به هذا المسلك نحو قول المتنبى :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

ومعناه : أنا لا أنخدع . إذ أنه استعمل الأسلوب الكنانى لأنه أبلغ من التصريح .

وقال القزوينى : " واستعمال " مثل " و " وغير " هكذا مركز في الطباع، وإذا تصفحت الكلام وجدتهما يقدمان ابدا على الفعل إذ نحى بهما نحو ما ذكرناه، ولا يستقيم المعنى فيهما إذ لم يقدما.

والسر في ذلك أن تقديمها يفيد تقوى الحكم كما سبق تقريره^(٢).

(٣) العناية والأهتمام :

إذا كان المتقدم هو الغرض المقصود الذى سيق الكلام من أجله نحو قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾^(٣). فقد أنكر على إبراهيم هذا الفعل وهو الرغبة عن آلهتهم، لأن آلهتهم بمقام لا ينبغي أن يرغب عنها فجاء مقدماً الخبر لأنه محط الإنكار والأهتمام.

وكقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

الْأُولَيْنِ ﴾^(٤). وكقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأُولَيْنِ ﴾^(٥).

(١) الإيضاح: ص ٦٤.

(٢) المل: ٦٨.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز، ص ١٧٢.

(٤) مرجم: ٤٦.

(٥) المؤمنون: ٨٣.

ففي الآية الأولى قدم اسم الإشارة الذي يريد به البعث، وهذا دليل على أهمية البعث، وكذلك سيق الكلام من أجله. وفي الآية الثانية قدم نحن وأبوانا وهذا دليل على أهمية المبعوثين، وهم القصد من الحديث^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٢). ويقول ابن عطية: "لما كان صدر هذه الآية إخباراً عن حال لا تخص أحد معنا بدئ بذكر البياض لشرفه، وأنه الحالة المثلى، فلما فهم المعنى وتعين له الكفار والمؤمنون بدء بذكر الذين اسودت وجوههم للاهتمام والتحذير من حالهم"^(٣).

وكقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾^(٤).

وكقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥).

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئَلًا﴾^(٦).

وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾^(٧).

فقدم السمع على الأبصار في هذه الآيات، لأن حاسته أشرف من حاسة البصر إذ عليه تبنى في الأطفال معرفة دلالات الأسماء، وإذ هو كاف في أكثر المعقولات دون البصر إلى غير ذلك^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ مَثُمْ أَوْ قَتِلْتُمْ لِيَلِيَّ اللَّهُ تُحْشَرُونَ﴾^(٩).

فتقديم الموت في الآية لأنها آية وعظ بالآخرة والحشر وآية تزهد في الدنيا.

(٢) آل عمران: ١٠٦.

(٤) هود: ٢٠.

(٦) الإسراء: ٣٦.

(٨) أنظر: المحرر الوجيز، ج ٧، ص ٢٦٦.

(١) أنظر: فن البلاغة، ص ١٠٧.

(٣) المحرر الوجيز، ج ٣، ص ٢٥٩.

(٥) النحل: ٧٨.

(٧) المؤمنون: ٧٨.

(٩) آل عمران: ١٥٨.

والموت المذكور هو موت على الإطلاق في السبيل وفي المنزل وكيف كان ، فقدم لعمومه وأنه الأغلب في الناس من القتل^(١).

(٤) تقدم الكلمة لتقدمها في الزمن :

كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾^(٢).

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾^(٣).

(٥) تقدم الكلمة لتقدمها في الرتبة :

كقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمَجُوا وَالضُّرَّاءَ وَزُلُزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾^(٤). فقدم الرسول لتقدمه في الرتبة لمكانته.

(٦) تقديم الكثير على مادونه :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٥). وقوله تعالى : ﴿ وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾^(٦).

فقدم السارق على السارقة لأن السرقة في الرجال أكثر من النساء ، وقدم الزانية على الزانى لأن توفر أسباب الزنا في النساء أكثر من الرجال والزنا لا يتم إلا بموافقة المرأة .

(٢) آل عمران : ٣ .

(٤) البقرة : ٢١٤ .

(٦) النور : ٢ .

(١) المحرر الوجيز : جـ ٣ ، ص ٣٩٣ .

(٣) المائة : ٦ .

(٥) المائة : ٣٨ .

(٧) الترقى من العدد القليل إلى الكثير:

كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ... ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣).

(٨) التشويق :

كقول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

فقدم المسند إليه وهو ثلاثة وانصف بصفة غريبة تشوق النفس إلى الخبر المتأخر فأشراق الدنيا أمر يشوق النفس إلى أن تعرف هذه الأشياء الثلاثة التي جعلت الدنيا يحسنها تتألق وتضيئ فإذا عرفت النفس ذلك تمكن الخبر المتأخر فيها واستقر (٤).

(١) المجادلة : ٧ . (٢) النساء : ٣ .

(٣) الكهف : ٤ . (٤) انظر : علم المعان، د. عبدالعزيز عتيق، ص ١٤٩

خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

ولهذا الأسلوب صور عدة :

أولاً - الالتفات :

في اللغة : يقال : لفت وجهه عن القوم ، صرفه . والتفت التفاتاً، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه : صرف وجهه إليه. ويقال : لفتُ فلانا عن رأيه أي صرفته عنه، ومنه الالتفات.(١)

قال الفراء في قوله تعالى: ﴿ أَجْتَنَّا لِمَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ (٢)

اللفت : الصرف ، يقال : مالفتك عن فلان، أي : ماصرفك عنه.

وقال ابن الأثير: الالتفات مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقلب بوجهه تارة هنا ، وتارة هناك . وكذلك هذا النوع من الكلام؛ لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة أخرى كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر.(٣)

وفي الاصطلاح : هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنها بطريق منها أي؛ هو التعبير عن معنى من المعاني بطريق التكلم أو الخطاب أو الغيبة بعد التعبير عن ذلك المعنى نفسه بطريق آخر.

صور الالتفات :

(١) الالتفات من التكلم إلى الخطاب .

كقوله تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤)

(١) انظر : اللسان - مادة : (لفت) .

(٢) سورة يونس : ٧٨ .

(٣) انظر: المثل السائر - ابن الأثير ج-٢، ص ١٦٧ . والعمدة - لابن رشيق، ص ٢٧٥ . دار الكتب العلمية.

(٤) يس : ٢٢ .

أى : أى مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقني، ثم رجع إلى خطابهم لبيان أنه ما أراد نفسه بل أرادهم بكلامه، فقال: واليه ترجعون، ولم يقل: وإليه أرجع وفيه مبالغة في التهديد .

وهناك من يقول: إنه أبرز الكلام في معرض المناصحة، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويجاريهم حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه (١). فالفائدة التي يفيدها الالتفات: التلطف والترفق مع المخاطب.

وكقوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى﴾ (٢)

فبين ما حصل من الرسول قبل هذا الشخص بأسلوب الإخبار أو التكلم، ثم التفت سبحانه لخطاب نبيه؛ لأن المشافهة أدخل في العتاب (٣).

(٢) الالتفات من الخطاب إلى التكلم :

كقوله تعالى : ﴿قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ (٤)

فنزل الله سبحانه وتعالى منزلة المخاطب ، أى : قل يا محمد الله أسرع مكرًا وأعجل عقوبة وهذا يدل على أن مكرهم كان سريعًا، ولكن مكر الله أسرع، ثم انتقل إلى التكلم ليبين لهم أن رسل الله وهم الملائكة يكتبون مكر الكفار لا يخفى ذلك المكر على الملائكة فكيف يخفى على الله. وفي هذا وعيد لهم من الله سبحانه وتعالى.

(٣) الالتفات من التكلم الى الغيبة :

كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (٥)

لم يقل : فصل لنا . رنه " تلعبادي الزبي اأمرنوا على أنفسهم لا أ

رحة الله ، الله يعجز الذنوب جيد
و لم يقل رحمتي

(٤) الالتفات من الغيبة إلى التكلم :

(٢) عبس : ١-٣.

(٤) يونس : ٢١.

(١) انظر : المان.

(٣) فتح القدير - ج ٥ ص ٣٨٢.

(٥) الكوثر : ١-٢.

كقوله تعالى : ﴿ وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ (١).
 وقوله تعالى : ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت
 فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ (٢). إذ أن الفائدة التى يفيدها الالتفات
 فى هذه الآيات وفى هذا الموطن : الاختصاص، لأن إرسال الرياح، وإثارة السحب،
 وإحياء الميت لا يتأتى إلا من الله وحده .

(٥) الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

كقوله تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث السموات
 والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ (٣). فيكون الانتقال من الغيبة فى قوله (سيطوقون)
 إلى الخطاب فى قوله (تعملون).

ومنه قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إذا ﴾ (٤).
 فعدل عن الغيبة فى قوله : (وقالوا) إلى الخطاب فى قوله (جئتم) للتوبيخ ، لأن
 من يزعم اتخاذ الرحمن ولدا لاشك أنه مفتون فى دينه، ويستنكر منه هذا القول الأثم
 وينبغى أن يوبخ عليه، وتوبيخ الحاضر أشد نكاية وأما من توبيخ الغائب (٥) .

وكقوله تعالى : ﴿ وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء
 وكان سعيكم مشكورا ﴾ (٦). انتقل من الغيبة إلى الخطاب فقال : لكم ، ولم يقل : لهم

ومنه قوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (٧). فلما
 ذكر الذى يستحق الحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم

(١) فصلت : ١٢ . (٢) فاطر : ٩ .
 (٣) آل عمران : ١٨٠ . (٤) مريم : ٨٩ ، ٨٨ .
 (٥) من البلاغة - د. عبدالقادر حسين، ٢٨٤ - (٦) الإنسان : ٢١ - ٢٢ .
 (٧) الفاتحة : ٤ .

الشان حقيق بالثناء و غاية الخضوع و الاستعانة في المهمات فخطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه صفاته تخص بالعبادة لا نعبد غيرك، ولا نستعين بأحد سواك ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له وحده. (١)

٦ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ وَجْرَيْنَ مِنْهُم مِّمَّ بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهُمْ رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) .

فصرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة لفائدة وهي : أنه ذكر لغيرهم حاله ليعجبهم منها ويستدعى منهم الإنكار بعد أن يتعرف الإنسان على هذه النعم التي أنعم الله بها عليهم فأنجاهم ثم تنتظر إلى شكر هؤلاء الناس وإذا به ﴿ فَلَمَّا أُنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وعليه قوله تعالى على قراءة الحسن : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٣) وكانه انتقل فيه من الخطاب إلى الغيبة رفقا من الله سبحانه وتعالى بصالح عباده المؤمنين وذلك : أن الرجوع إلى الله للحساب أعظم ما يتوعد به العباد ، فصار كأنه قال : فاتقوا أنتم يا عباد الله المؤمنين يوما يعذب فيه العاصون. (٤)

فائدة الالتفات وأثره البلاغي :

إذا ماعدنا قليلا إثر حديثنا عن أقسام الالتفات يتضح لنا أن لهذا الأسلوب فوائد جمة يفيدها كالاختصاص، والتوبيخ، والتلطف والترفق، والتعجب وتنشيط السامع. ويعتبر الزمخشري أول من حدد مفهوم هذا الفن، ووضح أقسامه التي يجيء عليها مبينا

(١) انظر: الكشف جـ ١ ص ٦٤. وانظر: اسلوب الالتفات، ص ٣٠.

(٢) يونس : ٢٢. (٣) البقرة : ٢٨١.

(٤) انظر: المحجب - ابن حنبل، جـ ١ ص ١٤٥. بتصرف.

القيمة البلاغية التي يفيدها هذا الأسلوب إذ يقول : إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد . فإن السامع ربما مل من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر تنشيطا له في الاستماع، واستمالة له في الإصغاء" (١)

وبهذا ، يدرك الزمخشري أن إيقاظ النفس، وتحريكها من أهم أغراض الفن الأدبي، ولذلك كانت كل خصوصية من خصائص الصياغة تحدث لونا من التأثير والإيقاظ هي خصوصية بلاغية ممتازة يحرص عليها المتكلم، ويزيد ابن الأثير على مقاله الزمخشري بقوله: "والذي عندي في ذلك أن الانتقال من أسلوب إلى أسلوب لا يكون إلا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال غير أنها لاتحدد بحد، ولا تضبط بضابط، ولكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها". (٢)

ويمكن لنا أن نجمع بين عمومية الزمخشري وخصوصية ابن الأثير في هذا الأسلوب وما يتعلق به من فوائد.

ثانيا - التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي :

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي دلالة على أن الفعل محقق الوقوع مقطوع بصدقه لاشك فيه .

كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (٣) .

فعبّر بالماضي (قال) مع أنهم لم يقولوا بعد دلالة على أن القول كائن لا محالة من الكافرين الذين عرفوا أنهم على باطل، وهم واقفون على أبواب جهنم فطلبوا من الله

(١) انظر : الكشف، جـ ١ ص ٦٤ . واسلوب الالتفات - د. محمد نزيه السيد فراج، ص ٣١، ط ١، عام ١٩٨٣ م.

(٢) انظر : الملل السائر، جـ ٢، ص ١٦٩ . والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص ٥٤٣، د. محمد ابو موسى.

(٣) فصلت : ٢٩ .

إحضار الزعماء الذين أضلّوهم في الحياة الدنيا ليدوسوهم بالأقدام. وفي هذا عبرة للمتبوع الضال والتابع المضلل .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَمَا كَرِهْنَا مَنَّهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (١)

فعبّر بالفعل الماضي (تبرأ) و (قال) مع أن الفعل والقول لم يقعا بعد دلالة على تحقق وقوع البراءة والقول منهم يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٢)

فعبّر بالفعل (عميت) في قوله : (فعमित عليهم الأنباء) أى : أظلمت الأمور، فلم يجدوا خيرا يخبرون به مما لهم منه نجاة. وساق الفعل فى صيغة الماضى لتحقيق وقوعه. (٣)

وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَشْرَأَ نُزِّلَ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (٤)

فجعل الماضى موضع المستقبل إشارة إلى تقوية وقوع الفعل، فهى بمعنى :
فتظل على قراءة طلحة (٥)

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ (٦)

فعبّر بالماضى (فزع) بدلا من المضارع ذلك لأن الفزع عند النفخ فى الصور أمر محقق، وحال الخلق حال خوف ورهبة. وهذا شىء مقطوع به لا يرقى إليه

(١) الفقرة : ١٦٧ . ١٦٦ : ١٦٧ .

(٢)

النقص : ٦٧ . ٦٦ .

(٣)

انظر : المحرر الوجيز، ج ١١، ص ٣٢١ .

(٤) الشعراء : ٤ .

(٥)

المحرر الوجيز : ج ١١، ص ٨٨ .

(٦)

النمل : ٨٧ .

الظن، ولما كان أمراً محققاً لا يصح أن ينزاع فيه أحد عبر بلفظ الماضي الذى يدل على أن الأمر قد حدث بالفعل. (١)

ومما يفيد هذا الأسلوب تأكيد الأخبار كما ورد فى قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ (٢) فعبر بالماضى (أتى) إخباراً عن إتيان ما سيأتى يوم القيامة ، وضح ذلك على جهة التأكيد. وإذا كان الخبر حقاً يؤكد المستقبل بأن يخرج فى صيغة الماضي، أى كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع، ويحسن ذلك فى خبر الله تبارك وتعالى لصدق وقوعه. (٣)

وكقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ (٤)

وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٥)

ومثل ذلك ما روى عن حسان بن ثابت رضى الله عنه: أتى إليه ابنه عبدالرحمن يبكى ، وهو طفل ، فقال له يابنى : مالك ؟ فقال : لسعنى طوير ، كأنه ملتف فى بردى صبرة ، فراعته هذا التشبيه ، فضمه إلى صدره ، وقال : يابنى ، قد قلت شعراً ، وفى رواية : شعرت ورب الكعبة ، يريد - على الروايتين - ستقول الشعر لامحالة . فالمعنى على المستقبل .

وقد يعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لوضوح الأمر وارتفاع الإشكال عنه كما ورد فى قوله تعالى : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُرُودُ ﴾ (٦)

وكقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَسِمُ تُعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٧)

- | | | | |
|-----|---------------------------|-----|----------------|
| (١) | فن البلاغة. ص ٢٨٨. | (٢) | النحل : ١ . |
| (٣) | المحجر الوجيز: ج ٨، ص ٣٦٥ | (٤) | الأعراف : ٤٤ . |
| (٥) | الأعراف : ٥٠ . | (٦) | هود : ٩٨ . |
| (٧) | الكهف : ٤٧ . | | |

وختاماً لهذا القول يتضح لنا أن الحكمة المرادة من التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تتلخص في نقطتين اثنتين هما :

- (١) أن هذا الأسلوب يغلب في حالة كون الأفعال تحمل معان هائلة عظيمة تشيع الخوف في النفوس، وتزرع المهابة في القلوب. كآيات التي تتحدث عن الآخرة والعذاب والجنة والنار. والأدلة السابقة خير دليل على ذلك.
- (٢) كثير من الآيات التي يدل معناها على أنها لم تقع بعد، وإنما سوف تقع في المستقبل، ووقوعها محقق لا شك فيه (لأن الله وعد بها المؤمنين، أو أوعدها بها الكافرين، فكان التعبير الصادق عنها الذي يدل على القطع بها، هو التعبير بلفظ الماضي ليلانم معناه الذي حدث فعلاً، الأمر المقطوع بوقوعه، وإن لم يقع بعد، والمعنى الغالب في أفعال الدعاء والرجاء أن يكون في المستقبل، ولكن يعبر عنه بلفظ الفعل الماضي) (١)

ثالثاً - التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل.

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل، وذلك لاستحضار الصورة الماضية في الذهن .

كقوله تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٢) . فعبر بالفعل المضارع تقتلون مع أن القتل وقع من اليهود في الزمن الماضي، فالسر البلاغي في ذلك هو استحضار تلك الصورة البشعة التي مارسها اليهود مع أنبيائهم لتثبيتها في القلوب، وتغيير النفوس منها .

واستعمال صيغة المضارع تفيد الاستمرارية، فعبر القرآن بقتلون للدلالة على الاستمرارية في القتل . ومن جهة ثانية: أن الذي يتجرأ على قتل الأنبياء هو أكثر جرأة على قتل غيرهم.

(١) من البلاغة، ص ٢٨٩ .

(٢)

البقرة : ٨٧ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ (١) .

فجعل المستقبل موضع الماضي في قوله (سيقول) دلالة على استدامة ذلك وأنهم يستمرون على ذلك القول .

وكقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢) .

فغير بالفعل المضارع بدلا من الماضي دلالة على استمرارية الخضرة وبقائها حينما بعد حين لاتزول ولا تخفى، فأثر الماء الساقط من السماء باق في جميع الأوقات (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْوَهْوَ وَالشَّيْطَانَ هُوَ عَدُوٌّ لِّلْإِنسَانِ ﴾ (٤) .

فغير بالمضارع تتلو بدلا من الماضي لاستحضار هذه الصورة البشعة في الأذهان فتنفر منها النفوس وتشمئز منها القلوب لم لها من عواقب خطيرة على حياة الإنسان في الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ (٦) .

فغير بالمضارع بدلا من الماضي للغرض نفسه .

- (١) البقرة : ١٤٢ .
 (٢) الحج : ٦٣ .
 (٣) فن البلاغة - ص ٢٩٠ .
 (٤) البقرة : ١٠٢ .
 (٥) الصفات : ١٠٢ .
 (٦) يونس : ٢٥ .

رابعاً - وضع المفرد موضع المثني: (التجريد بالمفرد عن المثني)

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر: وضع المفرد موضع المثني، وذلك للملازمة والمصاحبة بينهما حتى كأنهما صاروا كالشيء الواحد لا شيئين مختلفين، فعبر عنهما بلفظ المفرد، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ والمراد: فتشقيان، فوضع المفرد (فتشقى) موضع المثني (فتشقيان) لأن كل واحد منهما بمنزلة الآخر.

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ (١) والمراد: أن يرضوهما. فلما كانت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله عز وجل صاروا كالشيء الواحد فجاء التعبير بالمفرد.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ (٢) أي: وياهارون. ولكنه أفرد موسى عليه السلام بالنداء لأنه هو صاحب الرسالة. ومنه قول الشاعر:

كلا أبويكم كان فرع دعامة

والمراد: كانا. ولكنه عبر بالمفرد لشدة الاتصال بين الاثنين، فكل واحد منهم كان فرع دعامة فصارا كالشيء الواحد (٣).

خامساً - وضع المثني موضع المفرد: (التجريد بمثني المفرد)

وذلك إما للتأكيد، وإما للتكرار. والتكرار يعطى المعنى قوة وتأكيداً.

كقوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (٤)

فعبر بالمثني (القياء) مع أن الخطاب لمالك خازن النار، فكان بمثابة تكرار الفعل وكأنه قال: ألقى ألقى. فكان تثنية الفاعل تقوم مقام تثنية الفعل، وتكرار الفعل يعطى المعنى قوة وتأكيداً.

(١) التوبة: ٦٢. (٢) طه: ٤٩.

(٣) انظر: المحاسب - لابن جني، ج ٢، ص ١٨٠، والخصائص، ج ٣، ص ٢٣٥.

(٤) ق: ٢٤.

ويجوز أن يكون الخطاب للملكين الموكلين في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (١) كما يقول الفراء. (٢)

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

فعبّر بالمتنى (دعوتكما) والمراد: موسى وحده، لأنه الداعي. ولكن لما كان هارون قد آمن على دعائه اعتبر أحد الداعين فجاء الخطاب بالمتنى.

سادسا - وضع المفرد موضع الجمع : (التجريد المزدوج عن الجمع)

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وضع المفرد موضع الجمع، وذلك لأن المتكلم جعل الجمع كالشيء الواحد لشدة الاتصال والتماسك لا ينفصل أحدهما عن الآخر ولا يحدث بينهما تمايز أو افتراء، وهناك علل بلاغية أخرى ترجع إلى كل مثال على انفراد، وهذا ما توضحه الأمثلة .

كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ... ﴾ (٤).

فعبّر بالمفرد (طفلا) بدلا من الجمع أطفالا، لأنه (موضع إضعاف للعباد وإقلال لهم، فكان لفظ الواحد لقلته أشبه بالموضوع من لفظ الجماعة، لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد) (٥).

(١) ق: ٢١ .

(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن - الزركشي، ج٢، ص ٢٣٩، وانظر: معان القرآن للفراء، ج٣، ص ٧٨.

(٣) يونس : ٨٩ . (٤) الحج : ٥ .

(٥) المختصب - ابن جني، ج١ ص ٢٠٢، ج٢ ص ٢٦٧ .

وقوله تعالى : ﴿ فَنادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) .

فقوله : (بكلمة من الله) : معناه : بكتاب من الله، الإنجيل وغيره من كتب الله، فأوقع المفرد موقع الجمع، فكلمة اسم جنس، وعلى هذا النظر سمت العرب القصيدة الطويلة كلمة (٢) .

ويؤيد هذا القول الزمخشري إذ يقول: وقيل : مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه، وسمى الكتاب كلمة كما قيل : كلمة الحويدرة لقصيدته (٣) . ومثله قال الرازي : قوله : (مصدقا بكلمة من الله) فالمراد بكلمة من الله: أنها كتاب من الله واستشهد بقولهم: أنشد فلان كلمة، والمراد به القصيدة الطويلة (٤) . وبه قال أبو حيان في البحر المحيط (٥) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦) .

فوضع المفرد (رفيقا) موضع الجمع رفقاء ، لأن الجميع كنفس واحدة لشدة تماسكهم واتصالهم لا ينفصل أحدهم عن الآخر فصاروا كالأذات الواحدة .

وكقوله تعالى : ﴿ أَفَتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (٧) . فعبر بالمفرد (عدو) بدلا من الجمع أعداء لأنهم كالأذات الواحدة في عداوتهم للمؤمنين لا اختلاف بينهم على عداة الإسلام فصاروا عدوا واحدا، ولذلك عبر عنهم بالمفرد .

(١) آل عمران ٣٩ . (٢) أنظر: المحرر الوجيز ج ٣، ص ١٠١ .

(٣) أنظر : الكشاف ، الزمخشري، ج ١ ص ٤٣٨ . (٤) أنظر : التفسير الكبير . الرازي، ج ٨ ص ٣٧ .

(٥) أنظر البحر المحيط لأبي حيان، ج ٢، ص ٤٤٧ . (٦) النساء : ٦٩ .

(٧) الكهف : ٥٠ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلِكُ عَلَيَّ أَرْجَائُهَا ﴾ (١) أى : والملائكة .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢) أى : والملائكة (٣) .

وقد يوضع المفرد ويراد به الجمع بغرض تعظيم الأمر كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ

اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

فقوله تعالى : (ولئن اتبعت) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد : أمته ،

وما ورد من هذا النوع الذى يوهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظلما متوقعا فهو

محمول على إرادة أمته ، لعصمته صلى الله عليه وسلم ، وقطعا أن ذلك لا يكون منه

وإنما المراد من يمكن أن يقع ذلك منه ، وخطب النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما

للأمر (٤) .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ (٥) وحد كافر

وهو بنية الجمع ، لأن أفعل إذا أضيفت إلى اسم متصرف من فعل جاز إفراد الاسم ،

والمراد به الجماعة .

قال الشاعر :

وإذا هم طعموا فالأُم طاعم . وإذا هم جاعوا فشر جياع (٦)

سابعا - وضع الجمع موضع المفرد : السَّجِيرُ بِالْبَجْحِ عَنِ الْمَزْرِ

كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٧) .

فقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ ﴾ الخطاب لعيسى ، والمراد الإخبار بالقيامة

والحشر ، فلذلك جاء اللفظ عاما من حيث الأمر فى نفسه لا يخص عيسى وحده فكأنه قال

(٢) الفجر : ٢٢ .

(١) الخاقية : ١٧ .

(٤) المحرر الوجيز - ج ٢ - ص ١٨١ .

(٣) سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٦) المحرر الوجيز - ج ١ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٠ .

(٥) البقرة : ٤١ .

(٧) آل عمران : ٥٥ .

له: ثم الى - اى الى حكمى وعدلى - يرجع الناس فخطابة كما تخاطب الجماعة اذ هو أحدها، واذ هي مرادة فى المعنى.

وكقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ (١).

فعبير بالجمع (مساجد) وأراد المفرد المسجد الحرام، لأن المسجد الحرام أعظم مساجد الله منزلة، وأعلاها قدرا، فعبير عن هذا الشيء المعنوى الذى يتسم بالعظمة والروعة بالجمع العددي (٢). وما ينطبق على المسجد الحرام ينطبق على باقى المساجد ولذلك عبر بالجمع.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣). فالمخاطب فى الآية جملة الأمة، والمراد بالناس ابراهيم عليه السلام كما قال { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ } وهو يريد واحدا.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٤).

والمراد بالناس: الرسول صلى الله عليه وسلم. وإنما جاز أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لأنه اجتمع عنده من خصال الخير ما لا يحصل إلا متفرقا فى الجمع العظيم ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٥). فورد التعبير بصيغة الجمع، والمعنى على الأفراد. فالقاتل واحد، ولكن ينسب القتل للجميع لوجوده فيهم، ورضاهم عنه فلم يردعوه، ولم يمنعوه، ولذلك جاء الخطاب بالجمع مراعاة لحالة جماعة القاتل فى السكوت عن القتل والتسبب فى وقوع الجريمة (٦).

(١) التوبة: ١٧. (٢) انظر: فن البلاغة ص ٣٠٧.

(٣) البقرة: ١٩٩. (٤) النساء: ٥٤.

(٥) البقرة: ٧٢. (٦) انظر روح المعاني، للألوسى، ج ١، ص ٢٦٥.

ثامنا - وضع المثنى موضع الجمع :

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وضع المثنى موضع الجمع، نحو قولهم : "لبيك وسعديك" فليس المراد هنا اجابتين اثنتين ، ولا اسعادتين اثنتين. ألا ترى أن الخليل فسره بقوله : كلما كنت في أمر ودعوتني له أجبتك إليه وساعدتك عليه فقوله : (كلما) يؤكد مانحن عليه^(١) .

ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٢) . فورد التعبير بالثنائية، وظاهر السياق الجمع. وهذا ماوضحه أبو الفتح بقوله : لفظهما لفظ الثنائية ومعناها الجماعة . أى كل اثنين فصاعدا اقتتلا فأصلحوا بينهما ألا ترى أن هذا حكم عام فى الجماعة، وليس يختص به اثنان مقصودان^(٣) .

ولأن أقل من يقع الشقاق بينهما اثنان، فإذا لزمتم المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم^(٤) .

تاسعا - وضع الجمع وضع المثنى : (السحير بالجمع على المثنى)

إن العرب قد تأتى بلفظ الجمع وهى تريد الثنائية كقولهم : (ضربت رؤوس الزيدتين وقطعت أيديهما وأرجلهما) وهذا أفصح من قولهم رأسيهما. وهو ما ذكره الزجاج فى كتابه إعراب القرآن^(٥) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾^(٦) .

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢)

المخشب . ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

(٣) المخشب، ج ٢، ص ٢٧٨ .

(٤) إعراب القرآن، الزجاجي، ج ٣، ص ٧٨٧ .

(٥)

(٦) الكشاف : الزمخشري، ج ٣، ص ٥٦٤ .

فورد التعبير بالجمع في قوله لحكمهم، وسياق الظاهر التنثية. وعلل الرازي ذلك بقوله : إن الحكم كما يضاف الى الحاكم فقط يضاف إلى المحكوم له . فإذا أضيف الحكم إلى المتحاكمين كان المجموع أكثر من اثنين .

وربما كان القصد التعظيم لداود وسليمان لكبر شأنهم وجلال قدرهم عند الله سبحانه وتعالى .

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَتَشَطَّطُ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ (١) .

فعبّر بالجمع في (تسوروا) و (دخلوا) و (قالوا) ، وأراد المثني نظرا إلى ما يحتمله لفظ الخصم من الجمع . قال النحاس : لا خلاف بين أهل التفسير على أن المراد بالخصم هاهنا الملكان : (ميكائيل وجبريل) عليهما السلام، والخصم مصدر يقع على الواحد والاثنين والجماعة (٢) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ (٣) .

فعبّر بالجمع (أطراف) وأراد المثني : طرفي ، وهما : المغرب ، والظهر ، لأن الظهر في آخر طرف النهار الأول، وأول طرف النهار الآخر (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ (٥) .

فوضع (الجمع) معكم موضع المثني معكما، وقد علله سيبويه بقوله: وكأنهما لشرفهما عند الله عاملهما في الخطاب معاملة الجمع إذ كان ذلك جائزا أن يعامل به الواحد لشرفه وعظمته.

(٦) الأنبياء: ٧٨ .

(١) ص : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) فتح القدير، ج ٤، ص ٤٢٥ . (٣) طه : ١٣٠ .

(٤) فتح القدير، ج ٣، ص ٣٩٤ . (٥) الشعراء : ١٥ .

عاشرا - القلب :

القلب لغة : تحويل الشيء عن وجهه ، يقال : قلبه يقلبه قلبا^(١) .

وفى الإصطلاح : (أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر)^(٢) .

كأن نقول : (عرضت الناقة على الحوض) مكان عرضت الحوض على الناقة.

فكما تشاهد فى هذا المثال أن كلا من الناقة والحوض أخذ كلَّ منهما حكم الآخر فالناقة فى المثال الأول مفعول به والحوض اسم مجرور بحرف الجر، وفى الثانى : الحوض مفعول به والناقة اسم مجرور بحرف الجر ، وهذا ما أراه من قوله : (على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر) .

ولعل هذا ما قصده عبدالقاهر الجرجاني أثناء حديثه عن التقديم والتأخير إذ يقول : "تقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعله بابا غير بابيه، وإعرابا غير إعرابه. وذلك أن تجيء الى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ، ويكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا، ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة : زيد المنطلق ، وأخرى : المنطلق زيد . فأنت فى هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذى كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله من كونه خبرا إلى كونه مبتدأ"^(٣) .

نلاحظ من خلال ماتقدم ذكره أن هناك علاقة بين القلب والتقديم والتأخير من جانب، ومن جانب آخر فإننا نثبت أنه ثمة علاقة بينه - القلب - وبين التشبيه المقلوب لقولهم: "أن القلب تارة نعى به قلبا لفظيا فقط وتارة معنويا .. كأن تقول : الأسد كزيد

(١) شروح التلخيص، ج ١، ص ٤٨٦.

(٢)

(١) انظر: اللسان، مادة (قلب).

(٢) دلائل الإعجاز، ص ١٤٢.

تارة تقصد أن زيدا مشبه والأسد مشبه به وإنما أدخلت كاف التشبيه على المشبه قلبا لفظيا إن صح هذا التركيب لهذا المعنى، وتارة تريد أن تجعل الأسد مشبها في المعنى فيكون قلبا معنويا^(١).

ويؤكد هذا قول الشاعر:

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

إذ أنه شبه الصباح بوجه الخليفة، فقلب وجعل الفرع اصلا ، والأصل فرعا على سبيل المبالغة التي يفيدها التشبيه المقلوب.

آراء البلاغيين في القلب :

اختلف العلماء في تعاملهم مع القلب ، فمنهم من أنكروه مطلقا ، ومنهم من قبله مطلقا ، ومنهم من قبله مشروطا .

أما من أنكروه مطلقا : فسيبويه ، والأمدي ، وابن سنان الخفاجي ، وحازم القرطادني .

أما سيبويه : فقد رد القلب ووصفه بالرداءة والبعدهن الجودة - كما في قولهم: أدخلت في رأسى القلنسوة، والجيد: أدخلت في القلنسوة رأسى^(٢) .

وقد وقف الأمدي هذا الموقف من القلب فقال : إن المتأخر لا يرخص له في القلب ، لأن القلب إنما جاء في كلام العرب على السهو، والمتأخر إنما يحتذى على أمثلتهم ويقنذى بهم وليس ينبغى أن يتبعهم فيما سهو فيه . وذكر رأى الذين يذهبون إلى أن القلب جاء في كتاب الله كقوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾^(٣) . وقال إن هذا ليس بقلب ، وإنما صحيح مستقيم ، وإنما

(١) شروح التلخيص جـ ١، ص ٤٨٧

(٢) الكتاب : سيبويه، جـ ١، ص ٩٢.

(٣) الفصص : ٧٦.

أراد الله تعالى : ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أى : تميلها من ثقلها (١) .

وهذا ما ذهب اليه الخفاجي فى كتابه/ سر الفصاحة اذ يقول : ومن وضع الالفاظ موضعها ألا يكون الكلام مقلوبا فيفسد المعنى ويصرفه عن وجهه (٢) .

وأنكر القلب حازم القرطاجنى فى كتابه/ منهاج البلاغ فقال: إنه مما يجب أن ننزه كتاب الله عنه، لأن العرب إذا صدر ذلك منهم فبقصد العبث أو التهكم أو المحاكاة أو حال الاضطرار، والله منزه عن ذلك. وقال: كل كلام يمكن حمله على غير القلب بتأويل لا يبعد معناه فليس يجب حمله على القلب، وأما ما لا يمكن فيه التأويل فواجب ألا يعمل عليه وأن يوقف عنده (٣) .

وأما من قبله مطلقا: فالقاضى الجرجانى والسكاكى. ولعل السكاكى كان أوضح البلاغيين فى هذه المسألة فقبل القلب مطلقا وقال : إن هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب وهى شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر ، ولها شيوخ فى الستراكىب وهى مما يورث الكلام ملاحه ، ولا يشجع عليها إلا كمال البلاغة تأتى فى الكلام وفى الأشعار (٤) .

ومثل له بقول الشاعر :

فلما أن جرى سمن عليها كما طينت الفدن بالسياعا (٥)

القصر
الطين العجول بالسياع
لبيتنا

أراد : كما طينت الفدن بالسياع ا.

وأدخل فيه قوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ

فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٦) . على ما يحتمل من ألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم .

(١) أنظر: الموازنة، ج ١، ص ٢٠٧ . (٢) سر الفصاحة : ص ١٢٩ .

(٣) انظر: منهاج البلاغ، حازم القرطاجنى، ص ١٨٤، ٣٩١ . تحقيق د. محمد الحبيب بن الحوجه، ١٩٦٦، تونس .

(٤) أنظر مفتاح العلوم للسكاكى، ص ٢١٠، ٢١١ تحقيق نعيم زرزور - دار الكتب بيروت .

(٥) الفدن: القصر المشيد. والسياع: الطين بالثين. النمل : ٢٨ .

(٦) الفدن: القصر المشيد. والسياع: الطين بالثين.

وقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَا ﴾ (١) . أى : جاءها بأسنا فأهلكناها .

وأما من قبله مشروطا: كالخطيب القزوينى إذ يقول: ومنه القلب ، كقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، وردة مطلقا قوم ، وقبله مطلقا قوم منه السكاكى ، والحق أنه إن تضمن اعتبارا لطيفا قبل ، وإلا رد. كقول روية :

ومهمة مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه (٢)

أى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيه للمبالغة (٣) .

وقد رد الخطيب القزوينى القلبى فى الآيات التى ذكرها السكاكى موضحا ذلك بقوله: "وقد ظهر من هذا أن قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَا ﴾ ليس واردا على القلب إذ ليس فى تقدير القلب فيه اعتبار لطيف وكذا قوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ وأصله : أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا، أى إهلاكنا ، ومعنى الثانى : نتح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ، ليكون ما يقولونه بسمع منك فانظر ماذا يرجعون" (٤) .

ونرجح رأى الخطيب القزوينى الذى يتطلب اعتبارا لطيفا فى القلب ، لأن القلب إذا أفاد نكتة بلاغية تضى على الكلام رونقا وجمالا وملاحة كان أبلغ فى التعبير.

الحادى عشر - التغليب :

التغليب لغة : الترجيح . يقال : غلبه أى قهره ، وغلب على صاحبه حكم له عليه بالغبلة ، وتغلب على بلد كذا : استولى عليه قهرا ، وغلبته أنا عليه تغليباً (٥) .

(١) الأعراف : ٤ .

(٢) المهمة : المنازة البعيدة الأرض المقفرة . ومغبرة: لوها لون الغبار .

(٣) الإيضاح: ص ٨٧ ، ٨٨ . (٤) الإيضاح: ص ٧٩ .

(٥) النسان مادة غلب .

وفى الإصطلاح : " إعطاء الشيء حكم غيره ، أو ترجيح أحد المغلوبين وذلك ، بأن تطلق عليهما لفظا واحدا لإجراء للمختلفين مجرى المتفقين " (١) .

ونقل المبرد أمثلة التغليب عن العرب فقال : الأسودان : التمر والماء ، والأحمران : اللحم والنيذ ، وقالوا : الأحامرة : اللحم والنيذ والزعران ، والأبيضان : الشحم واللبن ، والأطيان : الطعام والنكاح ، والحجران : الذهب والفضة ، والعصران : الغداة والعشى (٢) .

ويقال : القمران : الشمس والقمر ، والعمران : أبوبكر وعمر (٣) . ومما وقع فيه التغليب (أبوان) للأب والأم .. والحسنين للحسن والحسين مما غلب فيهما أحد المتساكين أو المتصاحبين على الآخر فقد استعمل لفظ المغلب فى الآخر ثم ثنى واستعمل فيهما مجازا والقاعدة فى ذلك تغليب الأخف إلا أن يكون الآخر مذكرا فيغلب على المؤنث كالقمر فإن الشمس أخف لتسكين الوسط فيها ولكن غلب القمر لعدم تأنيته (٤) .

أقسام التغليب :

(١) تغليب الأخف لفظ على غيره :

نحو قولهم : العمران لأبى بكر وعمر . قال الكسائى : إن التغليب فى العمرين إنما هو لكثرة الاستعمال ، فإن أيام عمر أطول من أيام أبى بكر رضى الله عنهما (٥) ، ولكن عمر مفردا وهو أشرف من المركب (٦) .

(٢) تغليب المذكر على المؤنث :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ (٧) .

(١) البرهان فى علوم القرآن ، الزركشى ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٢) الفاضل للمبرد ، ص ٢١ ، دار الكتب . (٣) المفتب : للمبرد ، جـ ٤ ، ص ٣٢٦ .

(٤) شروح التلخيص ، جـ ٢ ، ص ٥٣ . (٥) عروس الأفراح - السبكي ، جـ ٢ ، ص ٥٩ .

(٦) الاشارات والتنبيهات ، ص ٦٩ . (٧) التحريم : ١٢ .

فغلب المذكر على المؤنث تكريما لها، وإيرازا لجدها واجتهادها فى العبادة حتى بلغت فى ذلك مبلغ الرجال من العلم بشريعة الله والعمل بها، فلما اتخذت طريق الرجال الشاق فى العبادة خلع عليها أوصاف الرجال العابدين القانتين^(١). فقال سبحانه : (وكانت من القانتين) ، ولم يقل : من القانتات . وهذا ما عبر عنه ابن يعقوب المغربى فى مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح بقوله : (لما اشترك المذكر والمؤنث فى صحة الوصف بالقنوت غلب جانبه على جانبها فاستعملت صيغته المختصة به فى مكان صيغتها فالتغليب هنا أوجب استعمال الصيغة مكان أخرى مع الاشتراك فى مادة اللفظ والمعنى)^(٢).

وكقوله تعالى : ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾^(٣) . فغلب المذكر على المؤنث .
وكقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٤) . فغلب المذكر هنا مع الفاعل المؤنث، لأن الموعظة هنا ليس المراد بها الكلمة الواعظة بل المراد بها الرسول أو الكتاب^(٥) .
ويعلق الزمخشري على هذه الآية بقوله : (أى فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهاى عن الربا)^(٦) .

٣ تغليب الأشهر على غيره :

كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْيَهُودُ وَنَحْنُ نُرِيدُ لَكُمُ الْيُسْرَ وَذُنُوبَكُمْ وَآخِذُوكُم بِآيَاتِنَا فَتَلْمِزُوا فَإِصَاحُ لِسَانِكُمْ شَرٌّ لَكُمْ وَالْآيَاتُ كَذِبٌ ﴾^(٧) .
أراد المشرق والمغرب، فغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين.
وكقوله تعالى : ﴿ وَالْأَبْوَيْهَ لِكُلِّ وَاٰحِدٍ مِنْهُمَا السُّنْسُ ﴾^(٨) .
فغلب المذكر (الأبوان) على الأب والأم ، وذلك لأن الأب أشهر من الأم.

(١) فى البلاغة : ص ٣٢٦ . (٢) شروح التلخيص، ج ٢، ص ٥٢ .

(٣) القيامة : ٩ . (٤) الفقرة : ٢٧٤ .

(٥) اسنوب التغليب فى القرآن - د. محمود عبدالعظيم صفا، ص ١٣٢ .

(٦) الكشف : ج ١، ص ٤٠٠ . (٧) الزخرف : ٣٨ .

(٨) النساء : ١١ .

(٤) تغليب العاقل على غير العاقل:

كقوله تعالى: ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَتَوَسَّمْنَ فِيهِ ﴾ (١).

فقال: يذروكم، ولم يقل: يذروها تغليبا للعاقل على غير العاقل.

وكقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾ (٢).

فاستعمل (من) الموضوع للعاقل، ولم يستعمل (ما) الموضوع لغير

العاقل وذلك على سبيل التغليب. فالدابة تشمل العاقل وغير العاقل.

(٥) تغليب مواقع بوجه مخصوص على مواقع بغير هذا الوجه:

وهو تغليب ما يمارس بأداته المعهودة على غيره مما يمارس بغير هذه الأداة.

كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٣).

فذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بها علما بأن الأعمال لا تمارس كلها عن

طريق اليد.

(٦) تغليب الكثير على القليل:

كقوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا ابْنِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ

مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٤). فعد ابليس من الملائكة وهو ليس منهم، فالملائكة من نور،

وابليس من نار، ولكنه غلب الملائكة على ابليس لكثرتهم.

تلك هي أهم أقسام التغليب كما ذكرناها موضحة بالشاهد والدليل.

(١) النور: ٤٥.

(٢)

(١) الشورى: ١١.

(١)

ص: ٧٣.

(٤)

آل عمران: ١٨٢.

(٣)

القصر

القصر لغة : الحبس . قال تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (١) . أى : قصرن وحبسنا على أزواجهن . وقوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جِآنٌ ﴾ (٢) . أى : يقصرن أبصارهن على أزواجهن ، ولا ينظرن إلى غيرهم . وقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ ﴾ (٣) .

وفى الإصطلاح : (تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص) .

فالشيء الأول : هو المقصور ، والثانى : المقصور عليه ، وهما ركنا أو طرفا القصر .

والطريق المخصوص هو أداة القصر .

ومثاله : قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ (٤) .

فقصرنا محمد صلى الله عليه وسلم (المقصور) على الرسالة (المقصور عليه) بطريق مخصوص وهو : النفى والاستثناء (ما وإلا) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ (٥) .

والحديث عن القصر سيكون من خلال مباحث عدة :

أولاً : طرق القصر :

وللقصر طرق كثيرة ، وأشهرها استعمالا أربعة وهى :

- | | | | |
|-----|----------------|-----|------------------|
| (١) | الرجن : ٧٢ . | (٢) | الرجن : ٥٦ . |
| (٣) | الصفات : ٤٨ . | (٤) | آل عمران : ١٤٤ . |
| (٥) | الأعراف : ٣٣ . | | |

١- النفي والاستثناء :

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (١) .

قصر الحياة الدنيا على الغرور بطريق النفي والاستثناء.

وكقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ (٢) .

أى : لستم فى دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب، بل أنتم عندنا كاذبون فيها ، وبهذا يكون قصرهم على الكذب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ (٣) .

أى : وما جعلناهم رجالا مثلكم، وإنما ملائكة، وبهذا يكون الحق جل وعلا قد قصر أصحاب النار على الملائكة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا التَّنْصُرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (٤) .

فالنصر لا يأتى إلا من الله وحده، لا من الملائكة، ولا من الجنود، ولا من القتال. وعليه يكون قصر النصر على الله.

وكذلك الحال بالنسبة لأداة النفي (لا) كما ورد فى قوله تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٥) . فلا إله موجود حقيقة إلا الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٦) .

ويكون المقصور عليه فى هذا الطريق بعد أداة الاستثناء إلا ، وعليه فإن المقصور يكون قبلها كما مر فى الشواهد السابقة.

(٢) يس : ١٥ .

(٤) آل عمران : ١٢٦ .

(٦) الإسراء : ٨٢ .

(١) الحديد : ٢٠ .

(٣) المدثر : ٣١ .

(٥) حمد : ١٩ .

(٢) إنما :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) .

فقصرت خشية الله على العلماء بطريق مخصوص، وهي إنما. ويكون المقصور عليه في إنما المتأخر وهو : (العلماء) ، وعليه يكون المقصور هو المتقدم (الخشية).

وقوله تعالى : ﴿ وَاَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَ الْكُفْرُ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ (٦) .

فالمقصور في الأمثلة المذكورة الذي يلي إنما مباشرة، والمقصور عليه هو المتأخر. والدليل على أن (إنما) تفيد القصر أمور عدة:

الأول : كونها متضمنة معنى (ما) و (إلا).

نحو قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ (٧) .

فإن المعنى : ما حرم ربي إلا الفواحش .

وعليه قول الشاعر :

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

(١) فاطر : ٢٨ .

(٢) الأنفال : ٢٨ .

(٣) البقرة : ١٧٣ .

(٤) الرعد : ١٩ .

(٥) الأنعام : ٣٦ .

(٦) فاطر : ١٨ .

(٧) الأعراف : ٣٣ .

والمعنى : ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلى (١) .

ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ ﴾ (٢) .

والمعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة والدم.

الثانى : لأن إنما تأتي لاثبات ما يذكر بعدها ونفى ماسواها.

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

فالمقصور : الصدقات أثبتها للأصناف المذكورة ونفاها عن غيرهم .

الثالث : صحة انفصال الضمير مع إنما .

كقولك : " إنما يضرب أنا " أى : " ما يضرب إلا أنا " .

الفرق بين إنما والنفي والاستثناء :

(١) أن المقصور عليه فى (إنما) هو المتأخر دائما.

كقوله تعالى فى الآية السابقة : (إنما الصدقات للفقراء....) فالمقصور عليهم هم الفقراء والمساكين وغيرهم ممن ذكروا فى الآية الكريمة بحيث لا تتجاوزهم إلى غيرهم كأنه قيل : إنما هى لهم لا غيرهم .

(١) دلائل الإعجاز: ص ٣٢٦ وانظر: الايضاح، ١٢١.

(٢) التوبة: ٦٠.

(٣) البقرة: ١٧٣.

وهذا بخلاف ما كان طريقه النفي والاستثناء، لأن المقصور عليه دائما يأتي بعد إلا مباشرة سواء وقع فيه نهاية الجملة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (١). أو وقع في وسط الجملة كقوله تعالى: ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (٢)، (٣).

(٢) إن ما طريقة (النفي والاستثناء) يستعمل في الأمور المجهولة التي فيها مجال للشك والانكار، بخلاف (إنما) فانها تستعمل في الأمور المعلومة التي لا يتطرق إليها الشك أو الإنكار (٤).

فالأول: كقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٥).

فالكافرون ينكرون على القرآن أن يكون من شأنه أن يزيد في خسارتهم ونقصهم والمؤمنون يزعمون أنه شفاء ورحمة لهم، فكان مناسباً لهذا الإنكار طريق النفي والاستثناء.

والثاني: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٦).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَخْوَةٌ ﴾ (٧).

فالمخاطبون لا ينكرون هذه الحقائق لأنهم هم المؤمنون .

وقد تستخدم (إنما) في موطن الإنكار تنزيلاً للمخاطب منزلة غير المنكر.

(٢) المؤمنون : ٢٤ .

(٢)

(١) المدثر : ٣١ .

(٣) انظر: فن البلاغة: ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٥) الاسراء: ٨٢ .

(٥)

(٤) انظر: فن البلاغة، ١٧٣ .

(٧) الحجرات: ١٠ .

(٧)

(٦) الانفال : ٢ .

كما فى قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَتْ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ (١).

فإن مريم رضى الله عنها، وإن كانت تجهل هذه الحقيقة وتتكرها إلا أنها نزلت منزلة غير المنكر، وغير الجاهل، وقد رأت كثيرا من الكرامات وكيف جاءها الروح الأمين حيث لا يستطيع أن يصلها أحد، حرى بمريم إذن ألا تنكر هذا الأمر (٢). وكذلك الحال بالنسبة للنفى والاستثناء فإنها تستخدم فى موطن عدم الإنكار تنزيلا للمخاطب منزلة المنكر.

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ (٣).

فالصحابه رضوان الله عليهم لا ينكرون هذه الحقيقة ، ولكن لما هالهم ماسمعوه حينما أشيع أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل وهم يعلمون أن النبى بشر، ومن شأن البشر أن يموت، فلما استنكروا موته عليه الصلاة والسلام فكأنهم أنكروا بشريته، وإنكارهم لبشريته يلزم إنكارهم لرسالته. لذا جاء القصر بما والا ولم يأت بإنما (٤).

إفادة (إنما) التعريض :

إذا أفادت (إنما) التعريض كانت أقوى وأبلغ فى إيصال المراد ، لأن التعريض أقوى من التصريح. واعلم أنك إذا استقرت وجدتها أقوى ماتكون، وأعلق ما ترى بالقلب إذا كان لايراد بالكلام بعدها نفس معناها، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه (٥).

كقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ

وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴾ (٦).

(١) مريم : ١٨ ، ١٩ . (٢) البلاغة فنونها وأنها - علم المعان - ص ١٧٤ .

(٣) آل عمران : ١٤٤ .

(٤) البلاغة فنونها وأنها - علم المعان ، ٣٧٥ ، وانظر : الإيضاح : ص ١٢٣ .

(٥) دلائل الإعجاز - ص ٣٤٥ .

(٦) الزمر : ٩ .

فلم يكن الغرض من قوله ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أن يعلم السامعون ظاهر معنى الآية وهو: قصر التذکر على أولى الألباب وحسب، وإنما المراد: ذم الكفار وجعلهم في حكم من ليس بذی عقل.

وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾.

فلم يكن المراد بيان خشية العلماء وحسب، وإنما التعريض بالذين لا يخشون الله وإن كانوا من العلماء.

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴾ (١).

فليس المراد ظاهر المعنى من إنذار الذين يخشون الساعة أو يخشون ربهم سرا، وإنما المقصود والمغزى ذم الكافرين الذين لا يخشون ربهم، ومن لم تكن لهم هذه الخشية كان كمن لم تكن له إذن تسمع وقلب يعقل، فالإنذار معه كلا إنذار.

(٣) العطف :

ويكون العطف ب (لا) و (بل) و (لكن).

أما العطف ب (لا) كقولهم: (الفخر بالعلم لا بالمال) وقولنا: (محمد شاعر لا كاتب) والمقصود عليه هو المقابل لما بعد لا. ويشترط في (لا) أفراد معطوفها، وأن تسبق بإثبات، وألا يكون ما بعدها داخلا في عموم ما قبلها (٢).

أما العطف ب (بل) و (لكن) يكون المقصود عليه ما بعدهما.

كقولهم: (ما زيد قائما بل قاعد) و (ما زيد قائما لكن قاعد).

وكقولنا: (ما الفخر بالمال بل بالعلم) و (ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى).

ويشترط في كل من (بل) و (لكن) أن تسبق بنفسى، أو: نهى، وأن يكون المعطوف بهما مفردا، وألا تقترن (لكن) بالواو.

جواهر البلاغة - الماشي، ص ١٨٢.

(٢)

النازعات: ٤٥.

(١)

(٤) تقديم ما حقه التأخير :

ويكون المقصور عليه هو المقدم . كقوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

والتقديم فى الآيات الكريمة فى قوله تعالى : الله ، إياك ، على الله ، وهو يفيد التخصيص .

ومنه قول الشاعر .

نائم أنت على صدر الصخور ولقد كنت على الزهر تنام

وقول الآخر :

ومن البلية عذل من لا يرعوى عن غيه وخطاب من لا يفهم

فالمقدم فى البيت الأول قوله (نائم) ، والثانى فى قوله (ومن البلية) .

أقسام القصر :

الأول - القصر بإعتبار الحقيقة والإضافة :

وهو نوعان :

(١) القصر الحقيقى : وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع لا يتعداه إلى غيره أصلا .

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٤) .

(٢) العائنة : ٥ .

(٤) الرعد : ١٩ .

(١) الروم : ٤ .

(٣) يونس : ٨٥ .

فالتذكر صفة مقصورة على أولى الألباب لا تتجاوزهم إلى غيرهم من الناس في الحقيقة والواقع .

وكقولنا : (ما خاتم الأنبياء والرسل إلا محمد).

وقولنا : (لا يعلم الغيب إلا الله) ، (ولا خالق إلا الله) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) .

والذي يتضح من قراءة الأمثلة السابقة، أن القصر الموجود قصر حقيقي؛ لأن المقصور فيه مختص بالمقصور عليه، ولا يتعداه إلى غيره مطلقاً. إضافة إلى أن القصر الموجود هو من باب قصر الصفة على الموصوف. لأنه لا يكاد يوجد قصر الموصوف على الصفة في القصر الحقيقي. وهذا ما وضحه الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح ، إذ يقول : (والأول من الحقيقي كقولك : " مازيد إلا كاتب " إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة ، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام ؛ لأنه ما من متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر) (٣) .

(٢) القصر الإضافي : وهو غير الحقيقي ، وذلك بأن يكون القصر فيه بالإضافة إلى شيء مخصوص لا إلى جميع ما عدا المقصور عليه .

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ (٤) .

فمحمد عليه الصلاة والسلام مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شيء آخر فهو القائد، وهو العابد، وهو البليغ. وليس المقصود أن الرسالة مختصة به وحده. وعليه يكون القصر في الآية قصر الموصوف على الصفة.

(٢) الفاتحة : ٥ .

(٤) آل عمران : ١٤٤ .

(١) فاطر : ٢٨ .

(٣) الإيضاح : ص ١١٨ .

وكقولنا في قصر الصفة على الموصوف: (ماشاعر إلا زيد) و (وما عالم إلا محمد) و (إنما الشهيد مصعب) . فالقصر إضافي لأنه يوجد من الشعراء غير زيد، ومن العلماء غير محمد ومن الشهداء غير مصعب.

ومما تقدم ذكره يتضح لنا أن القصر الحقيقي لا يكون إلا في قصر الصفة على الموصوف بخلاف الإضافي فإنه يكون في قصر الموصوف على الصفة، والصفة على الموصوف.

الثاني - القصر باعتبار الطرفين :

وهو قسمان :

(١) قصر الموصوف على الصفة.

(٢) قصر الصفة على الموصوف.

والذي يحدد ذلك هو تعيين طرفي القصر (المقصور والمقصور عليه) ثم تحديد الصفة والموصوف.

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْبِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴾ (١)

فالمقصور هو: أنت وهو الموصوف، والمقصور عليه: الإنذار وهي صفة ولذلك يكون القصر: قصره على الإنذار، أي قصر موصوف على صفة.

والثاني : كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٢)

فالمقصور هو : العلم وهي الصفة، والمقصور عليه: الله وهو الموصوف ولذلك يكون القصر: قصر العلم على الله، أي: قصر صفة على موصوف.

الثالث - القصر باعتبار حال المخاطب :

وهو ثلاثة أقسام :

المدثر : ٣١ .

(٢)

النازعات : ٤٥ .

(١)

- (١) قصر الأفراد : وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره . كقولنا : " مازيد إلا شاعر " لمن اعتقد أنه كاتب بالإضافة إلى الشعر . فنفرد له هذه الصفة .
وعكس ذلك لو قلنا : " ما شاعر إلا زيد " لمن اعتقد مشاركة محمد له في الشعرية .
- (٢) قصر القلب : وذلك إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي يثبتته القصر . كقولنا : "مازيد إلا شاعر" لمن اعتقد أنه كاتب ليس بشاعر وعكسه: "ماشاعر إلا زيد" لمن اعتقد أن الشاعر محمد لازيد .
- (٣) قصر التعيين : وذلك إذا كان المخاطب مترددا في الحكم بين المقصور عليه وغيره . كأن نقول : "مازيد إلا شاعر" لمن تردد في إثبات الحكم لزيد هل هو كاتب أم شاعر . فتعين له بإسلوب القصر .
أو نقول : " ما شاعر إلا زيد " لمن تردد في إثبات الشعرية لزيد أو لعمرو فتعين له بطريق القصر .
فالمتغير في الحالات الثلاثة هو حال المخاطب .

الفصل والوصل

الفصل في اللغة هو : البون بين الشئين، والفصل من الجسد موضع المفصل،
والفصل: الحاجز بين الشئين، يقال: فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلت
الشيء فانفصل، أى: قطعتة فانقطع.

والوصل خلاف الفصل ، يقال : وصل الشيء بالشيء يصله وصلا، وصلته.
واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع^(١).

وفي الإصطلاح : الوصل : عطف بعض الجمل على بعض بالواو، والفصل
ترك هذا العطف. وقد عد العلماء هذا الفن من الفنون العظيمة حتى قصر بعضهم
البلاغة على بعضه. فلما سئل الفارسي عن البلاغة قال: هي معرفة الفصل من
الوصل، وقيل: إن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت
كاللاليء بلا نظام.

وذكر أن أبا العباس السفاح قال لكاتبه : فف عند مقاطع الكلام وحدوده ، ومن
حلية البلاغة المعرفة بمواضع الفصل والوصل.

وقال الأحنف بن قيس ما رأيت رجلا تكلم بأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام،
ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص رضى الله عنه كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام،
وأعطى حق المقام، وغاص فى استخراج المعانى بألطف مخرج حتى كان يقف عند
المقطع وقوفا يحول بينه وبين تبعيته من الألفاظ^(٢).

وهذا ماوضحه الإمام عبدالقاهر الجرجاني إذ يقول: اعلم أن العلم بما ينبغى أن
يصنع فى الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجىء بها
منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة . ومما لا يتأتى لتمام الصواب
فيه إلا الأعراب الخالص والأقوام الذين طبعوا على البلاغة وأتوا فنا من المعرفة فى

(١) انظر: النسان مادة فصل ووصل.

(٢)

انظر الصناعتين - العسكري، ص ٤٩٣.

نوق الكلام، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل ذلك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة.

واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها (١).

وفيه يقول السكاكي: إنه لمحك البلاغة، ومنتقداً لبصيرة، ومضمار النظائر، ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم، وهو الذي إذا طبقت فيه المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى (٢).

ويبين كذلك القزويني منزلته من البلاغة فيقول: "وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر (الفصل والوصل) على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المآخذ لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتي فهم كلام العرب طبعاً سليماً، ورزق في إدراك أسرارها ذوقاً صحيحاً. ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل" (٣).

واعلم أن بلاغة الوصل لا تتحقق إلا بالواو العاطفة فقط، لأنها الأداة التي لاتفيد إلا الربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، وهذا مالا تؤديه بقية حروف العطف إذ أنها تفيد مع التشريك معاني أخرى، كالترتيب مع التراخي في (ثم)، وكالترتيب مع التعقيب في (الفاء).

ومثال ذلك قولنا: "دخل زيد فخرج محمد" إذا أردنا أن نخبر أن خروج محمد كان بعد دخول زيد من غير مهلة. أو نقول: "خرجت ثم خرج زيد" إذا أردنا أن نخبر أن خروج زيد كان بعد خروجي بمهلة.

لذلك اشترطوا في العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامع. فنقول: زيد

يقرأ ويكتب.

(٢) مفتاح العلوم: ص ٣٤٩.

(١) دلائل الإعجاز - ص ٢٤٠.

(٣) الإيضاح - ص ١٤٧.

مواضع الوصل :

وللوصل مواضع ثلاثة :

أولها : أن تكون الجملتان متفتحتان خبرا وإنشاء، لفظا ومعنى .

والمراد من هذا الكلام: هو عطف جملة خبرية على جملة خبرية أخرى، أو عطف جملة إنشائية على جملة إنشائية أخرى في اللفظ والمعنى.

أما الأولى وهي : عطف الجملة الخبرية على جملة خبرية مثلها :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (١).

فالآية الأولى ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ جملة خبرية لفظا ومعنى .

والآية الثانية ﴿ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ جملة خبرية لفظا ومعنى .

وكقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ (٢).

فالجملتان في الآية خبريتان في اللفظ والمعنى .

وقوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٤).

ومنه قوله تعالى : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

وقوله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ

آمَنُوا ﴾ (٦).

أما الثانية وهي : عطف الجملة الإنشائية على جملة إنشائية مثلها :

(١) الروم : ١٩ .

(٢) النوبة : ٨٤ .

(٣) البقرة : ٢١٢ .

(٤) الانشقاق : ١٣ ، ١٤ .

(٥) النساء : ١٤٢ .

(٦) الأعراف : ٦٢ .

كقوله تعالى : ﴿ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (١).

فعطف قوله (استقم) بالواو على قوله (فادع) وكل من الجملتين إنشائيتين لأنهما أمران .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا واشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (٢).

فعطف (لا تسرفوا) وهو نهى على قوله (وكلوا واشربوا) وهو أمر ، وكلاهما إنشائيتان .

وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣).

فالمطف بين قوله تعالى (وليجدوا فيكم غلظة) وهو أمر على قوله تعالى : {قاتلوا الذين يلونكم...} وهو أمر كذلك ، وعليه فيكون العطف بين جملتين إنشائيتين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (٥).

فوصل جملة (ولا تشركوا) بجملة (واعبدوا) لاتحاد الجملتين في الإنشاء ، ولأن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان أن يؤديه لخالقه ويختصه به (٦) .

(٢) الأعراف : ٣١ .

(٤) الحجرات : ١ .

(٥) أنظر: جواهر البلاغة، ص ١٩٩ .

(١) الشورى : ١٥ .

(٣) النوبة : ١٢٣ .

(٥) النساء : ٣٦ .

وقد تتفقان معنى لا لفظا، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (١).

فعطف قوله تعالى : { وبالوالدين إحسانا } وهي جملة خبرية في اللفظ إنشائية في المعنى ، لأنها تقدر (واحسنوا بالوالدين إحسانا) على قوله تعالى : { لا تعبدون إلا الله } وهي جملة خبرية لفظا إنشائية معنى، بمعنى : لا تعبدوا إلا الله. وكقوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

أى: إني أشهد الله وأشهدكم، فتكون الجملة الثانية في الآية إنشائية لفظا، ولكنها خبرية في المعنى. وكما يقول المفسرون في هذه الآية: أن الداعي لذكر الجملة الثانية إنشائية، ولم تذكر خبرية كالأولى، لأجل التحاشي عن مساواة شهادتهم بشهادته عز وجل.

ثانيها : إذا كان الفصل يوهم خلاف المعنى المراد .

نحو قولهم : (لا ورحمك الله) في جواب : هل كان كذا؟ وقولهم : (لا وأيدك الله) ، لا وحفظك الله، لا ولطف الله، وقولك لمن عرض عليك شيئا : لا وشكرالك. وذلك لئلا يشتبه الدعاء له بالدعاء عليه .

ثالثها : ان يكون للجملة الأولى محل من الإعراب .

وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي. وهو كعطف المفرد على المفرد؛ لأن الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد.

والواجب هنا في مثل هذه الحالة أن تكون مناسبة بين الجملتين المعطوفتين كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَبْضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) فَعَطِفَتْ (يبسط) على

مورد : ٥٤ .

(٢)

(١) البقرة : ٨٣ .

(٣) البقرة : ٢٤٥ .

(يقبض) ، وكقوله تعالى : ﴿ يَعْلمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْفَقُورُ ﴾ (١) .

والأحسن في مثل هذه الحالة أن تتفق الجملتان في الأسمية والفعلية ، والفلطتان في الماضوية والمضارعية . ومعنى ذلك؛ أن تعطف الجملة الأسمية على اسمية مثلها، وكل من الماضوية والمضارعية على مثلها كذلك . وهذا ماوضحته الآيات السابقة في هذا القسم .

ولذلك عيب على أبي تمام قوله :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر^(٢) وأن ابا الحسين كريم
إذ أنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى.

مواضع الفصل :

قد يعرض للجمل ما يوجب ترك الواو فيها ، وهذا مايسمى بالفصل . ويقع في خمسة مواضع وهي :

الأول : أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، أو بيانا لها أو بدلا منها. وهذا ما يسمى كمال الإتصال .

١- أن تكون الجملة الثانية توكيدا للجملة الأولى .

كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

فقوله : (هدى للمتقين) توكيد معنوي لقوله (لا ريب فيه) .

فإن (هدى للمتقين) معناه : أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة، وهذا معنى قوله : ﴿ أَلَمْ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ﴾ . لأن معناه : الكتاب الكامل، والمراد بكماله كما له في الهداية(٤) .

(١) سيا : ٢ . وفي روايات مر بدلا من صبر .

(٢) الايضاح: ص ١٥٢ .

(٣) البقرة : ١٠١ .

وكقوله تعالى : ﴿ فَمَهَلِ الْكَافِرِينَ أَنهَلَهُمْ رُؤْيَا ﴾ (١). فالجملة الثانية فى الآية : ﴿ أَنهَلَهُمْ رُؤْيَا ﴾ تؤكد لفظى ومعنوى للجملة الأولى { فَمَهَلِ الْكَافِرِينَ } . ومن التوكيد المعنوى قوله تعالى : ﴿ كَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا كَانَ فِي أذْنِهِ وَقَرَأَ ﴾ (٢). فالجملة الثانية (كان فى أذنيه وقرا) تؤكد معنوى للجملة الأولى (كأن لم يسمعها) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٣) .

فقوله تعالى (يخادعون الله) تؤكد معنوى للجملة الأولى . لأن المانع من العطف فى هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحادا تاما يمنع عطف الشىء على نفسه ويوجب الفصل .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤). وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٥) .

فقوله (إنا معكم) يعنى الثبات على اليهودية، وقوله (إنما نحن مستهزؤون) رد للإسلام، والمستهزء بالشىء منكر له، فإنكار الإسلام يعنى الثبات على اليهودية. ولذلك كانت الجملة الثانية تؤكد معنوى للأولى.

٢- أن تكون الجملة الثانية مبينة للأولى . إذا كان فى الجملة الأولى نوع من الخفاء.

كقوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى ﴾ (٦) .

(٢) لقمان : ٧ .

(٤) البقرة : ٦ .

(٦) طه : ١٢٠ .

(١) الطارق : ١٧ .

(٣) البقرة : ٩ .

(٥) البقرة : ١٤ .

فإنه فصل (قال) عن (وسوس) لأن فيها تفسيراً وبيانا لها. لأنه لو وصلها لظن السامع أن القول لا علاقة له بالوسوسة، ولظلت الوسوسة مجهولة، ولذلك فصلها.

وكقوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (١).

ففصل الجملة الثانية (إن هذا) لأنها بيانا لما قبلها (ما هذا بشرا).

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٢).

فجاء قوله تعالى : (إن هو إلا وحى يوحى) بيانا لقوله سبحانه : (وما ينطق عن الهوى).

وعليه قول الشاعر :

اقسم بالله أبو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر

فقول (عمر) توضيح وتبيين لأبى حفص .

٣- أن تكون الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى

كقوله تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٣).

فإن قوله تعالى : (أمدكم بانعام وبنين) بدل من الجملة الأولى : (أمدكم بما تعلمون) : لأن الانعام والبنين من جملة ما يعلمون ، وجيء بها للتنبية على نعم الله ، وللعناية بشأنها ، ولكونها أدل على المقصود . والبدل هنا بدل بعض من كل .

وكقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (٤).

وهذا بدل بعض من كل ، لأن تذبيح الأبناء جزء من سومهم العذاب .

(١) يوسف : ٣١ . (٢) النجم : ٣ ، ٤ .

(٣) الشعراء : ١٣٢ - ١٣٤ . (٤) البقرة : ٤٩ .

وقد تكون كالجملة الثانية بدل اشتمال من الأولى، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (١) .

فإن قوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجرا) بدل من قوله تعالى : (اتبعوا المرسلين) لأنه أوفى بتأدية المعنى ، لأن معناه : لا تخشرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم. وكقوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَأَبْدَأُ مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (٢) . فقوله ﴿ أَتَبْدَأُ مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ بدل من قوله تعالى : (قال الأولون) .

الثانى - أن يكون بين الجملتين تباينا تاما . وهو ما يسمى بكمال الإنقطاع .

ويكون هذا من خلال حالات ثلاث:

(١) أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣) .

فالجملة الأولى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) خبرية لفظا ومعنى .

والجملة الثانية : (ادفع بالتي هي أحسن) إنشائية لفظا ومعنى .

والفصل بينهما لا يوهم خلاف المقصود ، ولذا وجب الفصل فى هذا الموضع .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

ففصل بين قوله تعالى : (إن الله سميع عليم) وهى جملة خبرية ، وبين

قوله تعالى : (واتقوا الله وهى جملة إنشائية) ، ولا تناسب بينهما .

(٢) المؤمنون : ٨١ - ٨٢ .

(٤) الحجرات : ١ .

(١) يس : ٢٠ - ٢١ .

(٣) نعت : ٣٤ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١).

فالفصل بين الجملة الإنشائية : (ولا تصلى... ولا تقم) .

والجملة الخبرية : ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَِعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

فالجملة : (واتقوا الله) ، إنشائية ، و (إن الله تواب رحيم) ، خبرية .

(٢) أن تختلف الجملتان إنشاء وخبرا في المعنى دون اللفظ .

كقولنا : مات فلان رحمة الله .

فالجملة الأولى : (مات فلان) خبرية لفظا ومعنى .

والثانية : (رحمة الله) خبرية لفظا وإنشائية معنى . لأنها بمعنى : ارحمه يا الله، فهي أمر خرج إلى معنى الدعاء .
وكقول الشاعر :

ملكته حبلى ولكنـــــــــــــــــه ألقاه من زهد على غارب

وقال إنى فى الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب

فجملة : انتقم الله، جملة خبرية لفظا، إنشائية معنى، لأنها دعائية وجملة : إنى فى الهوى كاذب ، خبرية لفظا ومعنى .

(٣) أن تتفق الجملتان خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى .

وفى هذه الحالة لا يكون بين الجملتين مناسبة فى المعنى ولا ارتباط بينهما، بل كل منهما مستقل بنفسه .

كقول الشاعر :

إنما المرء بأصغريه كل امرئ رهن بما لديه

فاتفقت الجملتان خبرا لفظا ومعنى.

الثالث : أن تكون الجملة الثانية قوية الارتباط بالجملة الأولى لوقوعها جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولى .

كقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (١).

فقوله : (إنه ليس من أهلك) أثارت سؤالا : كيف لا يكون من أهلى وهو ابنى؟ فجاءت الجملة الثانية جوابا لهذا السؤال وهو قوله: (إنه عمل غير صالح) .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (٢) .

فقوله : (وما أبرئ نفسي) أوجدت سؤالا : لم لا تبرئ نفسك ؟ فجاءت الجملة الثانية : (إن النفس لأماراة بالسوء) جوابا لهذا السؤال .

وقول الشاعر:

قال لى : كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحرزن طويل

فقوله (قلت عليل) أثارت سؤالا فحواه : لماذا أنت عليل ؟ فجاءت الجملة الثانية تبين سبب العلة : (سهر دائم وحرزن طويل) .

ومن هذه الأمثلة يتضح ارتباط الجمل الثانية بالأولى ارتباطا شديدا.

الرابع : أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على الأولى لوجود المناسبة التسي تصوغ ذلك ، ولا يصح عطفها على الثانية ؛ لأنها توجد فسادا فى المعنى . كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (٣) .

فجملة (الله يستهزئ بهم) يجوز عطفها على الجملة الأولى، و(وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا)، ولايجوز عطفها على الجملة الثانية: (إنا معكم)، ولكن امتنع العطف هنا دفعا لتوهم العطف على الثانية.

(١) هود : ٤٦ .

(٢)

يوسف : ٥٣ .

(٣) البقرة : ١٤ ، ١٥ .

ومنه قول الشاعر:

وتظن سلمى أننى ابغى بها بدلا أراها فى الضلال تهيم

فقوله : (أراها) يصح عطفها على جملة تظن ، ولا يصح عطفها على جملة: (أبغى بها) ، فتكون الجملة الثالثة من مضمونات سلمى ، مع أنه غير المقصود. فدفعنا لهذا التوهم امتنع العطف.

الخامس- التوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف، وهو عدم الاشتراك فى الحكم.

كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (١).

فقد فصل جملة الله يستهزئ بهم عن جملة قالوا ، لأن قولهم مقيد بوقت خلوهم إلى شياطينهم ، أما استهزاء الله بهم فدائم فى كل وقت . وأما فصل جملة (الله يستهزئ بهم) عن جملة (إنا معكم) لعدم قصد التشريك فى الحكم الأعرابى .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢).

فالجمل الثلاث فى الآية : امرأة العزيز تراود ، وقد شغفها حبا ، وإنا لنراها فى ضلال مبين ، وقعت مقولا لقول النسوة، فلها محل من الإعراب ، وقد فصل بينها لشبه كمال الاتصال ؛ لأن الجملة الأولى أثارت سؤالا : ما سبب تلك المرادة ؟ فجاءت الإجابة : قد شغفها حبا ، وكذلك الجملة الثانية : ما رأيكن فى امرأة العزيز؟ فجاءت الإجابة : إنا لنراها فى ضلال مبين .

يوسف : ٣٠ .

(٢)

البقرة : ١٤ ، ١٥ .

(١)

الإيجاز والإطناب والمساواة

لقد شمل الخطيب القزويني هذه الأقسام في مقوله واحدة وهي : أن المقبول من طرق التعبير عن المعنى : هو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له، أو ناقص عنه واف، أو زائد عليه لفائدة^(١).

فقوله : مساو له ، هي المساواة، وقوله: ناقص عنه واف، هو الإيجاز. وقوله: زائد عليه لفائدة، هو الإطناب.

أولاً - الإيجاز :

وهو التعبير عن معان كثيرة بألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح، وهو قسمان: إيجاز حذف، وإيجاز قصر.

(١) إيجاز الحذف :

وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وذلك بحذف شيء من الجملة مع عدم الإخلال بالمعنى.

كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾^(٢).

أى: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا. فحذف الصفة وهي كلمة (صالحة).

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾^(٣).

أى : من كان منكم مريضا أو على سفر فأقطر فعليه عدة من أيام آخر.

وقوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشُّفَعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ

فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴾^(٤).

حذف جواب القسم لوضوحه ، وهو : لتبعثن .

(٢) الكهف : ٧٩ .

(١) الإفصاح: ص ٢٨١ .

(٤) العجر : ١-٥ .

(٣) البقرة : ١٨٤ .

وقوله تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (١).

أى : من قبل الغلب ، ومن بعده، فالمحذوف هنا المضاف إليه.

وقوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ

أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ (٢).

أى : ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل. فحذف المعطوف.

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ﴾ (٣).

أى: أعرضوا لعلكم ترحمون. فحذف جواب الشرط.

وقوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (٤). أى : أهل القرية. فحذف المضاف.

(٢) إيجاز القصر :

هو التعبير عن المعانى الكثيرة بألفاظ كثيرة من غير حذف.

كقوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (٥).

فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه ، لأن المراد به أن الإنسان

إذا علم أنه متى قُتِلَ قَتِلَ كَانَ ذَلِكَ دَاعِيَا لَهُ قَوِيَا إِلَى أَنْ لَا يَقْدَمَ عَلَى الْقَتْلِ فَارْتَفَعَ

بِالْقَتْلِ الَّذِي هُوَ قِصَاصٌ كَثِيرٌ مِنْ قَتْلِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فَكَانَ فِي ارْتِفَاعِ الْقَتْلِ

حياة لهم (٦).

ولقد فاقت هذه الآية قول العرب فى الإيجاز : "القتل أنفى للقتل" وذلك

لاعتبارات كثيرة ذكرها ابن الأثير فى كتابه المثل السائر :

- | | | | |
|-----|---------------|-----|------------------|
| (١) | الروم - ٤. | (٢) | الحديد: ١٠. |
| (٣) | يس : ٤٥. | (٤) | يوسف : ٧٢. |
| (٥) | البقرة : ١٧٩. | (٦) | الايضاح : ص ٢٨٧. |

- (١) عدد الحروف المنطوق بها في الآية أقل من عدد الحروف في المثل، إذ أنها في الآية عشرة حروف ، وفي المثل أربعة عشر حرفاً.
 - (٢) لا تكرار في الآية الكريمة ، وهذا بخلاف ما ورد في المثل من تكرار كلمة القتل .
 - (٣) اشتمال الآية الكريمة على المحسن المعنوي - الطيباق - بين القصاص والحياة، وهذا ما لا يوجد في قول العرب .
 - (٤) جعلت الآية الكريمة القصاص أصلاً للحياة إذ أنه لها كالمنبع، وذلك بدخول حرف الجر في عليها، وهذا بخلاف المثل المذكور.
 - (٥) التكرير الموجود في كلمة (حياة) في الآية أفاد التعظيم والنوعية.
 - (٦) يوجد حذف مقدر في المثل (القتل أنفى للقتل من تركه) أما الآية فلا حذف فيها.
 - (٧) ليس كل قتل نافياً للقتل، إذ لاينفى القتل القتل إلا إذا كان على حكم القصاص. وهذا ما تفيدده الآية دون القول المذكور.
- وقوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ (١) .
- لقد احتوت هذه الكلمات على جميع مكارم الأخلاق ، ففي قوله (خذ العفو) فيه الصفح والإغضاء ومسامحة من أساء ، والرفق في كل كالأمر .
- وفي الأمر بالعرف : صلة الأرحام ، ومنع اللسان عن الكذب ، وغض الطرف عن المحرمات .
- وفي الإعراض عن الجاهلين : الصبر، والحلم ، وكظم الغيظ .
- وقوله تعالى : ﴿ وفيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين ﴾ (٢) .
- فقد اشتملت الآية على كل ما تشتهي النفوس، وتلتذ به العيون.

(١) الزحرف : ٧١ .

(٢)

(١) الأعراف : ١٩٩ .

ثانيا - الإطناب :

وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة .

وله صور متعددة :

(١) الايضاح بعد الإبهام :

كما فى قوله تعالى : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع

مصبحين ﴾ (١) .

ففى إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر ، وتعظيم له . فيبدو فى صورتين مختلفتين وعندئذ يقع فى النفس أطيب موقع ، ويتمكن لديها أفضل تمكن ؛ لأنه جاء والنفس تبحث عنه وتتطلع إليه .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ (٢) .

فقد وضح وفصل الإبهام الذى أفادته مجمل التجارة .

وقوله تعالى : ﴿ قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ﴾ (٣) .

لتفخيم الأمر وتعظيمه ، فإن قوله : (اشرح لى) يفيد طلب شىء ما ، وقوله : (صدرى) يوضح لنا هذا الشىء . وكذلك الحال فى قوله تعالى : (ويسر لى أمرى) .

(٢) ذكر الخاص بعد العام :

للتنيه على فضل الخاص . كقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى

الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ (٤) .

فخص الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر مع أنهما داخلان فى عموم الخير ، وذلك إشارة وتبنيها إلى مكانتهما من الشرف والفضل ، وليبيان أهميتهما فى حياة الناس .

(١) الحجر : ٧٦ . (٢)

(٣) العنكبوت : ١٠ ، ١١ . (٤)

(٢) طه : ٢٥ ، ٢٦ .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ..﴾ (١)

فخص جبريل وميكال بالذكر مع أنهما داخلان في عموم الملائكة .

ومنه قوله تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ (٢)

فالصلاة الوسطى داخلة في عموم الصلاة ، ولكنها خصت بالذكر للتبنيه على

مالها من مزية وفضل .

(٣) ذكر العام بعد الخاص :

لإفادة العموم والتبنيه على فضل الخاص. كما في قوله تعالى : ﴿رَبِّ اغْفِرْ

لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (٣)

فقوله : (المؤمنون والمؤمنات ، لفظان عامان يدخل فيهما كل ما ذكر قبلهما

وكان الخاص ذكر مرتين: مرة على انفراد، ومرة ضمن العموم. وفي هذا عناية

واهتمام بذكر الخاص.

(٤) التكرار :

وهو دلالة اللفظ على المعنى مكررا، ويأتي لأغراض متعددة:

كالتأكيد والإنذار : كما في قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا

سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٤) . وقوله تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ...﴾ (٥) . وقوله تعالى :

﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٦) .

فقد أكد الإنذار بتكراره ليكون أبلغ في التحذير والتخويف، ويفيد التكرار أيضا

التعظيم والتفخيم . والتبنيه على ما ينفي التهمة : ليكمل تلقى الكلام بالقبول .

(١) الآية : ٢٣٨ .

(٢)

(٣) الآية : ٩٨ .

(٤) النكاثر : ٣٠ ، ٤٠ .

(٥)

(٦) نوح : ٢٨ .

(٦) القارعة : ١ ، ٢ .

(٦)

(٥) الحاققة : ١ ، ٢ .

كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ إِحْيَاءُ النَّفْسِ الْمَيِّتِ ﴾ (١) .

فجاء التكرار في هذه الآية في قوله (يا قوم) ليعمل على استمالة المخاطب وترغيبه في قبول النصح والإرشاد ، ويزيل كل شك وريب من نفوس القوم حول هذه الدعوة.

والتعجب: كما في قوله تعالى: ﴿ فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (٢) . متعجبا من مكر ودهاء الوليد بن المغيرة في تقديره وتخطيطه لإضعاف صف المسلمين.

ويأتي التكرار للتذكير بنعم الله التي لا تحصى: وقد سماها البعض بتعدد المتعلق وهذا واضح في سورة الرحمن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فقد كررها بعد كل نعمة.

٥) التوشيح :

وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما مغطوف على الآخر. كما جاء في الأثر: يشيب ابن آدم وتشيب فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل. وكقولهم: العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان .

وكقول الرسول عليه الصلاة والسلام: إنما المرء بين يومين: يوم قد مضى أحصى فيه عمله فحتم عليه، ويوم قد بقي لعله لا يصل إليه.

وفائدته : أنه يخرج لنا الكلام من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس.

٦) الإعتراض :

وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجمله أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة.

المذثر : ٢٠ ، ١٩ .

(٢)

(١) غافر : ٣٨ ، ٣٩ .

كالتنزيه : في قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لَهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ (١). والدعاء : كما في قول أبي الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل مافيها - وحاشاك - فانيا
فإن قوله : وحاشاك ، دعاء حسن في موضعه.

والتعظيم : كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢).

وهناك صور أخرى للإطناب منها : التتميم والتذييل وتكميل الاحتراس والإيغال .

ثالثا - المساواة :

وهي أن تكون الألفاظ على قدر المعاني ، والمعاني على قدر الألفاظ . وهذا ما عبر عنه العسكري بقوله : وكان الألفاظ قوالب للمعاني ، لا تزيد عليه ولا تنقص .
كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣).

فإنه سبحانه وتعالى أراد أن يأمر بجميع المحاسن الممدوحات، وينهى عن جميع القبائح المذمومات، فأخرج الألفاظ في صورة مساوية للمعاني لا تزيد ولا تنقص عنها، ولو أنك حذفنا لفظة من ألفاظ الآية لاختل شيء من المعنى، وإذا زدت على ألفاظها لفظا لحصل من الاختلال بالزيادة ما حصل منه بالنقص، وليس ثمة معنى للمساواة غير هذا (٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (٥).

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٦).

الواقعة : ٧٥ - ٧٧ .

(٢)

الحل : ٥٧ .

(١)

من البلاغة : د. عبدالقادر حسين، ص ١٨٨ .

(٤)

الحل : ٩٠ .

(٣)

الرحمن : ٦٠ .

(٦)

فاطر : ٤٣ .

(٥)



الباب الثالث

علم البيان

علم البيان

قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . وقال
تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

إن كلمة البيان تدل في أصل معناها على الوضوح والإبانة سواء كان البيان
بالتقول المنطوق أو اللفظ المكتوب أو بالإشارة أو بالعقد أو النصب كما قال الجاحظ .
ثم تطور هذا المفهوم حتى أصبح علما من علوم البلاغة الثلاثة مستقلا بذاته .
وقد عرفه علماء البيان بقولهم : " هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في
وضوح الدلالة عليه " .

وتتخصر موضوعات هذا العلم في مسائل عدة :

التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية والتعريض .

وهذا ما سيتم توضيحه بالشرح والتفصيل إن شاء الله .

أولا - التشبيه

التشبيه لغة : التمثيل ، وهو مصدر مشتق من مادة شبه. قال ابن منظور فى لسان العرب: الشبه، والشبه، والتشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله. وأشبهت فلانا، وشابهته، واشتبته على، وتشابه الشينان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه. وشبهة به: مثله، والتشبيه التمثيل (١).

التشبيه اصطلاحا : هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بأداة من أدوات التشبيه الظاهرة أو المقدرة .

وذكر كلمة المقدرة فى التعريف يجعل التعريف أكثر شمولا، لأنه لا يخرج من دائرته التشبيه البليغ والضمنى. مثال ذلك : محمد كالأسد، ومحمد أسد. فالأول ذكر فيه الطرفان (المشبه والمشبه به) وأداة التشبيه (الكاف)، والثانى ذكر فى الطرفين دون الأداة.

وقد ذكر العلماء تعريفات عدة للتشبيه، منها ما ذكره المبرد بقوله: "واعلم أن للتشبيه حدا، فالأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه، وإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع" (٢). وهذا ما ذكره قدامة فى تعريفه للتشبيه إذ يقول : "إن الشيء لا يشبه نفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشينان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة إتحدافصار الاثنان واحدا فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك فى معان تعمهما، ويوصفان بها، واقتراق فى أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتهما. وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشينين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيها" (٣).

وقد عرف السكاكى التشبيه تعريفا شاملا ذكر فيه المشبه والمشبه به ووجه الشبه فقال: "إن التشبيه مستدع طرفين : مشبها ومشبها به، واشتركا بينهما فى وجه، واقتراقا من آخر" (٤).

(١) لسان العرب - ابن منظور ، مادة شبه. (٢) الكامل - المبرد - ج ٢ - ص ٧٦٦ - مكتبة المعارف - بيروت

(٣) نقد الشعر - قتادبة بن جعفر ١٢٢. تحقيق/ الرويسير: س. أ. بونياكر - مطبعة بريل ليدن، ١٩٥٦م.

(٤) مفتاح العلوم - السكاكى، ص ١٧٧ - المطبعة الأدبية - القاهرة عام ١٣١٧هـ.

وقد عرفه الخطيب القزويني بقوله: "هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في

معنى" (١).

من خلال ماتقدم ذكره نلاحظ أن هذه التعريفات تصب في مضمون واحد،

وهو ذكر الطرفين مع وجه الشبه ، لذا كان أشمل تعريف للتشبيه ما ذكرناه سابقا وهو:
الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بأداة ظاهرة أو مقدره .

أركان التشبيه:

يرى علماء البلاغة أن للتشبيه أربعة أركان:

- | | |
|------------|---------------|
| ١- المشبه. | ٢- المشبه به. |
| ٣- الأداة. | ٤- وجه الشبه. |

والأركان الأربعة المذكورة تنحصر في ثلاثة أقسام وهي :

طرفا التشبيه ، الأداة ، وجه الشبه،

أولاً - التشبيه باعتبار الطرفين : (١) تشبيه المحسوس بالمحسوس =

(٢) المعقول بالمعقول = وجه

ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين إلى قسمين:

(٣) تشبيه المحسوس بالمعقول = وجه الشبه

الأول : باعتبار المحسوس والمعقول. (٤) تشبيه المعقول بالمحسوس = وجه الشبه

الثاني : باعتبار الأفراد والتركيب والتعدد.

القسم الأول - باعتبار المحسوس والمعقول.

ينقسم التشبيه باعتبار المحسوس والمعقول إلى أربعة أقسام :

١- تشبيه المحسوس بالمحسوس :

كقوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (١) .

أى: قدرنا سير القمر فى منازل حتى إذا كان آخر منازل دق وتقوس حتى صار كأعواد النخيل العتيقة اليابسة. فقد شبه القمر بالعرجون فى دقته وتقوسه واصفراره والطرفان هنا حسيان لأن كلا منهما يدركان بإحدى الحواس الخمس.

وقوله وتعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ (١).

فقد شبه السماء بالمهل، والجبال بالعهن، وهما حسيان.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا أُنْجِئَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ جِدَادٍ﴾ (٢).

كان عبدالله بن أبى، أصحابه يعوقون المؤمنين يوم الخندق عن المقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويصرفونهم عن نصرته، فإذا أحاط بهم الخوف من العدو نظروا إلى رسول الله مذعورين تدور أعينهم يمينا وشمالا دون أن تطرف كما تدور عينا الذى تغشاه سكرات الموت لذهوله وشدة خوفه. فشبه دوران عيني الخائف بدوران عيني الذى تغشاه سكرات الموت وهذا التشبيه أبلغ فى وصف الخائف من جميع الأوصاف، وأوقع التشبيهات بمثل هذه الحال (٣).

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ (٤).

فقد شبه القرآن قوم عاد حين كانت الريح تقتلع رؤوسهم عن أجسادهم فتجعلهم بلا رؤوس بأعجاز النخل المقتلع من مغارسه، فالطرفان حسيان.

(١) الأحراب: ١٨، ١٩.

(٢)

(٣) انفراج: ٨، ٩.

(٤) القرآن والصور البيانية - د. عبدالقادر حسين، ص ٩٥. دار انوار بالقاهرة، ط١ عام ١٩٩١م.

(٥) القمر: ١٨.

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ،
وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ (١) . فشبّه الكفار بالأنعام في التمتع بالأكل .

وقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٍ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (٢) .

شبه نساء أهل الجنة (الهور العين) بالبييض المكنون، وكلاهما حسيان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ (٣) . وقوله تعالى :

﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (٤) .

فقد شبه نساء أهل الجنة ببيض النعام، واللؤلؤ المكنون، والياقوت والمرجان وكلها حسية. ولو تأملنا في هذه الآيات لوجدناها تعمل على إظهار جمال الحور العين والإبداع في تصوير حسنها من خلال صورة التشبيه. فهن ببيض النعام ذو اللون الأبيض المشوب بصفرة، وذلك أجمل وأحسن ألوان النساء والبيض قد كُنَّ وستر فلا يصل إليه غبار، وهن لؤلؤ مكنون وياقوت ومرجان، والنفس شديدة الرغبة في هذه الأنواع الكريمة، وتلك الأحجار النفيسة وشديدة الحرص عليها . وذاك عامل نفسى قوى يحجب هؤلاء النساء ويعلى شأنهن في نفس المؤمن (٥) .

ومن هذا القبيل تشبيه النجوم بالمصابيح في قول الشاعر :

نجومه ركد ليست بزائلة كأنما هن في الجو القناديل

فشبه النجوم بالقناديل، وهما حسيان . وكقول الشاعر :

فاتك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقول الآخر :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(١) عمدة: ١٢ . (٢) الصافات : ٤٨ . ٤٩ .

(٣) الواقعة : ٢٢ ، ٢٣ . (٤) الرحمن : ٥٨ .

(٥) انظر : علم البيان - د. بسيمون عبدالفتاح - ص ٢٠ ، ط ١٩٨٧ . مطبعة السعادة بمصر .

فقد شبه الغبار المثار فوق الرؤوس، والسيوف التي تتحرك في وسطه وهى مضينة لامعة بليل مظلم تتساقط كواكبه إلى الأرض.
وقد يتخيل الأديب صورة، مادتها الأساسية من المحسوسات، ولكن الصورة عند التركيب لا وجود لها مطلقا فى عالم الواقع، وهذا يكون كذلك من تشبيه المحسوس بالمحسوس.

كقول الشاعر:

وكان محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد ①
أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد ②

فالشاعر فى هذين البيتين يصف شقائق النعمان حمراء اللون فى حال ميلها نحو الأسفل ذبولا، والأعلى تفتحا أو تحركها إلى أعلى وأسفل بأعلام الياقوت التى نشرت على رماح مصنوعة من الزبرجد. فالشاعر مثل ساق الشقيق الأخضر بالزبرجد كما مثل الأوراق الحمر بالياقوت.

٢- تشبيه المعقول بالمعقول :

والمراد بالمعقول هو كل ما يدرك بالعقل أو بالوجدان. وهو بخلاف الحسى. ونعنى بالوجدان فى قولنا السابق هو تلك المشاعر النفسية كاللذة والألم، والغضب والرضى، والجوع والشبع إلى غير ذلك من الأمثلة.

والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

تشبيه الفقر بالكفر، والضلال بالعمى، والجهل بالموت، والعلم بالحياة. ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (١) ① مسوأة الفلوب
② مسوأة الحجارة
مسوأة الفلوب

يقول الزركشى : بأن التشبيه فى الآية القرآنية من قبيل تشبيه المعقول بالمعقول أى : شبه قسوة القلوب بقسوة الحجارة . ويعتبر السيوطى أن التشبيه من قبيل المحسوس بالمحسوس معترضاً على ماقاله الزركشى، ومعتبراً أن التشبيه واقع بين القلوب والحجارة^(١) .

ولكننا نرجح ما ذهب إليه الزركشى وهو : أن التشبيه فى الآية من قبيل تشبيه المعقول بالمعقول لأن ذكر القسوة فى الآية الكريمة مرتين الأولى مقترنة بالقلوب، والثانية مقترنة بالحجارة لم يأت اعتباطاً، وإنما جاء ليبين لنا أن قسوة القلوب أشد من قسوة الحجارة لأن هذه الحجارة مع قساوتها إلا أنها طواعتنا وحققت لنا ما نريد . وهذا هو سر التعبير القرآنى فى تبيين أنواع الحجارة فى الآية . وهو بخلاف القلوب التى أنزل الله عليها كثيراً من الآيات، ولكنها لم تلت ولم تؤمن . فمن يكون أشد قساوة من الأخر؟! .

وهناك تساؤل آخر : لماذا حدد القرآن الكريم نوعاً خاصاً من الحجارة، ولم يترك الأمر على عمومه فيشبه قلوبهم بالحجارة؟ .

والجواب هو أن التخصيص جاء ليحدد لنا مقدار قسوة القلوب التى فاقت قسوة هذه الصخور الصلبة .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ ﴾^(٢) فقد شبه الكفر بالموت^(١) ، والإيمان بالحياة . فالموت حقيقة معنوية جعل إلى جنبها الكفر وهما عقليان ، والحياة حقيقة معنوية جعل إلى جنبها الإيمان وهما عقليان .

ومنه قول الشاعر فى تشبيهه العشق بالموت :

العشق كالموت لامرد له ما فيه للعاشق المسكين تدبير

فقد شبه العشق بالموت بجامع عدم القدرة على دفعه ورده.

(١) نقل بتصريف : البرهان، جـ ٢ ص ٤٢ . ومعترك القرآن جـ ١ ص ٢٧ . السيوطى .

(٢) الأنعام : ١٢٢ .

٣- تشبيه المحسوس بالمعقول :

كقوله تعالى : ﴿ إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (١) . فقد شبه طلع شجرة الزقوم وهو حسى برؤوس الشياطين وهو عقلى . واستعمال القران لهذا التشبيه لم يخرج عما ألفته العرب كقول الشاعر

أَيَقْتَلْنِي ^① وَالْمَشْرِفِي ^② مَضَاجِعِي ^③ وَمَسْنُونَةَ زُرْقِ كَأَنْيَابِ ^④ أَعْوَالِ ^⑤

فقد شبه المشرفى بأنياب الأعوال . وأنياب الأعوال من المعانى الوهمية التى لادخل للحس فى إدراكها، وقد استعلها الشاعر لتحويل شأن الأسنه وإبرازها فى صورة مرعبة ومفزعة . وهذا ماقصده القران الكريم من إظهار قبح هذا الطلع وفضاعته حتى تنفر منه النفس .

ومثله قول الشاعر :

وَكأن النجوم بين دجاها سنن لاج بينهن ابتداع

شبه النجوم فى وسط الظلام بالسنن التى ظهرت بينها البدع، والمشبه حسى لأنه يدرك بأحدى الحواس الخمس، والمشبه به عقلى لأنه يدرك بالعقل فقط، ولهذا يكون من باب تشبيه المحسوس بالمعقول .

ومن جهة ثانية: أن وجه الشبه عبارة عن صورة شىء أبيض مضىء له بريق ولمعان تحيط به أجرام مظلمة سوداء .

وقول الشاعر :

وَأَرْضٌ كَأَخْلَاقِ الْكِرَامِ قَطَعْتَهَا وَقَدْ كَحَلِ اللَّيْلِ السَّمَاكِ فَأَبْصَرَا

فإن الأخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيها لها بالأماكن الواسعة والضيقة تحيل أخلاق الكرام شيئا له سعة وجعل أصلا فيه، وشبه الأرض الواسعة بها .

(١) الصافات: ٦٤، ٦٥ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢) .

قال الرازي : إن الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل فى الصورة والسيرة واعتقدوا فى الشياطين نهاية القبح والتشوية فى الصورة والسيرة فكما حسن التشبيه بالملك عند تقرير الكمال والفضيلة وجب أن يحسن التشبيه برؤوس الشياطين فى القبح وتشويه الخلقة (٣) .

٤ - تشبيه المعقول بالمحسوس :

وهو كثير فى كتاب الله، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَّةٍ يَخْشِبُهُ الظَّمآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا حَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٤) .

شبه أعمال البر والخير التى يعملها الكافرون ظانين أنها ستنتفعهم بالسراب الذى لا حقيقة له ، فالصورة الأولى عقلية شبهها بصورة حسية حتى تستقر فى النفس وتتضح معالمها فى الذهن فتصبح صورة واضحة لاغموض فيها .

وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) . شبه الكافرين الذين يتخذون الأصنام آلهة من دون الله يعبدونها ويعتمدون عليها ويرجون شفاعتها كمثل العنكبوت وقد اتخذت بيتا ضعيفا لا ينفعها فى حر ولا برد .

(٢) يوسف : ٣١ .

(٤) النور : ٣٩ .

(١) المل : ١٠ .

(٣) انظر : تفسير الرازي ، ج ٧ ، ص ٩٩ .

(٥) العنكبوت : ٤١ .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ ﴾ (١). فالقرآن يصور في الآية حال الكفار الذين يدعون أوثانهم فلا تفهم ولا تجيب بحال الناعق الذي يصوت للأغنام فلا تفهم منه إلا دوى الصوت.

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).
 (٣) عم الانتفاع بما في الكتب

شبه القرآن اليهود الذين أنزلت عليهم التوراة وأمروا بالعمل بمحتواها فلم يعملوا بها وأعرضوا عنها بالحمار الذي يحمل على ظهره الكتب والأسفار ولا ينتفع بها ولا يعلم حقيقة ما فيها. فحمل التوراة والعمل بما فيها أمر عقلي غير محسوس.

وقوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (٣). فحال عباد الوثن الذين يدعون الهتهم ولا يرجع هذا الدعاء عليهم بفائدة كحال من يبسط كفيه إلى الماء ليشرب فلا يصل الماء إلى فمه مادامت كفاه مبسوطتين.

الشم من الحنظل (٣) من الحنظل

ومن هذا القسم قول الشاعر:

إن حظي كدقيق (١) في يوم ريح نثروه

ثم قالوا لحفافة (٢) في أرض شوك اجمعوه

فالشاعر شبه الحظ وهو أمر معنوي لا يدرك إلا بالعقل الدقيق وهو أمر حسي وعليه يكون من تشبيه المعقول بالمحسوس.

ومنه قول الشاعر مشبها الرأي بالليل:

الرأي كالليل مسود جوانبه (٢) والليل لا ينجلي إلا بإصباح

(٢) الجمعة : ٥

(١) النقرة : ١١٧

(٣) الرعد : ١٤

ومن روائع هذا الضرب قول ابن المعتز في تشبيهه الصبر على مضض الحسود بالنار التي تأكل نفسها لعدم إمدادها بما يسبب بقائها :

اصبر على مضض الحسود ^① فإن صبرك قاتله ^②
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

القسم الثاني - باعتبار الإفراد والتركيب والتعدد
١ - تشبيه مفرد بمفرد:

ولا نعنى بالإفراد هنا ما قصد به في علم النحو "ففى النحو يعنى المفرد غير ما يعنيه المثنى أو الجمع، أما المفرد فى البلاغة فهو غير المركب. فإذا قلنا : هذا الولد نظيف فإن قولنا يدل على مفرد، وكذلك لو قلنا هذان الوالدان نظيفان، وهؤلاء الأولاد نظيفون فهى جميعا مفردة بلاغياً" (١).

ومن أمثلة هذا التشبيه: قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ (٢). شبه الليل باللباس بجامع ^③الستر، فالطرفان مفردان فى الآية . وكقوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٣). وقوله تعالى : ﴿ يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ (٤). شبه الحق جل وعلا الناس بالفراش المبثوث، والجبال بالعهن، وعليه يكون الطرفان فى التشبيهين مفردين .

ومنه قول الشاعر:

والشمس كالمرآة فى كف الأشبل لمد بدت من خدرها فوق الجبل
شبه الشاعر الشمس عندما تخرج من بين الجبلين والمرآة بين يد
وكقول الآخر : (الاستدارة - اللهبان - الحركة)

وسقط كعين الديك عاورت صحبتى أباها وهيأتا لموطنها وكرا ^④

(١) البلاغة العربية فى نونها الجديد - د. بكرى شيخ أمين، ج ٢، ص ٢٢ - دار العلم للملايين ط ١٩٨٢ .
(٢) البيا : ١٠ .
(٣) الرحمن : ٢٤ .
(٤) الفارعة : ٥ .

٢ - تشبيه المركب بالمركب :

والمركب هو الصورة المكونة من عدد من العناصر مزج بعضها ببعض حتى صارت شيئا واحدا .

كقوله تعالى : ﴿ وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ فَمَثَلَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكَهُ يُلْهَثُ ۗ ﴾ (١) .

فالمشبه عبارة عن صورة مركبة من أمور عدة إذ شبه القرآن الرجل الذي أنزلت عليه الآيات فكفر بها وابتعد عنها بحال الكلب الذي يلهث على السدوم، وهي صورة مركبة أيضا .

وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۗ ﴾ (٢) . وذلك أنه روعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم، وأن الحمار جاهل بما فيها (٣) . وكذا في جانب المشبه .

وكقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۗ ﴾ (٤) .

ومنه قول الشاعر :

كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها

وقول الشاعر :

والشيب ينهض في الشباب كأنه . ليل يصيح بجانبه نهار

(١) الأعراف : ١٧٥ . (٢) الجمعة : ٥ . (٣) الإيضاح : ص ٣٥٣ . (٤) البقرة : ١٧ .

وقول الآخر :

(3) الأسماء والأفعال

وكان أجرام النجوم لوامعا

درر نثرن على بساط أزرق

٢- تشبيه المتعدد بالمتعدد : - التشبيه المركب تكون الواو فيه معا ينقسم التشبيه باعتبار تعدد الطرفين إلى أربعة أقسام:

الأول - التشبيه الملفوف : - الترتيب كما في التشبيه المركب ، وغيره

عذق شمع عند المركب يخل بالصورة ما دلل على فالملفوف : ما أتى فيه بالمشبهين أو المشبهات أو لا ثم بالمشبه بهما تانيا.

عنا صرا الصورة

كقول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا

لدى وكرها الغناب والحشف البالي

وكقول الشاعر:

① شبه الأسماء
② شبه الأفعال

ليل وبدر وخصن

شعر ووجه وقيد

خمير ودر وورد

ريق وثغر وخد

الثاني - التشبيه المفروق :

والمفروق : هو جمع كل مشبه مع ما شبه به كقول المرقش الأكبر:

النشر مستك، والوجوه دنا

نير وأطراف الأكف/نم

وقول أبي الطيب : بدت قمرا، ومالت خوط بان

وفاحت عنبرا، ورنت غزالا

الثالث - تشبيه التسوية :

وهو أن يتعدد المشبه دون المشبه به. كقول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي

كلاهيا كالليالي

وثغره في صفاء

وأدمعي كاللالي

وقول الشاعر :

① الأسماء والأفعال

أرأؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم
 فيها معالم للهدى ومصباح تجلو الدجى والآخرىات رجوم
 الرابع - تشبيه الجمع :

وهو أن يتعدد الطرف الثانى (المشبه به) دون الطرف الأول (المشبه).
 كقول البحترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

فشبه الشاعر ثغر المحبوبة بثلاثة أشياء وهى : اللؤلؤ، والبرد، والأقاح
 ومثله قول امرئ القيس :

كأن المدام وصوت الغمام وريح الخزامى ونشر القطر.
 يعمل به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر

شبه الشاعر أنياب حبيته بالمدام - الخمر - ، وصوب الغمام - ماءه - وريح
 الخزامى - نبت طيب رائحة الزهر - ، ونشر القطر فى حسن المذاق والصفاء، وطيب
 الرائحة. فالمشبه واحد والمشبه به متعدد.

ثانيا: أدوات التشبيه

أداة التشبيه هى الرابط الذى يربط بين المشبه والمشبه به، وهى العلامة
 الظاهرة والدالة على وجوه التشبيه فى الكلام.
 وتنقسم أدوات التشبيه إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الحروف :

وتتحصر فى الكاف وكان. أما الكاف فإليها دائما المشبه به، نحو: محمد
 كالأسد ونحو قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
 نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ﴾ (١).

(١) الكهف : ٤٥.

وأما الأداة الثانية : (كان) فإنها تدخل على المشبه أو يليها المشبه ومثاله كثير في القرآن الكريم :

كقوله تعالى : ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (١) .

وكقوله تعالى : ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (٢) .

وكقوله تعالى : ﴿ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ (٣) .

وكقوله تعالى عن نساء الجنة : ﴿ كَانَهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (٤) .

ويرى علماء البلاغة أن أداة التشبيه (كان) مركبة من (إن) و (الكاف) نحو قولنا: كان الكريم بحر، وأصله: إن الكريم كالبحر، ثم قدم حرف التشبيه (الكاف) وفتحت همزة إن فأصبحت كأن، ولذلك "اعتبرها الزمخشري هي الأصل في أدوات التشبيه، فقال : "كأن زيدا الأسد" أصله : إن زيدا كالأسد، فيكون الفارق تأكيد التشبيه وعدم تأكيده" (٥) .

والتشبيه بـكأن أبلغ من التشبيه بالكاف، ولذلك تستعمل حين يقوى الشبه بين الطرفين، ولا يكاد الرائي يشك في قوة التماثل بين المشبه والمشبه به، ولذلك قالت بلقيس - وقد أتى سليمان بعرشها من اليمن وأمر أن ينكر لها - حين وقع بصرها عليه : " كأنه هو " في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ فَأَلَّتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ (٦) . ولم تقل هكذا هو ، لأن التعبير الأخير يفيد التباين مع وجود الشبه لاغير بخلاف كأنه هو ، فإنه يفيد شدة التطابق بين العرشين ، وأنهما سواء (٧) .

(١) القمر : ٢٠ . (٢) الحاقة : ٧ . (٣) المدثر : ٥١ .

(٤) الصفات : ٤٩ . (٥) انظر: المفصل للزمخشري، ص ٣٠١ - ط ١ عام ١٣٢٣ هـ .

(٦) المل : ٤٢ . (٧) القرآن والصور البائية - د. عبدالقادر حسين، ص ٧٤ .

الثانى : الأسماء :

ومنها : مثل ، وشبهه ، ومماثل ، ومشابهه ، وشبيهه ، ومثيل وممايرادفها . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

وكقوله تعالى فى شأن الكفار : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فى هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فىهَا صِيرٌ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فىهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فىهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣) .

ومنه قول الشاعر :

يا شبيبه البدر حسنا وضياء ومناالا
وشبيبه الغصن لينا وقواما واعتدالا

ونحو قولنا : أنت مماثل الاسد، ومحاك البدر، ومشابه عمرو، ومضاه حاتما.

الثالث : الأفعال :

ومنها : يشبهه ، ويمائل ، ويحاكى، ويشابهه، وغير ذلك من الأفعال المشتقة من الأسماء التى تعتبر من أدوات التشبيه.

(١) هود : ٢٤ . (٢) آل عمران : ١١٧ .

(٣) البقرة : ٢٥ .

كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (٢) . شبه الجبال بأوتاد الخيام التي تحكمها وتمنعها من الاضطراب وتعمل على توازنها كما تمنع الجبال الأرض أن تميد بمن فوقها.

وقد تكون أداة التشبيه مثل : يحكى كما فى قول الشاعر :

وظنبور مليح الشكل يحكى بنغمته الفصيحة عندليب

أقسام التشبيه باعتبار الأداة :

ينقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى قسمين :

الأول - التشبيه المرسل :

وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه. ونعنى بالمرسل "أنه مقول بطريقة عفوية ومرسل على السجية" (٣) . نحو قولنا : أنت كالأسد.

وكقوله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٥) .

(٢) البيا : ٦ ، ٧ .

(١) البقرة : ١١٨ .

(٣) البلاغة والتحليل الأدبى - د. أحمد أبو حاقه - ص ١٢٥ - دار العلم للملايين - ط ٢ عام ١٩٩٣ .

(٥) البقرة : ١٧ .

(٤) الحديد : ٢١ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (١) .

ومنه قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وقول الآخر :

وإن من أدبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تاه مونقًا ناضرا بعد الذي أبصرت من يبسه

الثاني - التشبيه المؤكد :

وهو ما حذفت منه أداة التشبيه. ونعنى بالمؤكد "أنه لاشك في المشابهة بين الطرفين حتى لتعدو هذه المشابهة أمرا مفروغا منه" (٢) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا ^{منزلة} السحاب ﴾ (٣) . أي : تمر مرا كمر السحاب .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) .

أي : عرضها كعرض السموات والأرض، وخص بالذكر العرض دون الطول لقصد المبالغة، لأن العرض دائما يكون أقل من الطول، فإذا كان عرضها عرض السموات والأرض، فما بالك بطولها ؟

(٢) البلاغة والتحليل الأدبي - ص ١٢٥ .

(٤) آل عمران : ١٣٣ .

(١) الكهف : ٢٩ .

(٣) النمل : ٨٨ .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (١) . فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالسراج المنير .
وقوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِهِنَّ لَهْنٌ ﴾ (٢) .

شبه كلا منهما باللباس للأخر، وذلك لما يحققه هذا اللفظ من معان قيمة وهى الستر، والطهارة، والخصوصية. فمن صفات اللباس المطلوبة أن يكون ساترا لصاحبه، وأن يكون ظاهرا فى ذاته، وأن يكون خاصا بصاحبه. ومنه قول الشاعر :

والريح تعبت بالفصون وقد جرى

ذهب الأصيل على لجين الماء

أى : أصيل كالذهب على ماء كاللجين.

وقول البحرى :

وإذا الأسنة خالطتها خلتها

فيها خيال كواكب فى الماء

شبه الأسنة إذا خالطتها الدروع بخيال الكواكب تبدو فى الماء بجامع الصفاء والمعان، والأداة مقدره، والتقدير : خلتها فيها كخيال كواكب فى الماء.

ثالثا - التشبيه باعتبار وجه الشبه :

ووجه الشبه هو الصفة الجامعة التى يشترك بها المشبه والمشبه به، ونفصل

القول فى التشبيه باعتبار وجه الشبه على النحو التالى :

(١) باعتبار الأفراد والتعدد والتركيب .

(٢) باعتبار الذكر والحذف .

(٣) باعتبار القريب والبعيد .

١- وجه الشبه المفرد والمتعدد والمركب

أ- وجه الشبه المفرد :

وهو ما ليس بمركب ولا متعدد. كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، والرجل بالأسد في الشجاعة، وزيد بالبحر في العطاء، فالحمرة، والشجاعة، والعطاء كلها تعتبر وجه الشبه، وهي صفات مفردة ، وهذا هو وجه الشبه المفرد.

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (١)

شبه السفن الجارية في البحر بالجبال بجامع الضخامة في كل، وعليه يكون وجه الشبه واحدا حسيا.

وقد يكون وجه الشبه مفردا عقليا كما في قول الشاعر :

أهديت عطرا مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

فالمشبه مفرد حسى وهو العطر، والمشبه به مفرد عقلى وهو الثناء بالأخلاق

الكريمة، ووجه الشبه مفرد عقلى وهو استطابة النفس

وهذا كتشبيه الجهل بالموت بجامع عدم المنفعة. والعلم بالحياة بجامع المنفعة.

ب- وجه الشبه المتعدد :

ويكون وجه الشبه متعددا حينما تشبه مفردا بمفرد له صفات كثيرة مثل قولنا: محمد كالأسد شجاعة، وكالبحر عطاء، وكالبدر ضياء، وكالجبل سموخا.

وكقولنا : هند كأمرها طولاً، وصوتها، وأخلاقا.

فتعدد وجه الشبه فى الشواهد السابقة لتعدد الصفات.

ومنه قول الشاعر :

هو الدر والمرجان والبدر والدجى

هو الورد والسوسان والغصن والحقف

وكقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (١) .

وكتشبيه الأنصار بالمهاجرين فى قوة إيمانهم بالله، ومحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم والتفانى فى نصره الحق .

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب، وريحها طيب) (٢) . فوجه الشبه فى الحديث هو الطعم والرائحة .

ج - وجه الشبه المركب :

وهو الصورة المنزعة من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض حتى تصبح شينا واحدا .

كقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضَلَّأَ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ (٣) .

(١) الرحمن : ٥٦ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب/ فضائل القرآن - باب/ فضل القرآن على سائر الكلام، ج٤، ص ١٩١٧ - ضبط وترقيم

الدكتور/ مصطفى البساط - دار الفلم.

(٣) الفتح : ٢٩ .

شبه أعمال الكافرين التي تظهر في أعينهم جميلة بالسراب الذي يحسبه الظمان ماء. فكما ترى فإن وجه الشبه منتزع من أمور عدة جمع بعضها إلى بعض وهي: أنه روعى من الكافر فعل مخصوص، وهو حسابان الأعمال نافعة له.

وأن للأعمال صورة مخصوصة، وهي صورة الأعمال الصالحة. وأن هذه الأعمال لا تفيدهم في العاقبة شيئاً. وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم. وهذه العناصر جميعها موجودة في المشبه به كما هي موجودة في المشبه.

ومن هذا القبيل قول الشاعر:

وكان أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فالمشبه في البيت صورة مركبة من قطع لامعة صغيرة وهي أجرام النجوم المندثرة في السماء الزرقاء، والمشبه به هو قطع الدر المتناثرة على سطح بساط أزرق، وعليه فإن وجه الشبه الذي يجمع بين الطرفين هو عبارة عن صورة مركبة من قطع بيضاء صغيرة لامعة بالإضافة إلى اللون الأزرق الذي يوجد في السماء والبساط، وكذلك الحال بالنسبة للمسافات المتناسقة بين أجرام النجوم وقطع الدر المتناثرة.

ومنه قول الشاعر:

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة

فلما رأوها أقشعت وتجلت

فوجه الشبه صورة مركبة تربط بين الطرفين وهي: ابتداء مطمع مع إنتهاء مینس.

الفرق بين وجه الشبه المتعدد والمركب:

ومن خلال ما تقدم ذكره من الشواهد التي تناولت وجه الشبه المركب والمتعدد نستخلص فروقا عدة بينهما:

الأول: وجه الشبه المركب منتزِع من عدة أمور مزجت مع بعضها البعض حتى صارت شيئاً واحداً.

أما المتعدد فإن الأمور المعتبرة في الطرفين لا تمزج بل يظل كل أمر منها مستقلاً.

الثاني: لا يمكن حذف بعض الأجزاء المكون منها وجه الشبه المركب، لأنه لو حذف بعضها لاختل التشبيه ولفسد المعنى.

أما المتعدد فإنه إذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيدُه قبل الحذف.

ومثال ذلك قولنا: زيد كالأسد شجاعاً، والسيف مضاء، والجبل شموخاً، فلو حذف جزء منه وبقي الجزءان لما اختل المعنى.

الثالث: في وجه الشبه المركب يجب الترتيب، ونعنى بالترتيب العناصر المكونه لوجه الشبه كما مر في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ...﴾. أما المتعدد فإنه لا يجب فيه الترتيب، فلو قدمنا جزءاً، وأخرنا آخراً لما تغير المعنى.

الرابع: العطف في وجه الشبه المركب يكون بالفاء وثم وواو المعية، لأنها تفيد معنى زائداً على مجرد الجمع وهو الترتيب.

أما المتعدد فإنه يعطف بواو العطف التي تفيد الجمع كما هو واضح في الشواهد السابقة.

٢- وجه الشبه باعتبار الذكر والحذف

ينقسم التشبيه باعتبار الذكر والحذف إلى قسمين:

الأول - التشبيه المفصل :

وهو ما ذكر فيه وجه الشبه. كقولنا: زيد كالأسد شجاعاً، ووجهك كالبدر ضياء، وخده كالورد حمرة.

وكقول ابن الرومي :

ياشبيهه البدر في الحسن وفي بعد المنال

جد، فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال

فقد شبهه الحبيبة بالبدر، ووجه الشبه هو اشتراك الطرفين في الحسن وبعد المنال وهما مذكوران في التشبيه .

وكقول الشاعر :

كأن المعاني في فصاحة لفظها نجوم الثريا أو خلائق الزهر

فهنا ذكر الشاعر صفة الفصاحة وهي وجه الشبه بين المعاني والأخلاق.

ومنه قول أبي بكر الخالدي :

يا شبيهه البدر حسنا وضياء ومنـالا

وشبيهه الغصن ليـنا وقواما واعتـدالا

أنت مثل الورد لونا ونسيما ومـللا

زارنـيا حتى إذا ما سرنـا بالقرب زالا

الثاني - التشبيه المجمل :

وهو ما حذف منه وجه الشبه. نحو قولنا: محمد كالأسد، وعلماؤنا كالنجوم، ووجهه كالبدر، وشعره كالليل .

ووجه الشبه المحذوف في الشواهد السابقة ظاهر وواضح يتساوى في فهمه العامة والخاصة .

وقد يكون وجه الشبه المحذوف دقيقا خفيا يحتاج في إدراكه إلى فكر وتأمل، وهذا الضرب لا يدركه إلا الخاصة.

نحو قول الشاعر:

له خال على صفحات خد كنقطة عنبر في صحن مرمر

شبه الشاعر الخال على صفحة الخد بنقطة عنبر مرسومة على صحن مرمر ووجه الشبه محذوف وهو وقوع نقطة سوداء على رقعة بيضاء.

وكقول فاطمة بنت الخرشب حين سئلت عن بنيتها: أيهم أفضل؟ فقالت: عمارة لا، بل فلان ثم قالت: تكلمهم إن كنت أعلم أيهم أفضل. هم كالحلقة المفرغة، لا يدرى أين طرفاها^(١).

ووجه الشبه: هو التناسب الكلي الخالي من التفاوت، ولذلك وصفوا بالحلقة المفرغة لأنها ليست معلومة الأطراف.

وإليك بعض الشواهد القرآنية التي توضح هذا النوع:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ

كَالصَّرِيمِ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهَا جِمالَةٌ صَفْرٌ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾^(٥).

٣- التشبيه باعتبار القرب والبعيد

أولا - التشبيه القريب:

وهو ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به دون حاجة إلى إعمال الفكر

وتدقيق النظر لاستحضار صورة المشبه به في الذهن.

(٢) المعارج: ٨، ٩.

(١) الإيضاح: ٣٧٣، ٣٤٧.

(٤) الرسائل: ٣٢، ٣٣.

(٣) القام: ١٩، ٢٠.

(٥) المدثر: ٥.

أسباب قرب التشبيه :

١- يكون التشبيه مجملاً. فإن الأجمال أقرب إلى الفهم من التفصيل. كتشبيه الرجل بالأسد، والكريم بالبحر.

٢- يكون التشبيه قليل التفصيل. ويعود ذلك لأمرين: قرب المناسبة بين المشبه والمشبه به، كتشبيه العنبة الكبيرة بالإجاصة في الشكل والمقدار.

وإما لتكرره على العيون. كتشبيه الشمس بالمرأة المجلوة في الاستدارة والاستتارة^(١).

ثانياً - التشبيه البعيد:

وهو ما لا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به إلا بعد إعمال الفكر وتدقيق النظر.

أسباب بعد التشبيه :

١- كثرة التفصيل :

ومعنى التفصيل في وجه الشبه: "إطالة النظر والتأمل في صفات كل من الطرفين لمعرفة ما تقع به المشاركة بينهما، وما تقع به المخالفة"^(٢).

ومثاله قول الشاعر:

والشمس كالمرآة في كف الأشمل

لما بدت من خدرها فوق الجبل

فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، والحركة السريعة المتصلة مع التموج والاضطراب. فروعى في وجه الشبه اللون والشكل والحركة.

(١) انظر: الاشارات والتشبيهات - محمد بن عني الجرجاني. تحقيق د. عبدالقادر حسين، ١٩٥٠، وانظر: الايضاح ص ٣٧٦.

ص ٣٧٧.

(٢) علم البيان - د. بسيون عبدالفتاح بسيون، ص ٨٩.

٢- ندرة حضور المشبه به في الذهن :

إما لكونه من الأمور الوهمية كما في قول الشاعر:

أيقنتلى والمشرقى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

أو من الأمور الخيالية، كقول الشاعر:

أنظر إلى الفحم فيه الجمر متقد كأنه بحر مسك موجه الذهب

وكما كان التركيب من أمور أكثر ، كان التشبيه أبعد وأبلغ ، كقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمْرٌ نَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ ﴾ (١)

فإن الشبه في الآية الكريمة منتزِع من مجموع العشر جمل بعد أداة التشبيه من

غير أن يفصل بعضها عن بعض، لأنه لو حذف جزء منها لأخل بالتشبيه ومغزاه .

جاء الشبه / هو الملقى الذي يستره منه الطرفان
تصديقاً أو تخيلاً .

أن النجوم بين دجاها بين لاج بينهن ابتداء
منه (صن) منه به (عقل)

النجوم في الليل بالنسبة اليها ابتداء (بمعنى)

جاء الشبه (أنتها ديفاء لامعة يتخللها شرع أمور)

صريح على التخييل

(١) يوسف: ٢٤ .

أنواع التشبيه

أولا - التشبيه البليغ

وهو ما حذفته منه الأداة ووجه الشبه، وعليه يكون مؤكدا ومجملا، ويعتبر أكثر الأنواع بلاغة .

ومن أمثلته : قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ (١) . شبه النساء بالأرض التي تحرث للزرع، فحذفت الأداة والوجه.

وقوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى: ﴿ صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٤) .

وفى الآية حذف المشبه لشدة معرفته، وسهولة تقديره، وعليه يكون تقدير المحذوف: هم صم، وهم بكم، وهم عمى .

ومنه قول الشاعر:

أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تصفر من صفير الصافر

وكقول الشاعر

يابلادي وأنت نهلة ظمان وشبابة على فم شاعر

فشبه أوطانه في جمالها، ولذة الحياة فيها بالماء يشربه الظمان أو الناي يصوغ به الشاعر ألقانه (٥) .

ومنه قول أبي فراس وهو يتوسل إلى سيف الدولة :

(١) البقرة : ٢٢٣ . (٢) البقرة : ١٨٧ .

(٣) النمل : ٨٨ . (٤) البقرة : ١٨ .

(٥) الصورة بين البلاغة والنقد - د. بسام ساعي، ص ٥٩ .

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب
فاشتمل قوله (وكل الذى فوق التراب تراب) على معان وأبعاد لا يؤديها ذكر
الأداة والوجه.

ومنه قول النابغة :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ويعتبر التشبيه البليغ من أعلى مراتب التشبيه "لأن حذف الأداة ينبىء عن
التطابق بين الطرفين، وحذف الوجه ينبىء عن الشمول فى الصفات، فقد اجتمع فيه
القوتان" (١) .

ثانياً - التشبيه الضمنى

هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به، فى صورة من صور التشبيه
المعروفة، بل يلحان فى التركيب، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهانا
على إمكان ما أسند إلى المشبه (٢) .

وهذا النوع من التشبيه أنفذ فى النفوس والخواطر، لاكتفائه بالتلميح مما يزيد
من قوة تأثيره، ويكثر فى الحكم والأمثال والمواعظ.

كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ
مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (٣) . شبه الغيبة بأكل لحم الميت أو من يغتاب الآخرين كمن يأكل
لحم الميت.

وكقول أبى فراس الحمدانى :

سيدكرنى قومى إذا جد جدهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

(١) القرآن والصوره البيانية، ص ٨١. وأنظر: جواهر البلاغة - الهاشمى، ص ٢٧٠.

(٢) انظر: بنية الايضاح، ج٣ ص ٢٨، وجواهر البلاغة ص ٢٧٤، وعلم البيان - د. بكرى أمين
ص ٥٣.

(٣) الحجرات: ١٢.

شبه حاجة قومه إليه حين تنلهم الخطوب وتشتد الأزمان كحاجة الناس إلى ضياء البدر في الليالي المظلمات.

وكقول أبي تمام:

لاتنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

أراد الشاعر أن ينفى عن نفسه عيب الفقر، ويبين لمحبوبته أنها لا ينبغي أن تنكر عليه فقره، وخلو يده من المال فذلك ليس عيباً في الرجال تماماً كخلو المكان العالى من الماء علماً بأن الماء أول ما ينزل على المكان العالى، ولكن لكرمه لا يحتفظ به لنفسه وإنما يرسله للآخرين.

وكقول الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لاتجرى على اليبس

ومنه قول الشاعر:

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

وكقول أبي الطيب المتنبى :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إيلام

فقد شبه حال من اعتاد الهوان فسهل عليه تحمله بحال الميت الذى لا يتألم من الجراح.

وكقول أبي تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

فشبهه حال صاحب الفضيلة الذي يظهر فضله على لسان الحسود الذي يحاول أن ينال منه بحال العود الذي لا تفوح رائحته إلا بعد إشعال النار فيه.

ثالثاً - التشبيه المقلوب

ويطلق عليه اسم التشبيه المعكوس، وهو جعل المشبه به مشبهاً، والمشبّه مشبهاً به، أو جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً. وذلك لإدعاء أن المشبه به أتم وأكمل في صورة وجه الشبه من المشبه وهذا على سبيل المبالغة، وقد سماه ابن جنى غلبة الفروع على الأصول^(١). كقول ابن وهيب في مدح الخليفة المأمون:

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

فجعل الصباح وهو الأصل في الضياء مشبهاً، وجعل وجه الخليفة أصلاً يقاس عليه.

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾^(٢). فجعل مستحلو الربا البيع فرعاً، والربا أصلاً، وجاءت هذه المخالفة منهم لجعلهم الربا في الحل أقوى حالاً من البيع وأعرف به. وذلك لأن الغرض عندهم هو الربح، وهو أثبت وجوداً في الربا منه في البيع.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ التَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾^(٣). وأصل الكلام: أفجعل المجرمين كالمسلمين، ولكنه قلب مسأيرة لاعتقادهم أنهم أفضل من المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾^(٤).

فإن مقتضى الظاهر عكس ما هو موجود. لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فجاءت هذه المخالفة لمبالغتهم في عبادتها، وغلوهم فيها حتى جعلوا الفرع أصلاً والأصل فرعاً. ولذلك جاء الاستفهام إنكارياً في الآية.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

(٤) النحل: ١٧.

(١) الخصائص: ج ١، ص ٣٠٨.

(٣) القلم: ٣٤، ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنِ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ (١) .

وأصل الكلام (وليس الأنثى كالذكر) فإن المعنى ليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وضعت، لأن الأنثى أفضل منه (٢) .

وقوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٣) .

وأصل الكلام: ليس أحد من النساء مثلكن مادمتن على ما أنتن عليه من التقوى؛ لأن نساء النبي فى مكان القدوة لسائر النساء.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ (٤) .

عبر بقوله اتخذ إليه هواه بدلا من قوله: اتخذ هواه إليه، وقد جعل هواه معبودة يطيعه فى كل أمر كما يطع العابد معبودة.

وقد أكثر الشعراء من هذا النوع فى شعرهم، كقول مجنون ليلى:

أخذت محاسن كل ما ضننت محاسنة بحسنه لولا
كاد الغزال بكونها الشوى ونشوز قرنه

فكاد الغزال يشبها لو لم تكن فيه هذه العيوب .

ومنه قول منصور الهروى :

الراح مثل الماء فى كاساتها والماء مثل الراح فى الغدران

فقد شبه الراح بالماء فى كاساتها، وشبه الماء بالراح فى الغدران على سبيل

القلب، وأصل القول: الماء مثل الراح فى الكاسات، والراح مثل الماء فى الغدران.

(١) آل عمران : ٣٦ .

(٢) أنظر : شروح التلخيص، ج ٣ ، ص ٤٠٨ ، والبرهان : للزركشى، ج ٣ ، ص ٤٢٧ .

(٣) الأحزاب : ٣٢ . (٤) الجاثية : ٢٣ .

وكقول البحتري وهو يصف بركة المتوكل:

كانها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال وادبها

أراد الشاعر أن يوهم أن يد الخليفة أقوى تدفقاً بالعطاء من تدفق البركة بالماء
فقلب التشبيه.

وقد اعتبر الإمام عبدالقاهر الجرجاني التشبيه المقلوب من المبالغة، وأظهر لنا
هذا الكلام إثر تعقيبه على قول الشاعر:

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

فقال : واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم لا أدري أوجهه أنور أم
الصباح؟ وغرته أضوا أم البدر؟ أو نور الشمس مسروق من جبينه ونحو ذلك من وجوه
المبالغة فإن في الأول خلابة وشينا من السحر ليس في الثاني وهو : أنه يستكثر للصباح
أن يشبهه بوجه الخليفة، ويوهم أنه احتشد له واجتهد في تشبيهه يفخم به أمره فيوقع
المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها؛ لأنه
وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه لا يشفق من خلال مخالف وتهكم
متهكم.. والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب
فكانت النعمة التي لا تكررهما المنة، وكالغنيمة التي لا تحتسب (١).

وقد سماه ابن الأثير: الطرد أو العكس، وهو أن يجعل المشبه به مشبها،
والمشبه مشبها به (٢).

وأشار بعض الأعراب إلى التشبيه المقلوب إشارة خفية في عبارة ذكرها
الأصمعي عنه، قال: "سمعت إعرابيا يقول : إنكم معاشر أهل الحضرة لتخطنون المعنى،
إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول: كأنه أسد، ويصف المرأة بالحسن فيقول كأنها

(١) انظر : أسرار البلاغة، ص ١٩٥. (٢) أنظر: المتل السائر، لابن الأثير، ج ٢ ص ١٦٤.

الشمس، ولم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه؟" (١) . وكان قصد الاعرابى أن يشبه الأسد بالرجل، والشمس بالمرأة.

رابعاً - التشبيه التمثيلي

والتمثيل : ما وجه منتزع من متعدد أمرين، أو عدة أمور (٢) .

وهذا هو التشبيه المركب بعينه كما ذكرنا سابقاً.

وأمثلته فى القرآن الكريم كثيرة:

كقوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } (٣).

فوجه الشبه، وهو : " الهيئة الحاصلة من الأمل المطمع والنهاية المؤسفة " منتزع من عدة أمور مجتمعة تتمثل فى صورة المشبه وهو (هيئة أعمال الكفار التى تظهر فى أعينهم جميلة، لكنها فى الحقيقة لا خير فيها، ولا ثواب عليها)، وصورة المشبه به، وهى: هيئة السراب بصحراء واسعة قاحلة يظنه الظمان ماء، فيجهد نفسه فى الذهاب إليه فلا يجده شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاعَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٤).

فإنه شبه حال المنافقين بحال المستوقد، ووجه الشبه: (الهيئة الحاصلة من وجود هداية قصيرة يعقبها حيرة) مأخوذة من عدة أمور مجتمعة تتمثل فى صورة المشبه (حال المنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان ثم يعودون إلى ما كانوا عليه من الكفر) وصورة المشبه به والتي تمثل (حال السارى الذى يوقد النار ليلاً فيعرف طريقه ثم لم يلبث أن يذهب هذا الضوء فيعم الظلام فأصبح فى تخبط وتردد).

(١) نهاية الأرب - النويرى، ج ٣ ص ١٨٥ - مطبوعات وزارة الثقافة.

(٢) الأيضاح - ص ٣٧١ . (٣) النور : ٣٩ .

(٤) البقرة : ١٧ .

وفى الآية إشارة لطيفة تبين الإعجاز البلاغى فى الآية الكريمة وهى: أن الله سبحانه وتعالى ذكر فى بداية الآية كلمة (النار) والنار تحتوى على عنصرين هما: الإضاءة والإشراق، والعذاب والإحراق، ثم ذكر بعد ذلك: (ذهب الله بنورهم) ولم يقل بنارهم كما بدأ، فانترج عنصر الإضاءة والإشراق، فى قوله (ذهب الله بنورهم)، وأبقى عنصر العذاب والإحراق ليذوقوا وبال أمرهم.

ومن جهة ثانية: قال تعالى: (ذهب الله بنورهم) ولم يقل: بضوئهم؛ لأن الضوء زيادة فى النور، فلو قال: بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالكل (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَارِضِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢).

شبه القرآن الكريم هذا الإنسان الكافر التارك لآيات الله، والمعرض عنها بالكلب فى أخص وأخص صفاته وهى اللهث المستمر. فوجه الشبه صورة مركبة من هذا المتعدد المذكور فى كل من الطرفين.

وفى الآية القرآنية إشارة لطيفة وهى: أن القرآن عبر بكلمة (انسلخ) ولم يعبر بكلمة ابتعد أو كفر، وذلك لما تحمله كلمة الانسلاخ من الانفصال التام الذى لا يؤمل بالعودة إلى الآيات البتة مثل سلخ جلد الشاة عنها.

ومن جهة ثانية: نقول: لماذا خص صفة اللهث فى الكلب دون الصفات الأخرى؟ لأن هذه الصفة ثابتة فى الكلب لا تنفك عنه بأى حال من الأحوال. وكان القرآن الكريم يعلق الأمر بأمر مستحيل، فإذا زالت هذه الصفة عن الكلب تزول صفة

(١) انظر: البيان فى ضوء أساليب القرآن - د. عبدالفتاح لاشين، ص ٥٨.

(٢) الأعراف: ١٧٥، ١٧٦.

الضلال عن هذا الرجل، ويشبه هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي
سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ (١) .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ
وَوَدَّعَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنَّ لَمْ
تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

شبه الحياة الدنيا فى إقبالها وزينتها ونضرتها، وغرور الإنسان بها بحال النبات
وقد اختلط به الماء فنما وازدهر واخضر وتزين، وتعلق الإنسان بها ظنا منه أنها لن
تزول، وهو على هذه الحال فإذا بهذا النبات يببس ويزول.

فالنمو والازدهار والزوال صفة منتزعة من الطرفين تمثل وجه الشبه.

ومثله قوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا
ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ
فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُقْتَدِرًا ﴾ (٤) .

(٢) يونس : ٢٤ .

(٢)

(١) الأعراف : ٤٠ .

(٤) الكهف : ٤٥ .

(٤)

(٣) الحديد : ٢٠ .

ومن التشبيه التمثيلي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرْبُورَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ﴾ (١).

شبه حال من ينفق في سبيل الله ابتغاء مرضاته بعيدا عن الرياء والسمعة بحال البستان الذي استقر على مرتفع من الأرض، ويسقى بماء المطر فجاء البستان بثمرة مضاعفا.

ووجه الشبه يمثل صورة من يعمل عملا قليلا ويجنى كثيرا وهو ما يشترك فيه الطرفان.

ومثله قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَثْبَتَتْ سَبْعَ سَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ يَخْسِئُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُورُ فَاخْذِرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٣).

وهذا النوع ذكر كثيرا في ديوان العرب، كقول ابن المعتز:

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

وقول الآخر:

دان إلى أيدي العفاة وشاسع عن كل ند في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوءه ذو العصبة السارين جد قريب

وكقول الشاعر:

(٢) البقرة ٢٦٦.

(١) البقرة: ٢٦٥.

(٣) المنافقون: ٤.

كمعلق درا على خنزير

إني وتزييني بمدحى معشرا

وكقول المتبنى فى وصف الأسد :

فكأنه آس يجس عليلا

بطأ الثرى مترفقا من تيهه

وقول الشاعر:

مرآة تبر بدت فى كف مرتعش

ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها

وقول الآخر:

كالمستجير من الرمضاء بالنار^(١)

المستجير بصرو عند كربته

وقول بشار:

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

أغراض التشبيه :

يهدف التشبيه إلى تحقيق أغراض بلاغية متعددة منها ما يعود إلى المشبه

فتخدمه وتوضحه، ومنها ما يعود إلى المشبه به.

الأغراض التي تعود إلى المشبه:

(١) بيان حال المشبه :

إذا كان المشبه مجهولا ومبهما وغير بين فإننا نوضحه بذكر المشبه به وفى

هذه الحالة لابد وأن يكون المشبه به معلوما لدى المخاطب - كتشبيه ثوب مجهول

اللون بثوب آخر معلوم لونه، فنقول: ثوبى كهذا الثوب فى السواد.

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ

الْمُحْتَضِرِ ﴾^(٢).

(١) عمرو: هو عباس بن مرة التغلبى، يقال أنه لما رمى كليب بن ربيعة التغلبى وقف على رأسه فقال

له كليب: يا عمرو اغتنى بشربة ماء فأتم قتله.

(٢) القمر : ٢٦.

فجاء المشبه به وهو الشجر اليابس المتكسر ليوضح لنا حال المشبه وهم قسوم صالح عندما أهلكهم الله سبحانه وتعالى.

وكقوله تعالى: ﴿ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ (١).

شبه حال المنافقين، ونفورهم عن الحق بحال الحمير الوحشية عند هروبها من الأسد.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (١).

ومنه قول الشاعر:

كأن سهيلا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

فشبه سهيلا وقد تقدم النجوم بالإمام الذي يتقدم الناس في الصلاة وفي هذا توضيح حال المشبه.

وكقول البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفضمه ينظم

وكقول الآخر:

إن النفوس إذا تنافر ودها مثل الزجاجه كسرها لا يجبر

وقول الشنفرى :

إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزاة تكلى ترن وتعول

شبه صوت القوس حين خروج السهم منها بأنين المرأة التكلى التي فقدت ابنها

أو زوجها.

٢- بيان مقدار حال المشبه :

أى : بيان حال المشبه قوة وضعفا، أو قلة وكثرة.

كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (١) . فحدد التشبه حجم وضخامة هذه السفن عندما قرنها بالجبال.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَمَا لُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ (٣)

فالمخاطب يعلم أن الكافر سيشرب من الحميم، ولكنه لا يعلم حقيقة ظمأه واندفاعه لهذا الحميم وهو الماء المغلى فجاء المشبه به ليبين لنا مقدار هذا الظمأ وهذا الإندفاع فشبهه بالإبل العطاش التي لاترعى لداء أصابها.

ومنه قول الشاعر:

مداد مثل خافية الغراب وقرطاس كرقراق السحاب

وقول السرى الرفاء :

لى منزل كجار الضب أنزله ضنك تقارب قطراه فقد ضاقا

أراه قالب جسمى حين ادخله فما أمد به رجلا ولا ساقا

وكقول الآخر:

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خاتته فروج الأصابع

بين التشبيه مقدار حاله فى علاقته مع فتاته، وأنه بلغ درجة قصوى فى الحرمان وخيبة الأمل.

وقول عنتره :

فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداء كخافية الغراب الاسحم

النحل : ٧٧ .

(٢)

الرحمن : ٢٤ .

(١)

الواقعة : ٥١ - ٥٥ .

(٣)

وقول الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

٣- بيان إمكان وجود المشبه :

وذلك إذا كان المشبه أمرا غريبا لا يتصور ثبوته، ولا يعقل إمكانه ويمكن أن يدعى إمتناعه، فيأتى المشبه به ليبين إمكان وقوعه.

كقول المتنبي:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

أراد أنه فاق الأنام فى الأوصاف الفاضلة إلى حد بطل معه أن يكون واحدا منهم. بل صار نوعا آخر، وهذا - أعنى إن يتناهى بعض أفراد النوع فى الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها - أمر غريب يفتقر من يدعيه إلى إثبات جواز وجوده، ولذلك قال : فإن المسك بعض دم الغزال ، أى لا يعد فى الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التى لا يوجد شيء منها فى الدم^(١) .

فالمشبه هو حال الممدوح فى تفوقه على أهل زمانه حتى صار وكأنه من جنس آخر.

والمشبه به هو حال المسك فى تفوقه على الدم حتى صار من جنس آخر. ووجه الشبه هو خروج بعض أفراد الجنس بفضائله عن جنسه.

ومنه قول الحسين بن مطير يرثى معن بن زائدة:

فتى عيش فى معرفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتفعا

فشبه الشاعر عيشة الناس فى معرفه بعد موته بالسيل الذى يغمر الأرض حتى إذا انقطع وجف نبتت فيه المراعى، فرتعت فيه الماشية.

ومنه قول أبى تمام :

(١) الإيضاح: ص ٣٥٧.

ليس الحجاب بمقص منك لى أملا إن السماء ترجى حين تحتجب
وكقول البحترى :

دان على ايدى العفاة وشاسع عن كل ند فى الندى وضريب
كالبدر أفرط فى العلو وضوءه بالعصبة السارين جد قريب

فالشاعر يصف الممدوح بصفيتين يظن السامع أنهما متناقضتان، هما : صفة
البعد والقرب، ولكن سرعان مايزول هذا التناقض عندما يقرأ البيت الثانى الذى يمثل
المشبه به، والذى يبين أن لما ادعاه نظيرا فى الوجود.

٤ - تقرير حال المشبه فى ذهن السامع:

ويكثر هذا الغرض فى تشبيه الأمور العقلية بأمر حسية واضحة مما يؤدى
إلى تثبيت المعنى فى نفس السامع ثبوتا يصل بك إلى اليقين.
ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بُيْتًا وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ
بشئٍ إِلَّا كِبَاسٌ عَلَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ
الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاعَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوفًا حِسَابَهُ ﴾ (٣).

ومنه قول الشاعر:

بيوم كظل الرمح قصر طوله دم الزرق عنا واصطكاك المزاهر

وقول الآخر:

الرعد : ١٤ .

(٢)

(١) العنكبوت : ٤١ .

(٣) النور : ٣٩ .

ظللنا عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفه الذباب

ففى البيت الأول يصف اليوم بالطول، ولذلك شبهه بظل الرمح، وهو مما يضرب به المثل فى الطول، وفى البيت الثانى يصف اليوم بالقصر فشبهه بسالفه الذباب.

ومن هذا القليل تشبيه ما لم تجر به العادة بما جرت به العادة، كقوله تعالى:

﴿ وَإِذِ تَفَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ (١) .

ومما تقدم ذكره يتضح لنا أن هذا الغرض لا يتحقق إلا إذا كان وجه الشبه أقوى وأتم وأوضح فى المشبه به من المشبه حتى يتقرر ويثبت فى ذهن السامع.

٥- تزيين المشبه :

نحو قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا ﴾ (٤) .

وفى هذه الحالة يظهر المشبه فى صورة حسنة وجميلة لما يضيفه عليه جمال المشبه به.

ومنه قول النابغة:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومثله قول ذى الرمة:

كحلاء فى برج صفراء فى نعج كأنها فضة قد مسها ذهب

والكحلاء: شديدة السواد، والبرج: أحداق بياض العين بالسواد كله، والنعج

الابيضاض الخالص.

(٢) الواقعة: ٢٢، ٢٣.

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٤) الإنسان: ١٩.

(٣) الطور: ٢٤.

٦- تقبيح المشبه :

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (١) .

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (٣) . وقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَقُّ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ... ﴾ (٥) .

وفى هذه الحالة يظهر المشبه فى صورة قبيحة منفردة تنبؤ عنها النفس لقبح المشبه به.

ومنه قوله ابن الرومى يصف مغنيا:

تخاله ابدا من قبح منظره مجاذبا وتورا أو بالعا حجرا
كانه ضفدع فى لجة هرم إذا شدا نغما أو كرر النظرا

٧- استطراف المشبه :

وله صورتان :

الأولى : أن يكون المشبه به خياليا لاحقيقة له فى الواقع ، كقول ابن معصوم :

إنظر إلى الفحم فيه الجمر متقد كأنه بحر مسك موجه الذهب

(١) الصافات : ٦٥ . (٢) البقرة : ٢٧٥ .

(٣) الجمعة : ٥ . (٤) البقرة : ١٧١ .

(٥) الأغراف : ١٧٦ .

ومنه قول الصنوبرى :

وكان محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد.

أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد.

الثانية : أن يكون المشبه به ليس خيالياً، ولكنه نادر الوقوع.

كقول ابن المعتز :

انظر اليه كزورق من فضة قد انقلته حمولة من عنبر

فالكزورق المصنوع من الفضة، والمملوء بالعنبر يندر حضوره فى الذهن عند

ذكر الهلال .

الأغراض التى تعود إلى المشبه به:

الفرض الأول : التشبيه المقلوب :

وهو جعل المشبه به مشبهاً، والمشبه مشبهاً به لادعاء أن المشبه به أتم وأكمل

فى وجه الشبه من الشبه. وقد بينا هذا بالتفضيل إثر حديثنا عن التشبيه المقلوب.

الفرض الثانى : بيان الاهتمام بالمشبه به .

ويسمى هذا الفرض إظهار المطلوب، كتشبيه الجائع وجهاً بالرغيف فى

الاستدارة والإشراق.

بلاغة التشبيه

يعتبر التشبيه وسيلة من وسائل التعبير التصويرية يستمد قوته من الخيال فكما

أن الرسم والتصوير يعتمد على الأصباغ والأحجار التى تؤلف وتصل لتترمز إلى طبيعة جميلة أو فتنة ساحرة، أو عبقرية نادرة نجد التشبيه يشاركهما فى الأنصاح عن

الفكرة، والتعبير عن العاطفة بما فيه من عنصر الخيال الذى يقابل تلك الأصباغ والأحجار (١) .

وهو يضيف على المعنى شرفا ووضوحا، ويزيده قوة وتأكيذا، ويرفع من قدر الكلام فتفهو النفس له، ويتحرك القلب إليه، لأنه ينتقل بنا من المعنى الأصلي إلى صورة تشبهه، وكلما جلا التشبيه المعنى وزاده قوة ووضوحا كان أملك للنفس، وأبعد للتأثير (٢) . وكلما كان هذا الانتقال بعيدا قليل الخطور بالبال أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال كان التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها (٣) .

ولقد اعتبر البعض التشبيه مع ما فيه من إثراء أدبى وجمال فنى وإبداع فنى التصوير وإيقاظ للهمة وتفنيق لأكمام الأفكار ميدانا يتسابق فيه فحول البلاغاء فيجود هذا تارة، وذلك أخرى كما يتسابق الرماة فى إصابة الهدف، لذلك نجد الشيء الواحد يظهر فى صور مختلفة متعددة يبرزه كل بالصورة التى تبدعها قريحته (٤) .

ويرى الدكتور شوقى ضيف: أن الوظيفة الأصلية والأساسية للتشبيه هى التصوير والتوضيح، وذلك بالانتقال من شيء إلى شيء آخر يشبهه ويشاكله يعبر به الشاعر أو الكاتب عن معنى فى نفسه، وكلما كان أبعد وأغرب كان أروع وأجمل (٥) .

وإذا نظرنا فى عصور الأدب المختلفة وجدنا التشبيه أوضح الفنون وأكثرها تعبيرا عن البيئة العربية فى مختلف مشاهدنا ورحابها، وفى الشعر الجاهلى وصدر الإسلام كثير من صوره وألوانه، وفى كتاب الله جمهرة من أنواعه جاءت لتصوير المعنى أدق تصوير وتضيف إلى الشكل أبهى الحلل وأروعها، وكان لتشبيهات القرآن أثر مهم فى كلام العرب فأدراها الشعراء فى قصائدهم واتخذها الكتاب أساسا فى تصويرهم (٦) .

(١) انظر : البيان فى ضوء اساليب القرآن، ص ١٠٦ . (٢) انظر: القرآن والصور البيانية ص ٩٨ .

(٣) انظر : جواهر البلاغة، ص ٢٨٦ (٤) انظر: البلاغة فنونها وإفانها، ص ١١٦ .

(٥) فى النقد الأدبى، د. شوقى ضيف، ص ١٧١، ط ٢، ج ٢١، دار المعارف.

(٦) انظر : اصول البيان العربى، ص ٦٤ .

يقول ابن وهب: وأما التشبيه فهو من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم^(١).

ويقول ابو هلال العسكري: والتشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العجم والعرب عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه. وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية ما يستدل به على شرفه وموقعه من البلاغة^(٢).

ويعبر عبدالقاهر الجرجاني عن مدى أثر التشبيه في التعبير عن المعاني المختلفة بقوله: فالتمثيل يكسو المعاني أبهة ويكسبها منقبة، ويرفع من أقدارها، ويشب من نارها، ويستشير لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا ومحبة وشغفا؛ فإن كان التشبيه مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم... وإن كان ذما كان مسه أوجع، وميسمه أذع، ووقعه أشد، وحده أحد. وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقر وبيانه أبهر... وإن كان افتخارا كان شأوه أبعد وشرفه أجد ولسانه ألد... وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب وللقلوب أخلب.. وإن كان وعظا كان أشفى للصدر وأدعى للفكر وأبلغ في التنبيه والزجر^(٣).

يقول الزمخشري: ولضرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى في إبراز خيانات المعاني، ورفع الاستار عن الحقائق حتى يريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد^(٤).

وفيه يقول الخطيب القزويني: فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة وأن تعقيب المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك^(٥).

(١) انظر: نقد النثر، ص ٥٨.

(٢) انظر: الصناعيتين، لابي هلال العسكري، ص ١٨٣. (٣) انظر: أسرار البلاغة، ص ٩٣، وما بعدها.

(٤) انظر: الكشاف، ج ١ ص ٥٥. (٥) انظر: الإيضاح: ص ٣٢٨.

وهذا ما عبر عنه العلوى بقوله: واعلم أنك إذا أردت تشبيه الشيء بغيره فإنما تقصد إلى تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه فيستفاد من ذلك المبالغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه من مدح أو ذم أو ترغيب أو ترهيب أو كبر أو صغر أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه كما يستفاد منه الإيجاز والاختصار والبيان الإيضاح^(١).

(١) انظر: الطراز، ج ١، ص ٢٧٣.

المجاز

المجاز في اللغة: مصدر على وزن مفعّل، جاز الشيء جوازاً، أو جاز المكان إذا تعداه.

وفي الإصطلاح : استخدام الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة مسع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

فكلمة الأسد، والشمس، والبدر لها معنى تدل عليه في أصل الوضع اللغوي فالأسد للحيوان المفترس، والشمس للكوكب المعروف الذي يشرق علينا كل صباح، والبدر للكوكب الذي يبين لنا الليل.

فإذا قلنا: رأيت أسداً يحمل رمحاً، أو رأيت أسداً في الحمام، أو رأيت أسداً في الميدان يضرب يمناً ويسرة تكون قد أخرجنا الكلمة عن معناها الحقيقي الذي وضعت له في أصل اللغة لتحمل معنى آخر وهو الرجل الشجاع، والذي منع إرادة المعنى الأصلي لكلمة الأسد في الشواهد السابقة هو وجود القرينة المانعة من إرادة هذا المعنى وهي: يحمل رمحاً، في الحمام، في الميدان يضرب يمناً ويسرة، لأن هذا من المستحيل.

ولو قلنا : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

أفادت كلمة البدر الرجل الجميل المحبوب إلى القلوب وهو محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك لوجود القرينة المانعة (من ثنيات الوداع). لأن البدر الحقيقي لا يطلع من ثنيات الوداع، ولا من جنبات الوادي.

وكذلك الحال مع الشمس في قول الشاعر:

قَامَت تَظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسُ أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي.

قَامَت تَظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبِ شَمْسٍ تَظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ.

ويبدو أن التعريف الاصطلاحي للمجاز متسلسل عن الأصل اللغوي. فقد أكد الإمام عبد القاهر الجرجاني في الأسرار العلاقة بين اللغة والاصطلاح، وهذا واضح من قوله: "فالمجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزه، إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه

أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً^(١).

ويمثل على ذلك بقوله: إن اليد تقع للنعمة، وأصلها الجارحة لأجل أن الاعتبارات اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم، وما يقتضيه ظاهر البنية وموضع الجبلة، ومن شأن النعمة أن تصدر عن اليد ومنها تصل إلى المقصود بها^(٢).

أقسام المجاز:

وينقسم المجاز إلى قسمين: عقلي ومرسل.

المجاز العقلي:

ويسمى بمجاز الإسناد وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.

مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذِبحُ آبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾^(٣).

فأسند الفعل وهو (الذبح) إلى فرعون علماً بأن فرعون ليس هو الذابح الحقيقي، ولكن لما كان الأمر صادراً منه نزل منزلة الذابح.

علاقات المجاز العقلي:

(١) الزمانية:

ويسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل .

كقولنا: نهاره صائم ، وليله قائم .

(١) أسرار البلاغة ص ٣٦٥.

(٢) أسرار البلاغة ص ٣٦٥ تحقيق د. هلموت ريتز - مطبعة وزارة المعارف باستانبول ١٩٥٤م.

(٣) القصص: ٤

فأسندنا الصيام إلى النهار، والقيام إلى الليل.

ومنه قول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

فأسند الشاعر الفعل (تبدي) إلى الأيام، والأيام فاعل غير حقيقي، والذي سوغ للشاعر إسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي هي العلاقة الزمانية، لأن الأيام ظرف يحدث فيه الإبداء كما يحدث فيه الإخفاء.

وقول جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطى بنائم

فأسند النوم إلى الليل وهو زمان النوم .

وعليه قوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ (١).

فقد أسند المكر إلى الليل والنهار وعلى سبيل المجاز العقلي.

وقوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴾ (٣).

٢) المكانية :

ويُسند الفعل فيها إلى المكان الذي وقع فيه الفعل.

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ ﴾ (٤).

أسند الجرى إلى الأنهار وهو مكان الماء إسناداً مجازياً، لأن الأنهار لا تجرى

إنما يجرى ماء الأنهار .

(٢) المزمّل : ١٧

(٤) الأنعام : ٦

(١) سبأ : ٣٣

(٣) الاعراف : ٥٨

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (١).

وقول الشاعر:

أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

والمعنى: سالت أعناق المطى فى الأباطح وهى مكان السيل.

(٣) السببية :

ويسند الفعل فيها إلى السبب الذى أدى إليه.

نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ

الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى ﴾ (٢).

أسند فعل البناء إلى هامان إسناداً مجازياً علاقته السببية، لأن هامان هو السبب

فى البناء، وهو المسئول عن تنفيذه.

ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذَّبِحُ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ

الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣). أسند الفعل إلى فرعون كما وأسند هو الأهل من الكفرة.

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (٤).

فأسند زيادة الإيمان إلى الآيات لكونها سبباً فيها.

وقوله تعالى: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ (٥).

أسند الهلاك إلى الظن لأنه سبب فيه .

(٢) غافر : ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) الأنفال : ٢ .

(١) الزلزلة : ١ ، ٢ .

(٣) القصص : ٤ .

(٥) فصلت : ٣٣ .

ومنه قول الشاعر:

إنا لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكماة ألا أين المحامونا

فأسند الإفناء إلى قول الشجعان (ألا أين المحامونا)، أي: وتعنى: هل من

مبارز، والقيـل هذا هو سبب الإفناء.

٤) المصدرية :

ويسند الفعل فيه إلى المصدر بدلاً من الفاعل الحقيقي.

كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾. (١)

فقد أسند الفعل وهو النفخ إلى المصدر ^{نَفْخَةٌ} إسناداً مجازياً، ولم يسند إلى الفاعل

الحقيقي وهو النافخ في الصور.

ومنه قول الشاعر:

قد عز عز الأولى لاينجلون على أوطانهم بالدم الغالي إذا طلبا

فقد أسند الفعل إلى المصدر وهو (عز) إسناداً مجازياً، لأن العز لا يعز، وإنما

يعز به.

ومنه قول أبي بكر بن عمار:

نخيلتهم لاضر لله ضرهم أشاورا تجاهى بالسماات وصرحوا

وقول أبي تمام :

تكاد عطاياه يجن جنونها إذا لم يعوذها برقية طالب

٥) الفاعلية :

ويسند الفعل المبنى للمفعول إلى الفاعل، أي: يسند الفعل إلى صيغة اسم

المفعول، والمراد اسم الفاعل.

(١) الحاققة: ١٣.

كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ (١).

اسند الفعل إلى صيغة اسم المفعول (مستورا)، وأراد: صيغة اسم الفاعل (ساترا)، لأن من شأن الحجاب أن يكون ساترا.
وكقولنا: سبل مفعم. أى: مملوء.
فالسبل لايفعم، وإنما هو المفعم.

٦ المفعولية :

ويسند ما بنى للفاعل إلى المفعول. وفيها يسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل والمراد اسم المفعول.

كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (٢).

أسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل (راضية) وأراد: اسم المفعول (مرضية).
لأن الذي يرضى هو صاحب العيشة وليست العيشة نفسها.

وكقوله تعالى: ﴿ لَا عَاصِمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ (٣).

وفيه أسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل (عاصم) وأراد اسم المفعول (معصوم)
أى: لامعصوم من أمر الله إلا من رحم.

ومنه قول الحطيئة يهجو الزبيرقان بن بدر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.

أى: واقعد فإنك أنت المطعم والمكسو.

المجاز المرسل :

هو ما كانت علاقته بين ما استعمل فيه، وما وضع له غير المشابهة. وتسميته بالمرسل (نابعة من كونه غير مرتبط بقيود، فالإرسال فى اللغة: الإطلاق وأرسلة

(١) الأسراء: ٤٥.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) القارة: ٦، ٧.

أطلقه، ولما كانت الاستعارة مقيدة ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به كان المجاز المرسل مطلقاً من هذا القيد). (١) فليس له علاقة بعينها وإنما له علاقات كثيرة أوصلها السبكي إلى ما يقرب من أربعين علاقة.

والمقصود بعلاقة المجاز المرسل: (أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين، ويصوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر). (٢)

علاقات المجاز المرسل :

(١) السببية :

وهو أن يطلق السبب ويراد المسبب.

كقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾. (٣)

ذكر السيئة وهي السبب، وأراد العقوبة وهي المسبب على سبيل المجاز المرسل.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ ﴾. (٤)

ذكر الابتلاء وهو السبب، وأراد العرفان وهو المسبب عن الابتلاء.

أى: ونعرف أخباركم.

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾. (٥)

ذكر الاعتداء الثانى فى اللفظ، وأراد الجزاء أو القصاص.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾. (٦)

وقوله تعالى: ﴿ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا اللَّهُ ﴾. (٧)

(١) اصول البيان العربى ص ٥٠ (٢) علم البيان: د. بسيونى عبدالفتاح ص،

١٤٤.

(٣) الشورى: ٤٠ (٤) محمد : ٣١.

(٥) البقرة: ١٩٤ (٦) الأنفال : ٣٠.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي سِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١).

عبر بلفظ الاستهزاء (الله يستهزئ بهم) وأراد العقوبة لهم على استهزائهم. ومنه قول عمرو بن أم كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا.

وقول الآخر :

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا أجدب الناس أصبعا.

أى: له عليها أثر رعاية وحقق ومهارة، وعبر الشاعر عن الأثر هذا بالإصبع لأنه سبب فيها، إذ لا حقد في صناعة إلا وهو مقاد من حسيّن تصريف الأصابع ومهارتها. (٢)

ومثله قولنا: رعينا الغيث، أى: النبات المسبب عن الغيث.

٢) المسببية :

وهو أن يطلق المسبب ويراد السبب.

كقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ (٣).

ذكر الرزق وهو المسبب، وأراد الماء وهو السبب.

وقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ

بِإِذْنِهِ ﴾ (٤). ذكر المغفرة وهي المسبب، وأراد التوبة وهي السبب في المغفرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٥). أى إلى توبه من ربكم.

(٧) آل عمران: ٥٤.

(٢) البيان في ضوء اساليب القرآن ص ١٤٢.

(١) البقرة: ١٤، ١٥.

(٤) البقرة: ٢٢١.

(٣) طافر: ١٣.

(٥) آل عمران: ١٣.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾. (١)

ذكر الاستعاذة وهى مسيب، وأراد الإرادة وهى سبب فى الاستعاذة، والمعنى: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾. (٢)

ذكر القوة وهى المسبب، وأراد السلاح وهو السبب فيها.

ومنه قول الشاعر يصف غيثاً:

أقبل فى المستن من ربابة أسنمة الابل فى سحابة

ذكر الأسنمة وهى المسبب، وأراد الماء وهو السبب، لأن الماء عندما ينزل على الأرض ينبت النبات فتأكل منه الإبل حتى تشبع وتسمن وتنمو اسنمتها. فعبر الشاعر تعبيراً مجازياً بجعله الأسنمة بدلاً من الماء فى السحاب. وكقولهم: أمطرت السماء نباتاً. أى: مطراً.

٣) الجزئية :

وهو أن يطلق الجزء ويراد به الكل.

كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾. (٣)

ذكر الركوع وهو الجزء، وأراد الصلاة وهى الكل، وذلك لأن الركوع الركن الداله على الصلاة أكثر من غيره، وعليه يكون المعنى: وصلوا مع المصلين.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾. (٤)

(٢) الأنفال : ٦٠ .
(٤) الأنفال : ٦٢ ، ٦٣ .

(١) النحل : ٩٨ .
(٣) البقرة : ٤٣ .

ذكر القلوب وأراد قبيلة الأوس والخزرج. قال القاضي عبد الجبار معلقاً على هذه الآية: إن التأليف بين القلوب حقيقة أن ينضم بعضها إلى بعض وذلك مما لا يصح أن يكون مراداً، والتأليف إنما يكون فيما يرجع إلى الفاعلين بينهم لا بين قلوبهم، ومتى ذكر القلب في ذلك فهو مجاز. (١)

وقوله تعالى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (٢). عبر بالجزء وهو البنان، وأراد الكل وهو الأيدي.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ قُمْ لِلَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا.....﴾ (٣). ذكر القيام وأراد الصلاة.

ومثله قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ (٤). أى: لاتصل، فأطلق القيام وهو جزء، وأراد الصلاة وهو الكل.

وقوله تعالى: ﴿وَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْنَهَا.....﴾ (٥).

أطلق الجزء وهو لفظة (عينها)، وأراد الكل وهي النفس. وذلك لأن العين هي الجزء الذي يظهر لنا ما في النفس من ألم وحسرة أو فرح وسرور. فاستقرار العين دلالة على استقرار النفس، وعدم استقرارها دلالة على عدم استقرار النفس خاصة عند النساء ولذلك استخدمها القرآن في التعبير.

ومنه قول معن ابن أوس المزني في ابن اخته:

أعلمه الرماية كل يوم فلما استند ساعده رمانى.

وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى.

(١) انظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار - ٥. عبد الفتاح لاشين ص ٢٣٠ - مطبعة دار

الفكر العربى. (٢) الأنفال: ١٢.

(٣) الأنفال: ١٢. (٤) التوبة: ١٠٨.

(٥) التوبة: ١٠٨.

فذكر القافية وأراد القصيدة على سبيل المجاز المرسل ذى العلاقة الجزئية.

٤) الكلية :

• وهو أن يطلق الكل ويراد به الجزء.

كقوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ أَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (١).

أطلق اليد وأراد الرسغ. وعبر بالكل هنا وهو (اليد)، لأن الجزء المقطوع يقوم بكل أعمال اليد، فقطعه يعطل اليد عن العمل، فكان اليد هي المقطوعة.

وقوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٢).

أطلق الكل وهو الأصابع، وأراد الأنامل وهي أطراف الأصابع. وذلك لشدة الخوف الواقع على قلوبهم بسبب نفاقهم فكانوا يحسبون كل صحيحة عليهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ (٣). أطلق الكل وأراد الجزء مبالغة في شدة الإعراض عن سماع الحق.

وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٤). أطلق الكل (الأفواه) وأراد الجزء (الأسنة) ويكون المعنى: يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَتِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (٥). ومعلوم أنهم لا يستوعبون البلد كلها، وإنما يدخلون جزءاً منها فعبر بالكل وأراد الجزء (٦).

(١) المائدة: ٣٨. (٢) البقرة: ١٩.

(٣) نوح: ٧.

(٤) آل عمران: ١٦٧. (٥) يوسف: ٩٩.

(٦) القرآن والصورة البيانية ص ١٨٣.

ومنه قولهم: اسكن القاهرة أو الاسكندرية، والمراد: إنك تسكن في منزل بأحد أحيائها.

ومثله قول المتنبي :

أقمت بأرض مصر فلا ورائي تخبُّ بي الرِّكاب ولا أمامي .

أطلق الكل وأراد الجزء .. أى فى جزء من أرض مصر .

وكقول السموّل:

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل. (١)

ذكر النفوس وأراد الدواء التى هى جزء منها.

(٥) اعتبار ما كان :

وفيه يسمى الشئ باعتبار ماكان عليه:

كقوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾. (٢)

أى: الذين كانوا يتامى، لأن البالغ الرشيد لا يسمى يتيمًا، وتسليم الأموال لايتم إلا بعد البلوغ. ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِنِ أَنَسْتُمْ مِنْهُمْ رَشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾. (٣)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِن لَّهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا

يَحْيَىٰ ﴾. (٤) فسماه مجرمًا باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام.

ومنه قول ابن حمديس:

لا أركب البحر أخشى على من المعاطب .

طين أنا وهو ماء والطين فى الماء ذائب .

(١) الظبات: جمع ظبة بضم الظاء وتخفيف الباء وهى خد السيف. (٢) النساء : ٤ .

(٣) النساء : ٦ .

(٤) طه : ٧٤ .

فذكر الطين على اعتبار ما كان عليه أصل الإنسان ساعة الخلق.
وفى الشطر الأول مجاز مرسل علاقته الكلية، إذ البحر كله والركوب
لا يكون إلا في جزء منه.
ومما يوضح قول ابن حمديس قول ايليا أبو ماضي من قصيدة عنوانها
(الطين):

نسى الطين ساعة أنه طين حقيق، فصال تيتها وعربد.

فالمراد بالطين الإنسان، لأن أصل خلقه من الطين، والذي عناه الشاعر هو
ذاك الإنسان الذي رزقه الله مالاً وجاهاً ونعماً لا تعد ولا تحصى، فقابل هذا بالتكبر
والعريضة على العباد.

(٦) اعتبار ما يكون :

وفيه يسمى الشيء باعتبار ما يؤول إليه.

كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (١).

فالمولود لا يولد غلاماً ولا حليماً، وهذه بشارة من الله سبحانه وتعالى بأن هذا
المولود سيصبح فيما بعد غلاماً حليماً على اعتبار ما سيؤول إليه الشيء.

ومثله قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ

خَمْرًا ﴾ (٣).

والخمر لا يعصر، والمراد: إنى أراى أعصر عنباً سيصير خمرأ فيما بعد.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (٤). أن مالك ومآلهم إلى الموت.

(٢) الحجر: ٥٢.

(٤) الزمر : ٣٠.

(١) الصافات : ١٠١.

(٣) يوسف: ٣٦.

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيْمَارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَصْلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (١) أي: لا يلدون إلا من سيكون فاجراً كفاراً.

(٧) الحالية :

وفيها يذكر الحال ويراد المحل.

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (٢) ذكر الحال وهو النعيم، وأراد المحل هو الجنة. وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة الجحيم المراد منها النار. فالنعيم حال في الجنة، والجحيم حال في النار.

وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣) أي في جنة الله ، وهي المحل الذي تحل فيه الرحمة.

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٤) والمراد بالزينة اللباس وكل ما تحل به الزينة، لأن الزينة لاتؤخذ. فعبر بالحال وأراد المحل.

ومثل ذلك قول المتنبي :

إني نزلت بكذابين، ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود.

فذكر الحال وهو الكذب، وأراد المحل وهو أرض الكذابين. والمعنى أنه نزل بأرض، الحاكم فيها من الكذابين يقول بلسانه شيئاً ويفعل بيديه شيئاً آخر.

وقول الآخر:

ألمّا على مَغْنٍ وقولا لقبره سقتك الغواذي مربعاً ثم مربعاً (٥).

(١) نوح: ٢٦، ٢٧. (٢) الإنفطار: ١٣، ١٤.

(٣) آل عمران: ١٠٧. (٤) الأعراف: ٣١.

(٥) الغواذي: السحب، ومربعاً: من أربعة، والمعنى: انها سقتك اربعة ايام ثم اربعة أخرى.

فالشاعر يطلب النزل على قبر معن، ومعن هو الحال في القبر. فذكر الحال وأراد المحل على سبيل المجاز وعلاقته الحالية.
(٨) المحلية :

وفيهما يذكر المحل ويراد ما يحل به.

كقوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ... ﴾ (١) أي: أهل القرية، لأن الجماد لا يسأل.

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ (٢) والمراد أهل النادى.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٣) فعبر بالافواه وهي المحل، وأراد الألسن وهي حالة فيها.

وقول ابن لنكك يهجو المتنبي:

لكن بغداد جاد الغيث ساكنها نعالهم فى قفا السقاء تزدحم

أراد ببغداد أهلها الذين يحلون فيها.

(٩) الآلية :

وهو أن يذكر الشئ باسم الله التى يودى بها الفعل.

كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ (٤) أي: بلغة قومه. فذكر اللسان وهو الآلة، وأرد اللغة التى تؤدى به.

وقوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٥) أي : ذكراً حسناً

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) المائدة: ٤١.

(٣) الشعراء : ٨٣، ٨٤.

(٤) العلق : ١٧.

(٥) ابراهيم: ٤.

- وقوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾. (١) المراد:
 على مرأى من الناس. فعبر بالعين وأراد الرؤية لأن العين آلة الإبصار.
 وتكمن بلاغة المجاز المرسل في تحقيق عدة أغراض وهي: (٢)
 - المبالغة. كما في قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾.
 - والإيجاز. كما في قوله تعالى : ﴿ وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾.
 - وتأكيد المعنى المجازى وتقريره في النفوس.
 - ويفسح المجال في التعبير أمام المتكلم.
 - ويعين المتكلم على تحقيق ما يهدف إليه من أغراض كالتعظيم والتحقير
 والتهويل كأن تقول: رأيت العالم، وتقصد: رأيت طالب العلم تعظيماً لشأنه.
 وتقول: انظر إلى الحيفة كيف يطغى ويتكبر، وتقصد من سيموت فيصبح
 حيفة تحقيراً له.

الفرق بين المجاز المرسل والاستعارة :

- (١) المجاز المرسل ما كانت علاقته غير المشابهة نحو : قوله تعالى : ﴿ فَرَجَعْنَاكَ
 إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ مجاز مرسل علاقته الجزئية.
 والاستعارة ما كانت علاقته المشابهة، نحو: رأيت زهرة تحملها أمها. أى:
 رأيت طفلة كالزهرة تحملها أمها.
 (٢) المجاز المرسل مطلق لا يفيد بعلاقة، وإنما له علاقات كثيرة كما رأينا. أما
 الاستعارة فهي مقيدة بعلاقة واحدة وهي المشابهة .

(١) الأنبياء: ٦١.

(٢) انظر: علم البيان، د. بسيموني عبد الفتاح ص ١٦٦. والقران والصورة البيانية - عبد القادر حسين

ص ١٦٩. والبيان في ضوء اساليب القران - د. عبد الفتاح لاشين ص ١٥٥. وعلم البيان - د.
 بكرى شيخ أمين ص ١٠٩.

الاستعارة

الاستعارة في اللغة مشتقة من العارية، وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر. يقال: استعار فلان من كنانته سهماً.

وفي الإصطلاح: استعمال اللفظ في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة، والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

وقد ذكر علماء البيان تعريفات عدة للاستعارة كلها تدور في فلك واحد وإن اختلفت في اللفظ والتعبير، وإن ظهر بعض الخلط عند البعض بين الأصل اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

ويعتبر الجاحظ أول من عرفها كفن بلاغي إذ يقول: (الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه، واستشهد بقول الشاعر:

يادار قد غيرها بلاها كأنما بقلم محاما

أخرجها عمران من بناها وكر ممساها على مفناها

وظفقت سحابة تغشاها تبكى على عراصها عيناها

قال: ممساها، يعني مساءها. والمغانى: المنازل التي كان بها أهلها وظفقت: ظلت، والعرصة: المكان ليس له بناء، وجعل المطر بكاء على سبيل الاستعارة. تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه. (١)

وذكر ابن المعتز أن الاستعارة هي: استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء

قد عرف. (٢)

وعرفها القاضي الجرجاني بقوله: الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة

(١) البيان والتبيين - الجاحظ ج١ ص ١٥٣. (٢) البديع - ابن المعتز ص ٢.

المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر. (١)

وبين الرماني أن الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة. (٢)

وقال ابو هلال العسكري: إن الاستعارة هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه. وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً. (٣)

ويرى الإمام عبد القاهر الجرجاني: أن الاستعارة هي: أن تريد الشيء بالشيء فتدع أن تفصح في التشبية وتظهرة، وتجيئ إلى اسم المشبه به فتعيده المشبهه وتجريه عليه. (٤) ويرى في الاستعارة (أنك تثبت بها معنى لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ، ولكنه يعرفه من معنى اللفظ). (٥)

وعرف السكاكي الاستعارة بقوله: (أن تذكر أحد طرفي التشبية، وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به). (٦)

وقد عرفها الخطيب القزويني بقوله: (هي ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضعت له). (٧)

(١) الوساطه بين المتبني وخصومه - القاضي الجرجاني ص ٤١ - تحقيق / محمد ابو الفضل ابراهيم

- طبعة عيسى البابي - القاهرة - ١٩٦٦م.

(٢) النكت في اعجاز القرآن - الرماني ص ٧٩.

(٣) الصناعيين - العسكري ص ٢٧٤ - تحقيق / محمد على البجاوي و محمد ابو الفضل ابراهيم -

مطبعة عيسى البابي - ١٩٧١. (٤) دلائل الاعجاز : ص ٥٣.

(٥) المرجع السابق ص ٣١. (٦) مفتاح العلوم : ص ١٧٤.

(٧) الايضاح ص ٤٠٧.

الاستعارة المكنية والتصريحية :

تقوم الاستعارة على ثلاثة أركان وهي :

المستعار : وهو اللفظ المنقول .

والمستعار منه : وهو المشبه به .

والمستعار له : وهو المشبه .

المكنية : وهي ما حذف منها المشبه به (المستعار منه) ، وبقت صفة من صفاته ، أو لازمة من لوازمه . ومن أمثلة المكنية :

قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (١) .

شبه الشيب بالنار في البياض والانبساط ، وحذف المشبه به وهو النار وأبقى صفة من صفاته وهي الاشتعال على سبيل الاستعارة المكنية .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا ﴾

كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢) . شبه الذل بالطائر ، وحذف المشبه به ، وأبقى لازم من لوازمه وهو الجناح .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبَ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي ﴾

نُصْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ ﴾ (٣) . فقد شبه الغضب بإنسان ساكت ، وحذف المشبه به ، وأبقى صفة من صفاته وهي السكوت .

وقوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (٤) .

شبه الصبح بالإنسان في الحركة وخروج النور ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو التنفس على سبيل الاستعارة المكنية .

(١) الإسراء : ٢٤ .

(٢) التكويد : ١٨ .

(٣) مريم : ٤ .

(٤) الاعراف : ١٥٣ .

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (١).

فشبهه الخوف بمن يأتي منه المجرى بجامع الحركة في كل، ثم حذف المشبه به،

ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو المجرى. شبهه الخوف بالآستان بجامع الحركة وهو المشبه به

ومثله قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي

قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلأتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ (٤).

أى: ليس في جهنم من مزيد، فقد امتلأت بالكافرين وعصاة المسلمين من الجن والإنس وفي تفسير النيسابوري أن جهنم تغيظ على الكافرين ثم يبقى فيها موضع العصاة المسلمين فتطلب الامتلاء من الكفار كي لا ينقص إيمان العاصي حرها، فإذا أدخل العصاة النار سكن غيظها، وسكن غضنها (٥).

فالحوار يدور بين الله عز وجل وبين جهنم فينشئ لنا هذا الحوار صورة فتتمثل الموقف تمثلاً واضحاً، فالله يعد جهنم بالامتلاء من الكافرين والعصاة، وجنهم لا تنفذ وقودها، ولا يضيق مكانها فتطلب المزيد حتى تمتلئ، ولا تجد مكاناً للمزيد بعد امتلائها، حياة وحركة أضفاهما الحوار، وتجادب الحديث مع من لا ينطق ولا يتكلم فأعطانا هذا الحوار صورة رائعة تمثل هول الجحيم وعنفا وشدة سعيها (٦).

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ (٧).

شبهه الخوف بالآستان بجامع الحركة وهو المشبه به

حذفت الحاء وأبقيت على صفة

يَنْقُضُونَ عَلَى سَبِيلِ الْوَعْدِ

(١) الأحزاب: ١٩.

(٢)

يونس: ١٠٨.

(٣) هود: ٧٤.

(٤)

ق: ٣.

(٥) تفسير النيسابوري ج ٢٦ ص ١١٩ - الطبعة الاميرية.

(٦) القرآن والصورة البيانية ص ٢٤٢.

(٧)

البقرة: ٢٧.

يقول الزمخشري في بيان الاستعارة في الآية الكريمة: فإن قلت من أين ساع استعمال النقص في إبطال العهد، قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصل بين المتعاهدين، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه. (١)

ومنه قول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع

شبه الشاعر المنية بالحيوان المفترس، وحذف المشبه به وهو الحيوان، ورمز له بشئ من لوازمه وهو الأظفار على سبيل الاستعارة المكنية. وكقول الحجاج بن يوسف الثقفي: (إني لأرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها، وإنى لصاحبها).

فقد شبه رؤوس الناس بثمار يانعة، وحذف الثمار وهي المشبه به، وأبقى لازمة من لوازمه وهي الإيناع.

(١) الزمخشري، الكشاف، ص ٥٧.

وكقول دعبيل الخزاعي: (يا معجبني يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكني)

وكقول الآخر: (ما حذفت من المشبه به ما حذفت من المشبه به)

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشكاية أنطق

فشبهه الحال، بإنسان ناطق في الدلالة على المقصود، ولم يصرح بلفظ المشبه به بل ذكر لازمه، وهو اللسان الذي لا تقوم الدلالة الكلامية إلا به، تبييناً به عليه. (٢) وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

← والتصريحية: ما حذف فيها المشبه (المستعار له)، وصرح بلفظ المشبه به (المستعار منه).

(١) الكشاف - الرمخشري ج ١ ص ٥٧.

(٢) انظر: جواهر البلاغة ص ٣١٥.

ومن أمثلتها :

بجامع التخلية المبررة (المصدر) (الضمان) (المصدر) (المصدر)

قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (١).

فاستعير للضلال لفظ الظلمات، وللهدى لفظ النور، لعلاقة المشابهة بينهما فكما يحجب الضلال الهداية والرشاد عن القلوب، تحجب الظلمات الأضواء والأنوار عن الأفاق، وكذلك النور والهدى.

المحرام الحلال بجامع التخلية المبررة (المصدر) (المصدر) (المصدر)

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ (٢).

فقد شبه الحرام بالخبِيث، والحلال بالطيب على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا

رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا

كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣).

فالاستعارة في قوله (لباس الجوع والخوف). فقد شبه أثر الجوع والخوف من النحافة والاصفرار والضعف، وضررهما المحيط بأهل القرية باللباس بجامع الإحاطة في كل (٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ

يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٥).

شبه قبح الكآبة، والحزن الذي يعلو وجهه بسواد الوجه لاشتراكهما في القبح

وبشاعة المنظر، فصرح بذكر المشبه به وحذف المشبه.

- (١) إبراهيم: ١. (٢) المائدة: ١٠٠. (٣) النحل: ١١٢. (٤) انظر: البيان في ضوء أساليب القرآن ص ١٨٣. (٥) النحل: ٩٤.

شبه المشقة التي يجدها الإنسان المؤمن بالعصاة بما يصح الإيلاج
 وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ... ﴾ (١).

وأصل العنت: كسر العظم، وأريد له في الآية المشقة التي يجدها الإنسان في
 مكابدة شهوته بجامع الإسلام في كل. فقد شبه المشقة بالعنت وحذف المشبه وأبقى
 المشبه به.

شبه الأعمال السيئة بالألمة بما يصح البحر من الإيلاج
 وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ (٢).

شبه ابتعادهم عن الحق ونفورهم منه وعدم تقبلهم له بالأغطية والاسرار التي
 تحول دون الرؤيا، وتمنع من الوصول إلى الحقيقة. فاستعار الأكنة لبعدهم عن الحق،
 واستعار الوقر لعدم انقيادهم لرسالة التوحيد.

وكقول المتنبي:
 شبه الممدوح بالبحر، شبه الممدوح بالمعروف في علومه كمنه وبعده أ
 وأقبل يمشى في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقى
 فقد أراد الشاعر تشبيه الممدوح بالبحر في النظام أمواجه وجبروته لينزل
 الرعب في قلب رسول الروم الذي جاء يسعى إليه، فحذف المشبه وهو الممدوح وخرج
 بالمشبه به وهو البحر والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي للبحر قوله عن
 رسول الروم (فأقبل يمشى في البساط) وهي قرينة لفظية.

كذلك أراد الشاعر تشبيه الممدوح بالبدر فحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو

البدر في علاه وضيائه، والقرينة المانعة هي نفسها القرينة اللفظية السابقة (٣).

بأنسان أقر بالقاء معينا بما يصح الحركة في كل (مكتوب)
 وقول المتنبي مرة: البحر (في) بعض المعرف (على) على سبيل الاستعارة اللفظية.

وألقى الشرق منها في ثيابي دنائيراً تفر من البنان

فقد شبه الدوائر الضوئية الصغيرة التي تنفذ عبر أوراق الشجر من الشمس
 بدنائير ذهبية بجامع الاستدارة والبياض. وهذا المعنى ذكره النويري في وصف الغوطة
 عندما قال: يخال سالكها أن الشمس قد نثرت على أتوابه دنائير، لم يستطع أن يقبضها

بنان .
 (١) النساء: ٢٥.
 (٢) الاسراء: ٤٦.
 (٣) أنظر: علم البيان - د. محمد هدارة ص ٦٩، ٧٠. وانظر: صناعة الكتاب - د. رفيق عطوى ص ٤٦.

شبه حركة - على الزمى عندما تتحرك في الوصل بيدي حركة العجين بجمع الانزلاق كل منه (تسوية) ^{العجين} ^{بما} ^{مع} ^{الذي} ^{يخز} ^{وعنه} ^{فإنه} ^{تعد} ^{مكتبة}

ومن قول أبي دلامة يصف بغلته: (2) شبه حركة يدي الزمى بحركة يدي الخابز: ^{تعد} ^{مكتبة}

أرى الشهباء تعجن إذ غدونا برجليها وتخبز باليدين

شبه حركة رجليها بحركة يدي العاجن في الانزلاق وعدم الاستقرار، فرجلاها لا يثبتان على الأرض، بل ينزلان إلى الأمام، وكذلك يدا العاجن لا يثبتان في مكان لرخاوة العجين، ثم شبه حركة يديها وهما لا يتقدمان إلى الأمام بل يثبتان إلى الخلف نحو بطنها في تقوس واعوجاج بحركة يدي الخابز حيث يثبتهما إلى صدره في تقوس ليستجمع قوته ويقذف بأقراص العجن داخل التنور فالشاعر استعار العجين لحركة الرجلين، والخبز لحركة اليدين. (1)

الاستعارة الأصلية والتبعية:

فالأصلية ما كان اللفظ المستعار اسماً جامداً غير مشتق.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِيعُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتَوَدُونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾. (2)

لفظ (الشوكة) مستعار، وحقيقته السلاح وهو اسم جامد. ^{تأخر (ص ٤٤٢)}

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. (3)

لفظ الظلمات والنور مستعاران، وكلاهما جامد.

وقوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتُونَهَا عِوَجًا﴾. (4)

فكلمة (العوج) مستعار، وحقيقته الخطأ، والاستعارة أبلغ لما فيها من البيان بالإحاطة على ما يقع عليه الإحساس من العدول عن الاستقامة بالاعوجاج والاعوجاج اسم جامد.

- (1) علم البيان - د. بسيوني عبد الفتاح ص ١٨٥. (2) الأنفال: ٧.
- (3) إبراهيم: ١. (4) الأعراف: ٤٤، ٤٥.

وكقول الشاعر يرثى ابنا له:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسحار

فقد شبه الإبن بالكوكب بجامع صغر الجسم، وعلو الشأن في كل، ولفظ الكوكب اسم جامد غير مشتق. ومن أجل ذلك يسمى هذا النوع بالأصلية.

والتبعية: ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً مشتقاً أو فعلاً.

كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةً﴾ (١).

فقد شبه انتهاء الغضب عن موسى بالسكوت بجامع الهدوء في كل، وسكت فعل، وعليه تكون الاستعارة تبعية.

وقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢).

وحقيقته بلغ ماتؤمر به، والتبليغ قد لا يكون له تأثير بخلاف الصدع، فلا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج، واللفظ المستعار فعل أمر.

وقول الشاعر:

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين .

والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين .

ففي قوله (تركض) استعارة تصريحية، لأنه شبه تحرك السحب في السماء بالركض بجامع السرعة، وكلمة (تركض) فعل فتكون الاستعارة تبعية.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (٣).

(٢) الحجر : ٩٤ .

(١) الاعراف : ١٥٤ .

(٣) الاسراء : ٧ .

والمعنى: وحملناهم على البر والبحر، ولكنه عبر بالحرف (فى) بدلا من (على)؛ لأن حرف الوعاء (فى) أمكن من حرف الاستعلاء (على) مع إفادة التمكن والاستقرار.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ (١). والمعنى: على جدوع النخل.

الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة:

← المرشحة: وهى التى يذكر معها ما يلائم المشبه به (المستعار منه).

نحو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٢).
 فقد استعار الشراء للاختيار والاستبدال، ثم ذكر الربح والتجارة وهما يلائمان المشبه به (المستعار منه).

ومنه قول البحرى:

مُجْرَدَةٌ كَمَا يُؤَدُّونَ التَّحِيَةَ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى قَمَرٍ مِنَ الْإِيْوَانِ بَادٍ (مُجْرَدَةٌ)

فقد شبه البحرى بمدوحه بالقمر بجامع الحسن والجمال، ثم حذف المشبه وصرح بذكر المشبه به وهو القمر، وقد قرن بما يناسب المشبه وهو قوله (من الإيوان باد). لأن القمر الحقيقى لا تؤدى له التحية.

← والمجردة: التى يذكر معها ما يلائم المشبه (المستعار له).

كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ (٣).
 فالاستعارة فى قوله (لباس الجوع والخوف)، فاستعير اللباس للجوع، ثم قرن الكلام بما يلائم الجوع وهو المشبه (المستعار له).

شبهت القوم باللباس

(١) البقرة: ١٦.

(٢)

(١) طه: ٧١.

(٣) النحل: ١١٢.

وكقول الشاعر:

وعد البدر بالزيارة ليلاً فإذا ما وفي قضيت نذوري

استعار البدر للمحبوبة وقرنت بما يلائم المستعار له (المشبه) وهى الزيارة والوفاء على سبيل الاستعارة المجردة.

← والمطلقة: إذا خلت مما يلائم المشبه والمشبه به (المستعار له والمستعار منه). أو ذكر معها ما يلائم الطرفين معاً.

كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (١).

استعار لفظ الظلمات للضلال، ولفظ النور للإيمان. ولم يقترن بالمستعار ما يلائم المشبه أو المشبه به.

وقول الشاعر:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على الغاب بالبرد

فقد شبه دموع حبيبته باللؤلؤ، وعينها بالنرجس، وخبثها بالورد، وأطراف أصابعها بالغاب، وأسنانها بالبرد. ولم يذكر ما يلائم المشبه أو المشبه به.

وكقول الآخر:

رمتى بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدى وهو للقلب جارح

فاستعار لفظ السهم للنظر، وقرنه بقوله (ريشه) وهو مما يلائم المشبه به. وكذلك بالكحل وهو مما يلائم المشبه، وعليه يكون قد ذكر فى البيت ما يلائم المشبه (المستعار له) والمشبه به (المستعار منه) فى أن واحد.

ومنه قولنا: رأيت أسداً فى الميدان يزأر ويرمى النبال.

ومنه قول زهير:

لدى أسد شاكى السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

فشاكى السلاح ومقذف من أوصاف المشبه (الرجل)، واللبد والأظفار التي لم
تلق من أوصاف المشبه به وهو الأسد. فقد قرنت الاستعارة بما يلائم الطرفين.
إجراء الاستعارة:

ذكرنا سابقاً أن الاستعارة مبنية على التشبيه وإن كانت تغايره، وبيناً أن
الاستعارة يحذف منها أركان التشبيه الوجه والأداة والمشبه أو المشبه به حسب
التصريحية والمكنية. ولذلك إذا أردنا أن نجرى الاستعارة فى أى شاهد لابد وأن
نظهر التشبيه فيها أولاً أى توضيح المشبه والمشبه به والجامع ثم نبين ما المحذوف وما
المذكور ليتم تحديد نوعها باعتبار طرفيها.

فى قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١).

شبه الدين الحق بالصرراط المستقيم بجامع الهداية فى كل، ثم تنوسى التشبيه
وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، وداخل فى جنسه، ثم استعير المشبه به
للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

وسميت تصريحية لأن المشبه به مصرح به فى الآية، وأصلية لأنها فى
اسم جامد.

وقوله تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (٢).

شبه الشيب بالنار بجامع الانبساط وسرعة الانتشار، ثم حذف المشبه به وهو
النار وأتى بصفة من صفاته. وهى الاشتعال، ثم اشتق من الاشتعال اشتعل بمعنى
انتشر على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

وقول دعبل :

لا تعجبى ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

مريم : ٤.

(٢)

الفاحة: ٦.

(١)

شبه ظهور الشيب بالضحك بجامع الإشراق، ثم حذف المستعار له (المشبه) وهو ظهور الشيب، وصرح بذكر المستعار منه (المشبه به) وضحك وهو الفعل المشتق من الضحك على سبيل الاستعارة التصريحية.

ويمكن أن نجرى الاستعارة في المشيب، إذ شبه المشيب بإنسان يضحك بجامع التدرج في ظهور البياض، ثم حذف المستعار منه وهو الإنسان، وأبقى صفة من صفاته وهو الضحك على سبيل الاستعارة المكنية.

التشبيه البليغ والاستعارة :

قد يذكر في التشبيه البليغ طرف واحد وهو المشبه به، ويحذف المشبه لشهرته وسهولة معرفته كما مر معنا في قوله تعالى: {صم بكم عمى} أى: هم صم، وكقول الشاعر:

أسد على وفي الحروب نعامة فتخاء تصفر من صغير الصافر

والسؤال الذي يطرح نفسه، كيف نفرق بين كونها استعارة أو تشبيه في مثل هذه المواطن؟ وما هو السبيل لتحديد الأمر والوقوف على حقيقته؟.

لقد أوضح القول في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة (١) ووضع ضوابطاً يستطيع الأديب أو القارئ والمهتم بهذه الدراسات من خلالها تشخيص ذلك بسهولة ويسر:

أولاً : إن حسن دخول أدوات التشبيه على المشبه به، بأن يكون معرفة، فإنه يكون تشبيهاً بليغاً ولا يكون استعارة ألبته. مثل : زيد الأسد ، وهي شمس النهار.

ثانياً : إن حسن دخول بعض أدوات التشبيه على المشبه به، وتعذر دخول البعض الآخر وكان المشبه به نكرة فإنه جاز عدّه من الاستعارة. نحو: زيد أسد، وهي شمس.

(١) انظر: أسرار البلاغة ص ٢٢٢ وما بعدها.

فإنه لا يحسن أن يقال: زيد كأسد، وحسن أن نقول: كان زيدا أسد .

ثالثاً : وإذا لم يحسن دخول شئ منها على المشبه به بأن يكون نكرة موصوفة بمالا يلائم المشبه به كان عده من الاستعارة أحسن كقولك: فلان بدر يسكن الأرض، وشمس لاتغيب. فإنه لا يحسن دخول شئ من الأدوات فيها إلا بتغيير صورته كقولك: فلان كالبدر إلا أنه يسكن الأرض، وهي كالشمس إلا أنها لا تغيب. ومثله قول الشاعر :

شمس تألق والفراق غروبها عنا، وبدر والصدود كسوفه

رابعاً : يبالغ في التشبيه فيقلب ويجعل كل واحد من الطرفين مكان الآخر، كذلك يبالغ في الاستعارة، ويصف المستعار له بصفة أبلغ من الاسم المستعار: كقول أبي الطيب:

أسد ، دم الأسد الهزبر خضابه موت، فريص الموت منه يرعد.

ويمتنع حمله على التشبيه، وإلزم التناقض، وهو كون المشبه دون المشبه به بحكم التشبيه، وأعلى منه بحكم الوصف الذي ليس للمشبه به.

وتعتبر الاستعارة صورة من صور التوسع في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة. وترتكز الاستعارة في أصلها على أساس من التشبيه، والتشبيه يقوم على أصليين: المشبه والمشبه به، أما الاستعارة: فإنها تعتمد على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه، وإذا كان التشبيه يأتي لبيان المعنى وإيضاح الفكرة فإن الاستعارة أكثر ما تكون تستعمل في القوة وشدة التأثير في السامعين.

وتأثير الاستعارة في النفوس يعتمد على الخيال، وعرض الصور عرضاً حسيماً مجسماً، وهذا ما عير عنه الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله: (إن فصيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في أنها تبرز البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتست فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف مفرد.

ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر. (١)

ومن مظاهر التصوير في الاستعارة: التشخيص والتجسيد في المعنويات، وبث الحركة والحياة في الجمادات فتحول الصورة من شكل صامت إلى شكل متحرك (فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعانى الخفية بادية جلية، وإن شئت أرتك المعانى اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون). (٢)

يقول الدكتور أحمد بدوى متحدثاً عن تأثير الاستعارة القرآنية: (وإذا أنت مضيت إلى الألفاظ المستعارة رأيتها من هذا النوع الموحى؛ لأنها أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصور المنظر للعين، وتقلل الصوت للأذن، وتجعل الأمر المعنوى ملموساً محسناً، فقد يجسم القرآن المعنى، ويهب للجماد العقل والحياة زيادة في تصويره وتمثيله للنفس.

ومن روائع هذا التجسيم قوله سبحانه: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ ﴾ ألا تحس بالفضب هنا كأنه إنسان يدفع موسى ويحثه على الانفعال، ثم سكت وكف عن دفع موسى وتحريضه. (٣)

ومن الخصائص التي تتميز بها الاستعارة : المبالغة في تأكيد المعنى وتفخيمه، لأنها قائمة على تناسي التشبيه، وادعاء أن المشبه صار من جنس المشبه به. ولذلك كان قولنا: رأيت أسداً، أبلغ من قولنا محمد كالأسد.

المرجع السابق : ص ٣٣.

(٢)

(١) اسرار البلاغة: ص ٣٢.

(٣) من بلاغة القرآن - أحمد بدوى ص ٢١٧ - ٢٢٢.

الكناية

الكناية لغة : أن تتكلم بشئ وتريد غيره، يقال: كنى عن الأمر بغيره، يكنى كنايةً يعنى إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه. (١) وهى ترك التصريح بالشئ. وقد عرفها العلماء تعريفات عدة، منهم ابو عبيدة ، إذ أنه أشار إلى أن الكناية هى ما فهم من سياق الكلام من غير أن يذكر اسمه صريحاً فى العبارة. (٢) ويذكر الجاحظ أن الكناية والتعريض لايعملان فى العقول عمل الإفصاح والكشف، ويقول: رب كناية تربي على إفصاح. (٣)

وقسمها المبرزد إلى ثلاثة أقسام : الأول : للتعمية والتغطية، والثانى : للرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، والثالث: للتفخيم والتعظيم. وقد كان القسم الثانى فى نظره أحسن أنواعها إذ يقول: ويكون من الكناية وذلك أحسنها: الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال الله وله المثل الأعلى : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نَسَائِكُمْ ﴾. وقال ﴿ أَوْلَامَسْتُمْ أَنْسَاءَ ﴾ والملامسة فى قول أهل المدينة مالك وأصحابه غير كناية، وإنما هو اللمس بعينه. (٤)

ويعرف الأمام عبد القاهر الجرجانى الكناية بقوله : (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه). (٥)

ويبين الأمام أن معرفة المعانى الكنائية إنما يتأتى عن طريق العقل لا اللفظ، فيقول: وإذا نظرت إلى الكناية وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنها إثبات لمعنى أنت

(١) انظر: لسان العرب - ابن منظور - مادة : كنى. (٢) مجاز القراء، - ج١ ص ٧٣.

(٣) البيان والتبيين - ج١ ص ٨٨. تحقيق/ حسن السنوبى - المطبعة الرحمانية - القاهرة ١٩٣٢م.

(٤) الكامل للمبرد ج٢ ص ٦٧٤ - مكتبة المعارف - بيروت.

(٥) دلائل الإعجاز ص ٤٠ - تصحيح محمد عبده ومحمد محمود التركزى - مطبعة المنار - للقاهرة

تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ، ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم: هو كثير رماد القدر، عرفت ذلك من اللفظ، ولكنك عرفت أن رجعت إلى نفسك فقلت: إنه كلام قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد أنه تنصب له القدر الكثير، ويطبخ فيها للقرى والضيافة، وذلك لأنه إذا كثرت الطبخ في القدر كثر إحراق الحطب تحتها، وإذا كثر إحراق الحطب تحتها كثر الرماد، وهكذا السبيل في كل ما كان كناية. (١)

ولقد عرفها السكاكي بقوله: (هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك). (٢)

والتعريف الاصطلاحي للكناية الذي يعتبر أكثر شمولاً من التعريفات السابقة هو ما ذكره القزويني بقوله: (لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حذفاً). (٣) والمراد بمعناه المعنى الأصلي.

كقولك : فلان طويل النجاد ، أى طويل القامة .

وفلانه نؤوم الضحى، أى مرفهة مخدومة غير محتاجة للسعى بنفسها فى إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش، وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه فى تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها فلاتنام فيه من نساءهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك.

وإذا اتضح لنا المفهوم الاصطلاحي للكناية فإننا نجد أن هناك فرقاً بينها وبين المجاز وهو:

أن المجاز : لفظ أريد به لازم معناه مع عدم جواز إرادة المعنى الأصلي.

والكناية : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي.

(٢) المفتاح : ص ١٨٩.

(١) المرجع السابق ص ٢٨٠.

(٣) الأضاح ص ٤٥٦.

فإذا قلنا : رأيت أسداً في الميدان يحمل رمحاً ويقاثل الأعداء فإنه يستحيل إرادة المعنى الأصلي (الحيوان المفترس) في هذا المثال، لوجود القرينة المانعة من إرادته.

وهذا خلافة في الكناية، فقولنا: فلان كثير الرماد، للدلالة على الكرم، ولا مانع من إرادة المعنى الأصلي، وهو كثرة الرماد.

أقسام الكناية :

تتقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام:

الأول : الكناية عن صفة :

وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة، الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة.

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (١).

فسترى أن الحديث في الآية وقد جاء منصباً حول صفتين معنويتين هما: البخل والتبذير، ولكن أدب القرآن الكريم لم يذكرها بالاسم بل عبر عنهما بالكناية بتصويره الفني الدقيق، فترك التصريح إلى التلميح، والذكر إلى الإشارة فقرن البخل باليد المغلولة إلى العنق التي لا تستطيع حولا ولا طولا فهي مقيدة لا تتصرف، ومحجورة لا تتحرك، وقرن التبذير والإسراف باليد المبسوطة التي لا تقبض شيئا، ولا يستقر عليها شيء (٢).

وقوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ

وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِبَابِ الْطَّعَامِ ﴾ (٣).

فكنى بأكل الطعام عما يخرج من السيلين فمن يأكل لا بد أن يطرد، فاستقبح

ذلك فكنى عنه بالأكل، وفي ذلك تشنيع وتحقير لمن اتخذهما آلهة (٤).

وقوله تعالى : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم ﴾ (٥).

(١) انظر : اصول البيان العربي، ص ١١٦.

(٢)

(١) الاسراء: ٢٩.

(٣) القرآن والصورة البيانية ص ٢٦٤.

(٤)

(٣) المائدة: ٧٥.

أى: سنعلمه بعلامة على أنفه تظل باقية لايمحى أثرها، والوسم: كناية عن وصف المهانة والذلة التي تلحقه، والوعيد الذي يصيبه. وقيل: خضم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه. (١)

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾. (٢)

كناية عن الحسرة والندم، والمعنى: ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعض يده غما، فتصير يده مسقوطة فيها، لأن فاه قد وقع فيها.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾. (٣)

وكقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾. (٤) فخفض الجناح كناية عن الرحمة، والتواضع ولين الجانب. وكقول طرفة بن العبد:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرامس الحية المتوقد.
وهو كناية عن شدة الذكاء.
وكقول المتنبي:

فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب

وفيه كنيتان: الأولى في قوله (وبسطهم حرير) كناية عن العزة، والثانية (وبسطهم تراب) كناية عن المذلة.

(٥) القلم: ١٦.

(١) البيان في ضوء اساليب القرآن ص ٢٦٧. والمراد في الآية هو الوليد بن المغيرة.

(٢) الاعراف: ١٤٩. (٣) الفرقان: ٢٧.

(٤) الاسراء: ٢٤.

وقول الخنساء :

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إذا ماشتنا

وفيه ثلاث كنايات:

الأولى : كناية عن طول القامة في قوله (طويل النجاد).

والثانية: كناية عن السؤود والرياسة في قوله (رفيع العماد).

والثالثة: كناية عن الجود والكرم في قوله (كثير الرماد).

ومنه قول الشاعر:

ومايك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

وهو كناية عن الكرم يتم التوصل إليها بوسائط عدة: فإنه ينتقل من جبن الكلب

عن الهرير في وجه من يدنو من دار صاحبه إلى استمرار تأديبه إلى كونه مقصد أذان

وأقاص، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف .

وكذلك انتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم، ومنه إلى قوة الداعي إلى نحرها

لكمال عناية العرب بالنوق، ومنها إلى صرفها إلى الطبايح، ومنها إلى أنه مضياف .

ودليل ذلك قول الشاعر:

لا أمتع العوذ بالفصال - ولا أبتاع إلا قريبة الأجل .

وقول الفرزدق :
لأفهم من لا
لأفهم من لا

أوليت العراق ورافديه فزاريا أخذ يد القميص

فقوله : أخذ يد القميص، كناية عن صفة الخيانة .

الثاني - الكناية عن موصوف :
لأفهم من لا
لأفهم من لا

وهي أن نذكر في الكلام صفة أو عدة صفات، ونريد بها موصوفاً معيناً،

والكناية هنا تختص بالمكنى عنه.

كقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْجَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (١).

فقد كنى عن المرأة بكنائتين تختصان بها، الأولى: أنها تتشأ في الحلية وترفل في النعيم. والثانية: كناية عن عدم الإبانة في الخصام، وعدم القدرة على مواجهة الصعاب.

وقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُكِنِّ كَصَاحِبِ الْهَوْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ (١) فصاحب الهوت كناية عن موصوف وهو يونس عليه السلام.

ومنه قول الشاعر:
الضاربين بكل أبيض مخدم والطاعنين مجامع الأضغان.

ففي البيت كنائتان: الأولى: كناية عن السيف القاطع في قوله (أبيض مخدم)، والثانية: كناية عن القلب في قوله (مجامع الأضغان).

ومنه قول أبي نواس:

فلما شربناها ودب دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها: قفى

فالشاعر كنى بمواطن الأسرار عن القلب والعقل.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ (٢).

فذات الألواح والدسر أى الألواح والمسامير وهى كناية عن موصوف وهى السفينة.

ومنه قول شوقي:

يا ابنه اليم ما أبوك بخيل ماله مولعاً بمنع وحبس

فكنى بابنة اليم عن السفينة، وكنى بأبيها عن البحر، وكلاهما كناية عن موصوف.

ومنه قول شوقي:

إن الذى ملأ اللغات محاسناً جعل الجمال وسره فى الضاد

(١) القمر: ١٣.

(٢)

القلم: ٤٨.

(١)

فقد كنى عن اللغة العربية وهى الموصوف بالضاد بوصفها من الحروف التى تتميز بها اللغة العربية عن سواها.

وكقول البحرى يصف قتله الذئب :

فأتبعها أخرى فأضلت نصلها ^{القلب} بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فقوله (اللب والرعب والحقد) ثلاث كنايات لموصوف واحد وهو القلب.

الثالث: الكناية عن نسبة : كقول الشاعر

ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه . وقد عبر عنه ابن الزمكاني بقوله : (أن يأتوا بالمراد منسوباً إلى أمر يشتمل عليه من هى له حقيقة) (١) وفيه يصرح بالصفة والموصوف ، ولا يصرح بالنسبة الموجودة مع أنها هى المرادة .

ومن ذلك قول الشاعر :

إن السماحة والمروءة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج.

نسب السماحة والمروءة والندى إلى القبة وكان يقصد نسبتها إلى صاحب القبة، فجعل كون الصفات الثلاث فى القبة كناية عن وجودها فيه.

ومثله قول أبى نواس :

فما حازه جود ولاحل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

فكنى عن نسبة الجود إلى الممدوح بإثباته للمكان الذى يوجد به، ويحل فيه، فجعل الجود ملازماً له يسير حيث يسير.

وكقول الشنفرى يصف امرأة بالعدة :

(١) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن - ابن الزمكاني - تحقيق /د. أحمد مطلوب، > خديجة الحديثي

ص ١٠٥ - مطبعة العاني بغداد - عام ١٩٧٤.

بييت بمنجاة من اللوم بييتها إذا ما بيوت بالملامة حلت

نفي الشاعر اللوم عنها بنفيه عن بييتها الذي تقيم فيه.

وفي البيت أربع كنايات: الأولى: كناية عن صفة العفة، وقد كنى عنها بالنجاة من اللوم، إذ النجاة من اللوم تستلزم النجاة من موجباته كالزنا والفواحش، وذلك يستلزم العفة.

والثانية: كناية عن نفي العفة في الشطر الثاني، وكنى عن ذلك بحلول الملامة. والثالثة: كناية عن نسبة العفة إلى فتاته، وقد كنى عنها بنسبتها إلى بييتها. والرابعة: كناية عن نفي العفة عن أصحاب تلك البيوت بنفيها عن بيوتها. ففي كل شطر من شطري البين كنايتان قد جعلت إحداهما طرفاً للثانية. (١)
وقول الشاعر:

بين برديك يا صبيه كنز من نقاء معطر معشوق

وبعينيك ياصبية شجو ساهم الملح مستطار البريق

فكنى بقوله: (بين برديك ياصبية كنز من نقاء) عن نسبة الطهارة للمخاطبة، وبقوله: (وبعينيك ياصبية شجو) عن نسبة الحزن إليها.
ومنه قول البحتری:

أوما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول.

فكنى بقوله: (المجد ألقى رحله في آل طلحة) عن نسبة المجد إليهم إذ جعل المجد يحط رحاله في ديارهم.

ومنه قول الكميت يمدح بني هاشم:

أناس بهم عزت قريش فأصبحت ومنهم خباء المكرمات المطنب

(١) انظر: علم البيان - د. بسيوني عبد الفتاح ص ٢٥٠.

ففى قوله: (وفيهم خباء المكرمات المطنب) كناية عن نسبة المكرمات إلى بنى هاشم عندما جعلها فى خيامهم.

بين الكناية والتعريض :

التعريض فى اللغة : ضد التصريح، يقال: عرضت لفلان و بفلان، إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، ومنه المعارض فى الكلام. (١)

وفى الاصطلاح: المعنى الحاصل عند اللفظ لا به. (٢)

نحو قولك للمؤذى : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. تعريضاً بنفسى صفة الإسلام عن المؤذى:

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَأنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلْتُهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾. (٣)

فجاء قول إبراهيم عليه السلام على جهة التهكم والسخرية والاستهزاء بعقولهم التى تعبد من لا يضر ولا ينفع.

وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾. (٤)

فى هذه الآية تعريض بالمسلمين لما أصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة و غلبتهم عليهم والإرجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وضعفهم عند ذلك من مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يشفع ابن أبى المنافق لهم عند أبى سفيان فى طلب الأمان فبين لهم أن كثيراً من الأنبياء قاتل معهم جماعات كثيرة لإعلاء كلمة الله فما انكسرت همتهم لما أصابهم فى أثناء القتال من قتل وجراح، وماضعفوا عن الجهاد، وماضعفوا للعدو. (٥)

(١) أنظر: لسان العرب - ابن منظور - مادة عرض. (٢) الطراز - العلوى - ج١، ص ٣٨٠.

(٣) الانبياء: ٦٢، ٦٣.

(٤) آل عمران: ١٤٦.

(٥) القرآن والصورة تليانة ص ٢٩٤.

وفرق ابن الأثير بين الكناية والتعريض بقوله: (وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض، ولم يفرقوا بينهما، ولا حدوا كلا منهما بحد يفصله عن صاحبه بل أوردوا لهما أمثلة من النظم والنثر وأدخلوا أحدهما في الآخر، فنكروا للكناية أمثلة من التعريض، وللتعريض أمثلة من الكناية). (١)

وقد عرف التعريض بقوله: (هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي). (٢) ونلخص الفرق بينهما فيما يلي:

١ - أن الكناية تقع في المجاز، والتعريض ليس منه بشئ، لأنه يفهم من جهة السياق، لا علاقة له باللفظ في حقيقته ومجازه.

٢ - الكناية تقع في المفرد والمركب، بينما يختص التعريض بوقوعه في المركب فقط.

٣ - التعريض أخفى من الكناية، إذ أن دلالة الكناية تعرف عن طريق اللفظ، والتعريض يفهم عن طريق الإشارة. ومادل عليه اللفظ أوضح مما لا يدل عليه اللفظ. (٣)

ونختم القول بما قاله الثعالبي عن التعريض مبيناً بلاغته بقوله: العرب تستعمل التعريض في كلامها فتبلغ إرادتها بوجه أطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيون الرجل إذا كان يكاشف في كل وجه، ويقولون فلان لا يحسن التعريض إلا ثلباً، وقد جعله الله في خطبة النساء جائزة فقال: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾. (٤) ولم يجز التصريح. والتعريض في الخطبة أن يقول للمرأة: والله إنك لجميلة، وإنك لشابة، ولعل الله أن يرزقك بعلاً صالحاً. (٥)

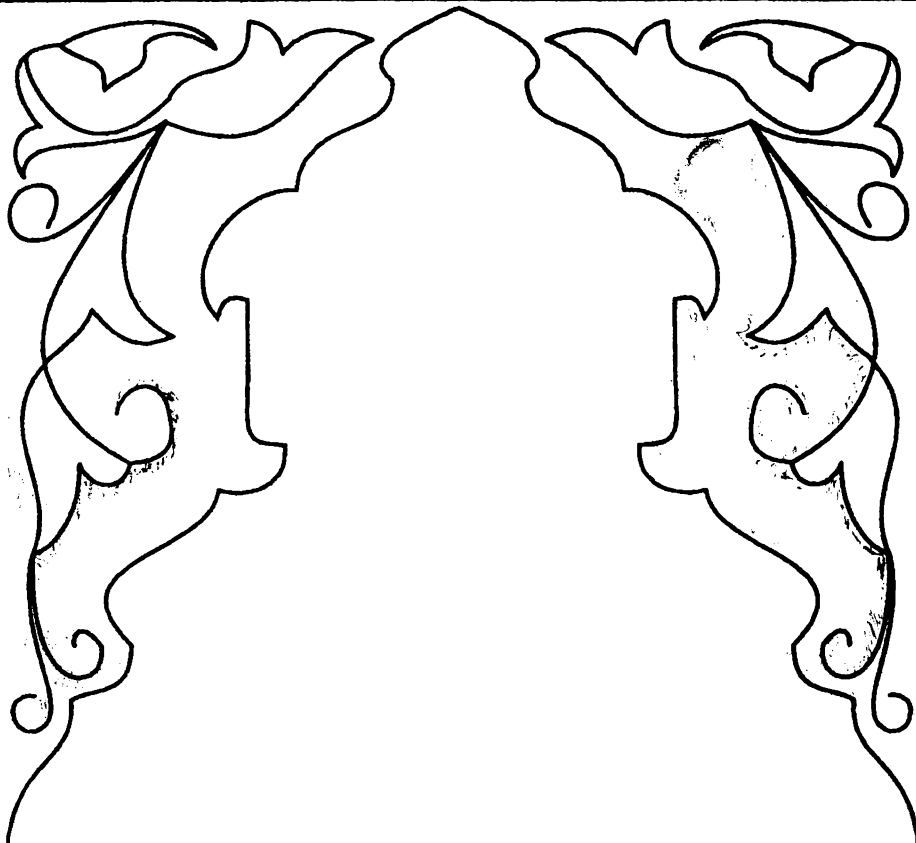
(١) المثل المنائر - ج٢ ص ١٩١. (٢) المرجع السابق - ج٢ ص

١٩٨

(٣) المثل المنائر - ج٢ ص ١٩٨. وانظر: اصول البيان العربي - ص ١١٨، وانظر: البيان في

ضوء اساليب القرآن ص ٢٧٨.

(٤) البقرة: ٢٣٥. (٥) النهاية في التعميض والكتابة - الثعالبي - ص ٤٥ - الطيمة المبرية المكية.



الباب الرابع

علم البديع

البيدع

البيدع في اللغة : هو الجديد الذي ينشأ على غير مثال سابق، وعند البلاغيين: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة.

ويعتبر مسلم بن الوليد أول من أطلق كلمة البيدع على هذا الفن، وهذا ما ذكره الأصفهاني في كتابه الأغاني إذ يقول : "فقد جاء مسلم بهذا الذي سماه الناس البيدع"^(١). ثم جاء ابن المعتز وجمع ألوانا بديعية متفرقة تقدر بحوالي سبعة عشر لونا، وصرح بذلك في قوله: وما جمع فنون البيدع أحد قبلي، ولا سبقني إليه مؤلف.

وقد جمع العلماء من الفنون البديعية الشيء الكثير حتى وصلت إلى خمسة وتسعين نوعا مرورا بقدامة بن جعفر، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق، وابن سنان الخفاجي الذي يرجع إليه فضل تقسيمها إلى معنوية ولفظية، فجعلها قسمين: قسم يتعلق بالألفاظ وآخر يتعلق بالمعاني^(٢) وكذلك ابن أبي الإصبع المصري، وأسامة بن منقذ.

وتتميز هذه الألوان البديعية التي جمعها هؤلاء العلماء أنها جمعت تحت لوائها فنونا من المعاني، وفنونا من البيان، وفنونا من البيدع إلى أن جاء صاحب المفتاح السكاكي، وقام بفصل هذه العلوم عن بعضها البعض، واستقرت علوم البلاغة على ما هي عليه عند الخطيب القزويني.

وقد قسم علماء البلاغة البيدع إلى قسمين :

قسم يرجع إلى المعنى، ويسمى بالمحسنات المعنوية.

وأخر يرجع إلى الألفاظ، ويسمى بالمحسنات اللفظية.

(١) انظر: الإغاني - لأبي فرج الأصفهاني، جـ ١٩، ص ٣١.

(٢) انظر: سر الفصاحة - لابن سنان الخفاجي، ص ١١٠ وما بعدها.

أولاً - المحسنات المعنوية

الطباق :

يسمى أيضا المطابقة والتضاد والتكافؤ .

والطباق في اللغة : الموافقة . يقال : طبقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد.

وفي الإصطلاح : الجمع بين المتضادين، أو الجمع بين الشيء وضده.
كالكليل والنهار، والحسن والقبح، والإحياء والإماتة.. ويكون هذا الجمع على صور متعددة :

- كالجمع بين الإسمين كقوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ (١).
- وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ (٢).
- وقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (٣).
- وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ (٤).
- وقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٥).

وكقول الشاعر :

- | | | | |
|-----|---------------|-----|----------------|
| (١) | الكهف : ١٨ . | (٢) | فاطر ١٩ - ٢٢ . |
| (٣) | ابراهيم : ١ | (٤) | الحديد : ٢ . |
| (٥) | البقرة : ١٦ . | | |

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب تحرك يقظان التراب ونائمه.
 طابق بين شرق ومغرب، ويقظان ونائم.
 وقول ابن عبدالحرث يصف الشيب :
 حتى كأن قديمه وحديثه ليل تلتف مدبرا بنهار.
 فطابق بين القديم والحديث، والليل والنهار.

أو فعلين : كقوله تعالى : ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾ (١).

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (٢).

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ (٣)

وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (إنكم لتكثرن عند الفزع وتقلون عند

الطمع)

ومنه قول الشاعر:

لئن إله بنى كليب إنهم لا يغدرون ولا يفون لجار
 يستيقظون إلى نهيق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار
 وقول أبي صخر:

أما والذي أضحك وأبكى والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
 وقول الآخر :

لقد ساعنى أن نلتنى بمساءة لقد سرنى أنى خطرت ببالك

(٢) النجم : ٤٣ ، ٤٤ .

(١) آل عمران : ٢٦ .

(٣) الشعراء : ٧٩ .

أو حرفين : كقوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢) .

ومنه قول الشاعر :

على أننى راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا

أو مختلفين : كقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَخْيَيْنَاهُ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٤) .

منه قول الشاعر :

لقد أحميا المكارم بعد موت وشاد بناءها بعد انهدام

فإنه فالتطابق إذا جاء بالفاظ الحقيقة فإنه يسمى بالمطابقة أو التطابق كما تقدم ذكره في معظم الشواهد السابقة.

وقد يأتي التطابق بالفاظ المجاز، ويسمى في هذه الحالة بالتكافؤ.

التطابق المجازي : كقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَخْيَيْنَاهُ ﴾ .

أى : ضالا فهدينا.

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ... ﴾ .

فإن اشتراء الضلالة وبيع الهدى مجاز ، لأنهما لا يباعان على سبيل الحقيقة.

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

(٤) الرعد : ٣٣ .

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٣) الأنعام : ١٢٢ .

الطباق الخفى أو المعنوى :

كقوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَاةِ وَتَدْعُونِنِي إِلَى النَّارِ ﴾ (١) .

فالنجاة بمعنى الجنة، والطباق بين معنى الأولى ولفظ الثانية (الجنة والنار).

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ (٢) .

والمعنى : ربنا يعلم إنا لصادقون ، فقد طباق بين الكذب وبين ما يتعلق بمقابله وهو : ﴿ إنا اليكم لمرسلون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣) . فالرحمة مسببة عن اللين الذى هو ضد الشدة.

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (٤) .

طابق بين (يشرح صدره) الذى هو بمعنى السعة، وبين (يجعل صدره ضيقاً) وقوله تعالى : ﴿ مِمَّا خَطَبْتُمْ أَهْلَهُمْ فَاغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَاراً ﴾ (٥) .

فقط طباق بين الإغراق وما يتعلق بالإحراق وهو دخول النار، إذ أن دخول النار يتسبب عنه الإحراق المقابل للإغراق.

(٢) يس : ١٥ ، ١٦ .

(٤) الأنعام : ١٢٥ .

(١) غافر : ٤١ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

(٥) نوح : ٢٥ .

طباق الإيجاب والسلب :

فطباق الإيجاب : أن يكون الجمع بين متضادين، مثبتين معا كما تقدم من الأمثلة أو منفيين معا كقوله تعالى : ﴿ تَمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (١) .
وطباق السلب: هو الجمع بين فعلى مصدر واحد، مثبت ومنفى، أو أمر ونهى.

كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ العُقى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ (٢) . فطباق بين (لايتخذوه) و (يتخذوه) أى بين منفى ومثبت.
 وكقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)
 طباق بين (يعلمون) و (لايعلمون).
 وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٤).

فالتباق بين (لايعلمون) و (يعلمون).
 وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ (٥).
 طباق بين الإنذار وعدمه.
 وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا ﴾ (٦) . فالجمع بين الأمر والنهى.

وقوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (٧) .

ومنه قول الشاعر :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولاينكرون القول حين نقول

(٢) الأعراف : ١٤٦ .

(٤) الروم : ٦ ، ٧ .

(٦) المائدة : ٤٤ .

(١) الأعلى : ١٣ .

(٣) الزمر : ٩ .

(٥) البقرة : ٦ .

(٧) المائدة : ١١٦ .

وقول امرء القيس :

جزعت ولم أجزع من البين مجزعا وعزيت قلبي بالكواعب مولعا
فطابق بين جزعت ولم أجزع، فالأول مثبت والثاني منفي.

وقول مسلم بن الوليد :

هي البدر يغميها تودد وجهها إلى كل من لاقت وإن لم تودد

وقول البحترى :

يقبض لى من حيث لا أعلم النوى ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم
وقول أبي الطيب :

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة ولقد جهلت وما جهلت خمولا

إيهام التضاد :

وهو أن يؤتى بلفظين يوهم في الظاهر أن بينهما تضاد، وهما خلاف ذلك لعدم وجود التضاد حقيقة بين المعنيين.

كقول دعبل :

لا تعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فالناظر في البيت يظن لأول وهلة أن بين الضحك والبكاء تضاد، لكنه خلاف ذلك، لأن الضحك بمعنى ظهور الشيب، وهذا المعنى لا يضاد البكاء.

وكقول الشاعر :

وقد أطفأوا شمس النهار وأوقدوا نجوم العوالى فى سماء عجاج

فالمراد بالإطفاء : إثارة الغبار حتى يغطى ضوء الشمس، والمراد بإيقاد النجوم: إشهار السيوف، وتشريع الرماح. وهذان المعنيان لا تقابل بينهما، ولكن التقابل بين المعنيين الحقيقيين لكل من الإطفاء والإيقاد فهو من قبيل إيهام التضاد^(١).

(١) انظر: علم البديع، د. بسيوني عبدالفتاح، ص ٢٢، ط ١ عام ١٩٨٧، مطبعة السعادة، مصر.

المقابلة :

وهي أن يذتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما على الترتيب.

كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾ (١) .

فالمقابلة في الآية بين المقطعين: (فليضحكوا قليلاً) و (وليبكوا كثيراً) فقابل

الضحك بالبكاء، والقليل بالكثير.

وكما هو واضح في الآية أنها بين كلمتين وكلمتين ، وهذا بخلاف

الطباق .

ثم روعى في المقابلة الترتيب بين المعانى المتقابلة، فالأول في المقطع الأول

يقابل الأول في المقطع الثاني ، والثانى في المقطع الثانى وهكذا. وعليه فإن الترتيب

يعتبر ركنا ركينا في المقابلة، إذ أنه بدونها لا تسمى مقابلة .

ومن مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ

لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ (٢) . فالمقابلة بين : تکرهوا وخير ، وبين

تحبوا وشر.

وقوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه،

ولا ينزع من شيء إلا شانه".

ومنه قول الشاعر :

جمع الحق لنا فى إمام قتل البخل وأحيا السماحا

فقابل بين : قتل البخل ، وأحيا السماحا .

وكقول الذبياني :

فتى تم فيه مايسر صديقه على أن فيه مايسوء الأعدايا

(١) البقرة : ٢١٦ .

(٢)

(١) التوبة : ٨٢ .

(٣) المائدة : ٥٤ .

فالمقابلة ماثلة في قوله : (يسر صديقه) ، و (يسوء الأعداء) .

وقول الشاعر :

فواعجبا؟ كيف اتفقنا؟ فناصر وفي، ومطوى على الغل غادر

فالغل ضد النصح ، والغدر ضد الوفاء .

ومقابلة ثلاثة بثلاثة :

كقوله تعالى : ﴿ وَيَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (١) .

فالمقابلة بين : يحل لهم الطيبات، وبين يحرم عليهم الخبائث .

وقوله تعالى : ﴿ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٢) .

فقابل بين : تأسوا وفرحوا، و(على) و(الباء) في بما، وفاتكم وآتاكم، فهي ثلاثة بثلاثة .

ومنه قول الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وقول أبي الطيب :

فلا الجود يفنى المال والجِدُّ مُقْبِلٌ ولا البخل يبقى المال والجد مدبر

ومقابلة أربعة بأربعة :

كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (٣) .

فقابل بين أعطى وبخل ، و اتقى واستغنى ، وصدق وكذب ، واليسرى

والعسرى .

الحديد : ٢٣ .

(٢)

(١) الأعراف : ١٥٧ .

(٣) الليل : ٦٥ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ .. ﴾ (١) .

ومنه قول جرير :

وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر منكم بشماليا

وكقول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

ومقابلة خمسة بخمسة :

كقول صفي الدين الحلبي (٢) :

كان الرضا بدنوى من خواطرهم فصار سخطى لبعدى عن جوارهم.
فالمقابلة بين كان وصار ، والرضا والسخط، والدنو والبعد، ومن وعن،
وخواطرهم وجوارهم.

وقول على رضى الله عنه لعثمان كرم الله وجهه: (إن الحق ثقيل مرئى،
والباطل خفيف وبيء، وأنت رجل إن صدقتك سخطت، وإن كذبتك رضيت). فقابل
الحق بالباطل، والثقيل المرئى بالخفيف الوبيء، والصدق بالكذب، والسخط بالرضا (٣).

ومقابلة ستة بستة :

كما فى قول عنتره :

على رأس عبد تاج عزيزينه وفى رجل حر قيد ذل يشينه.

المشاكلة: ﴿ حار مرهل مما تمة السبية ﴾ * الجاهلانام (ساعة - ساعة)

ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقياً أو تقديراً .

(١) النحل : ٩٠ .

(٢) شرح الكافية البديعية، ص ٧٥، صفي الدين الحلبي - تحقيق - د. نسيب فشاوى - مطبوعات مجمع

اللغة العربية، دمشق ١٩٨٣ .

(٣) انظر: فن البديع، د. عبدالقادر حسين، ص ٥٠، ط ١، دار الشروق ، عام ١٩٨٣ .

﴿ أَمَا التَّحْقِيقِيَّةُ : فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (١) .

والمعنى : فمن اعتدى عليكم فعقابوه على عدوانه بالمثل . فعبر عن العقاب بالإعتداء على سبيل المشاكلة التحقيقية التي ذكر فيها اللفظان .
ومثله قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (٢) .

أى : وجزاء سيئة عقوبة مثلها، فذكرت لفظة السيئة الثانية وهى العقوبة باسم السيئة الأولى وهى الذنب وذلك على سبيل المشاكلة التحقيقية. وفى هذا تنفير من عمل اقتراف السيئات؛ لأن الجزاء عليها سيكون شديدا ورادعا.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣) .

أى ويمكرون، ويدبر الله. والمعنى: أخذهم الله بمكرهم فيمد لهم فى طغيانهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وقوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (٤) .

والمراد : تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما عندك .

وقوله تعالى : ﴿ تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (٥) .

أى أهملهم . ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه فى صحبته على سبيل المشاكلة .

(٢) . الشورى : ٤٠ .

(٤) المائدة : ١١٦ .

(١) البقرة : ١٩٤ .

(٣) الأنفال : ٣٠ .

(٥) التوبة : ٦٧ .

ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون هو تطهير لهم، فأمر المسلمون أن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتكُمْ، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيركم. وجيء بلفظ الصبغة للمشكلة، وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ؛ لأن قرينة الحال والتي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر دلت على ذلك^(١).

— وسميت بالتقديرية لعدم ذكر اللفظ المشاكل للمذكور.

ومنه قول بعض العراقيين في قاضٍ شهد عنده بروية هلال الفطر فلم يقبل شهادته:

أَتَرَى الْقَاضِيَ أَعْمَى أَمْ تَرَاهُ يَتَعَامَى
سَرَقَ الْعِيدَ كَأَنَّ الْعِيدَ أَمْوَالُ الْيَتَامَى

فالعيد لا يسرق، ولكنه جعله مسروقاً لوقوعه في صحبة أموال اليتامى التي يتأتى سرقتها.

وقول أبي تمام:

مَنْ مَبْلَغُ أَفْنَاءِ يَعْزِبُ كُلِّهَا أُنَى بَنِيَتِ الْجَارِ قَبْلَ الْمَنْزَلِ

والجار لا يبنى، وإنما جعله مبنيًا لوقوعه في صحبة المنزل، والتقدير: إنى بنيت الجار قبل بناء المنزل.

التورية:

أن يكون للكلمة معنيان: قريب وبعيد، والمراد: البعيد.

كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾^(٢).

فكلمة (جرحتم) لها معنيان: قريب ظاهر، وهو إحداث جرح في الجسم، وبعيد مراد وهو ارتكاب الذنوب أو اقتراف المعاصي.

الأحكام: ٦٠.

(١)

الإيضاح: ٤٣٥.

(٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ... ﴾ (١).

فالتورية في كلمة (ربك) إذ المعنى القريب لها: الإله المعبود ، والبعيد وهو المراد : (الملك).

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى بدر عندما سئل: من أنتم؟ فقال : من ماء. فالمعنى القريب لها : اسم قبيلة عربية ، والبعيد الذي قصده صلى الله عليه وسلم : أصل خلق الإنسان .

ومثله قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الهجرة مع رسول الله عندما سئل عن الرسول صلى الله عليه وسلم: من هذا؟ فأجاب: هاد يهديني السبيل. فالمعنى القريب: هاد يهديني الطريق، والبعيد: هاد يهديني سبيل الخير.

ومنه قول سراج الدين الوراق :

أصون أديم وجهي عن أناس لقاء الموت عندهم الأديب.

ورب الشعر عندهم بغيض ولو وافى به لهم حبيب.

فكلمة (حبيب) لها معنيان: القريب وهو المحبوب، والبعيد وهو اسم أبي تمام (حبيب بن أوس الطائي) وهو المراد.

وقول الآخر:

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان

كان رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسى وأنت يمانى

فظاهر قوله (يمانى) أنه رجل منسوب إلى اليمن، وهذا المعنى القريب، ومراده البعيد الدلالة على السيف، لأن كلمة يمانى من أسمائه.

أقسام التورية :

وتنقسم التورية باعتبار الملائم إلى ثلاثة أقسام:

أولا - المرشحة :

وهي التي يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب (المورى به).

كقوله تعالى: {والسماء بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون}.

فاليد لها معنيان: القريب: وهو اليد الجارحة، والبعيد: وهو القوة أو القدرة. وقد

ذكر معها ما يلائم المعنى القريب وهو البناء، لأن البناء من لوازم الجارحة.

ومنه قول يحيى بن منصور:

فلما نأت عنا العشيرة كلها أنخنا فحالقنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريمة ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

فلفظ الجفون له معنيان: قريب وهو جفن العين، وبعيد وهو جفن السيف أي

غمده، وقد ذكر معها ما يلائم المعنى القريب وهو الإغضاء .

وكقول صاحب عطاء الملك في امرأة اسمها شجر:

يا حبذا شجر وطيب نسيمها لو أنها تسقى بماء واحد

فلفظة شجر لها معنيان: قريب وهو الشجر المعروف، وبعيد وهو اسم المرأة

التي تحدث عنها الشاعر. وقد ذكر معها السقيا وهي مما يلائم المعنى القريب.

ثانيا - المبينة :

وهي التي يذكر فيها لازم من لوازم المعنى البعيد (المورى عنه).

كقول الشاعر:

أرى ذنب السرحان في الأفق طالعا فهل يمكن أن الغزالة تطلع

فالسرحان : له معنيان : قريب وهو الذئب، وبعيد وهو ضوء الصباح، ونكسر معها ما يلائم المعنى البعيد وهو قوله (فى الأفق طالما).
وكذلك كلمة الغزاة ، فالمعنى القريب هو الحيوان المعروف ، والبعيد الشمس،
وقرن ما يلائم البعيد وهو قوله (تطلع).
وكقول ابن سناء الملك:

أما والله لولا خوف سخطك لهان على ما ألقى برهطك
ملكك الخافقين فتهدت عجباً وليس هما سوى قلبى وقرطك

فكلمة (الخافقين) لها معنيان : قريب وهو المشرق والمغرب ، وبعيد وهو قلبه وقرط محبوبته ، وقد ذكر معها ما يلائم المعنى البعيد وهو قوله (قلبى وقرطك).

ثالثاً - المجردة :

وهى التى لم يذكر معها لازم من لوازم المعنى القريب (المورى به) ولا لازم من لوازم المعنى البعيد (المورى عنه).

كقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١) .

فكلمة (استوى) لها معنيان : قريب ، وهو الاستقرار فى المكان، وبعيد ، وهو الاستيلاء والملك، ولم يذكر معها ما يلائم أياً من المعنيين.

وقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ (٢).

والشاهد فيه (جرحتم) ولهذا اللفظ معنيان :

القريب : وهو ما يصيب الجسم وربما يسيل منه الدماء.

والبعيد : وهو اقتراف الذنوب ، ولم يذكر فيها ما يلائم المعنى القريب ولا

البعيد.

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: من ماء.

وكذلك قول أبى بكر الصديق: هاد يهدينى السبيل.

وتكمن بلاغة التورية في (٣) :

- ١- أن المعنى البعيد المراد يبدو من خلف المعنى القريب غير المراد في صورة حسنة لطيفة.
- ٢- أن المخاطب يدرك في بادئ الأمر المعنى القريب لسرعة إدراكه له قبل البعيد، فإذا ماوقف على المعنى البعيد بعد ذلك وأدركه بالتأمل وإطالة النظر كان له وقع وأثره الحسن في النفوس.
- ٣- أنها تمكن المتكلم من أن يخفى المعانى التي يخشى التصريح بها فيورى عنها بمعان أخرى تفهم من لفظ التورية كما رأينا في إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه.

التجريد :

التجريد لغة : الانتزاع ، يقال : جردت السيف إذا نزعته من غمده ، وجردت فلانا إذا نزعته ثيابه.

وفى الاصطلاح : أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرا آخرامثله فى تلك الصفة مبالغة فى كمالها فيه.

كقولنا : لى من فلان صديق حميم.

أى : بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه أن ينتزع منه شخصا آخر مثله فى الصداقة، وذلك للدلالة على كمال الصفة فى فلان.

أقسام التجريد :

وللتجريد صور عدة، منها:

(١) ما يكون بمن التجريدية الداخلة على المنتزع منه.

مثل : لى من فلان صديق حميم. ولى من الكتاب صديق حميم.

(٣) علم البديع : د. بسيونى عبدالفتاح ، ص ٥٥.

وقول الشاعر :

لى منهم سيف إذا أجرده يوما ضربت به رقاب الأعصر

والشاهد فى قوله (منهم) إذ دخلت من التجريدية على المنتزع منه (هم) والمنتزع قوله (سيف) وهذا على سبيل المبالغة .

ومنه قول صفى الدين الحلى :

شوس ترى منهم فى كل معترك أسد العرين إذا حر الوطيس حما

(٢) ومنها : ما يكون بدخول الباء على المنتزع منه .

نحو قولهم : " لئن سألت فلانا لتسألن به البحر .

فقد بلغ المنتزع منه (فلان) مبلغا صح معه أن ينتزع منه بحر فى الكرم مبالغة فى اتصافه بهذه الصفة . وتسمى هذه الباء بالتجريدية .

وقول الشاعر :

دعوت كليباً دعوة فكأنما دعوت به ابن الطور أو هو أسرع

جرد من كليب أمرا آخر يسمى بابن الطور وهو صدى الصوت مبالغة فى كمال هذه الصفة فيه، وهى سرعة الإجابة.

ولو دققنا النظر فى الشاهد لوجدنا أن فيه تشبيها لفلان بالبحر ، وكان التجريد يلتقى مع التشبيه فى هذا القسم أو هذه الصورة .

(٣) ومنها : ما يكون بدخول باء المعية على المنتزع.

نحو قول الشاعر :

شوهاء تعدو بى إلى صارخ الوغى بمستلثم مثل الفئيق المرحل^(١)

(١) الشوهاء: وصف لفرسه، يعنى انها مشوهة تبيحة المنظر. الوغى: الحرب، صارخها : المستغيث بها أو بسببها، المستلثم: لابس الألة وهى الدرع. الفئيق المرحل: الفحل المكرم من الأبل الذى لايربط.

فقد جرد من نفسه نفساً أخرى تلبس لأمة أستعداداً للحرب مبالغة في اتصافه بالاستعداد، والمعنى: ورب فرس هذه صفتها تعدو بي لنجدة المستغيث فسي الحرب ومعى من نفسى آخر مستعد لهذه الحرب.

(٤) ومنها : ما يكون بدخول في على المنتزع منه.

كقوله تعالى: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ (١).

فقد انتزع من جهنم داراً أخرى وجعلها معدة لأجل الكفار تهويلاً لأمرها، ومبالغة في اتصافها بالشدّة. فإن جهنم بلغت في شدة العذاب مبلغاً صح معه أن ينتزع منها موصوف آخر متصف بتلك الصفة.

ومنه قول الشاعر :

أفاعيت بنو مروان ظلما دماغنا وفي الله إن لم يعدلوا حكم عدل

فجرد منه سبحانه وتعالى حكماً عدلاً وهو (هو) (٢).

(٥) ومنها : ما يكون بدون واسطة، وهذا يفهم من سياق الكلام.

كقول الشاعر :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

وأراد بالكريم نفسه، والتقدير : أو يموت منى كريم.

فكانه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه.

وفى البيت صورة من صور الالتفات وهي الانتقال من التكلم في قوله (فلئن بقيت) إلى الغيبة في قوله (أو يموت كريم) ، وكأن التجريد يلتقى مع الالتفات في هذه الصورة . وهذا مما يدل على أن هناك صلة وطيدة بين المعانى والبديع .

(١) فصلت : ٢٨ .

(٢) فن البديع : د. عبدالقادر حسين، ص ٨١ .

(٦) ومنها : ما يكون بطريق الكناية .
كقول الأعشى :

يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأسا بكف من بخلا

والتجريد فى هذا الشاهد تخريجه أن لكل منطوق مفهوم، فقوله: ولا يشرب كأسا بكف من بخلا، فإن مفهومه: أنه لا يشرب إلا من كف كريم، وكما هو معروف أن الإنسان لا يشرب إلا من كف يده، فيكون قصد بالكريم نفسه، فهو بهذا يكون قد انتزع من نفسه إنسانا كريما عن طريق الكناية .

وكان التجريد يلتقى مع الكناية فى هذه الصورة.

وكقول الآخر :

إن تلقنى لاترى غيرى بناظره تنسى السلاح وتعرف جبهة الأسد

فقد كنى بجبهة الأسد عن الأسد نفسه، فيكون قد جرد من نفسه أسدا للدلالة على كمال اتصافه بالشجاعة والقوة.

(٧) ومنها : ما يكون بطريق مخاطبة الإنسان نفسه.

كقول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

فانتزع من نفسه شخصا آخر يخاطبه، وهذا واضح من قوله: ودع هريرة، وهل تطيق وداعا أيها الرجل.

وقول المتنبى :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

بلاغة التجريد :

وتكمن بلاغة التجريد فى المبالغة التى يلقيها هذا الأسلوب على المنتزع منه حتى وصل إلى درجة أصبح يفرض بهذه الصفة على غيره. وهذا واضح من الشواهد

المذكورة. كما يؤدي التجريد إلى إثارة الخيال، وتنشيط الأذهان لما فيه من تصوير وتخيل وتنوع في الأساليب. فمرة يفيد المبالغة، وأخرى يفيد الالتفات، وثالثة يفيد الكناية، ورابعة يفيد التشبيه. وكان التجريد يشتمل على علوم البلاغة كلها معانيها وبيانها وبديعها.

وقد ذكر ابن الأثير فائدتين للتجريد :

الأولى : طلب التوسع في الكلام. فانه إذا كان ظاهره خطابا لغيرك، وباطنه خطابا لنفسك، فإن ذلك من باب التوسع.

والثانية : إن المتكلم يتمكن من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه، إذ يكون مخاطبا بها غيره فيكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عنه^(١).

اللف والنشر :

وهو في اصطلاح: ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى مايناسبه. فالأول اللف، والثاني النشر.

والمتعدد على جهة التفصيل نوعان :

الأول : ان يكون النشر على ترتيب اللف. وذلك بأن يكون الأول في النشر يعود على الأول في اللف، والثاني في النشر يعود على الثاني في اللف، والثالث على الثالث وهكذا....

كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (٢) .
فقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ يعود على قوله ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ .

(١) انظر: المثل السائر، ابن الأثير، ج ٢، ص ١٦٣. (٢) الضحى : ٦ - ١١.

وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ يعود على قوله ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ يعود على قوله ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ .
 وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (١) .

فقوله (لتسكنوا فيه) يعود على (الليل)، وقوله (ولتبتغوا من فضله) يعود على (النهار).

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ (٢) .

فاللوم يعود على البخل، محسورا يعود على الإسراف. وكان المعنى: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك فتقع ملوما، ولا تبسطها كل البسط فتقع محسورا.

ومنه قول بن حيوس:

فعل المدام، ولونها، ومذاقها في مقلتيه، ووجنتيه، وريقه.
 فمقلتيه تعود على فعل المدام، ووجنتيه إلى لونها، وريقه إلى مذاقها.

وكقول ابن الرومي :

أراؤكم، ووجوهكم، وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم .
 فيها معالم للهدى، ومصباح تجلو الدجى، والآخريات رجوم .

. فالنشر في البيت الثاني رتب ترتيب اللف في البيت الأول، فقوله (معالم للهدى) راجعة إلى الآراء، وقوله (مصباح) راجعة إلى الوجوه، وقوله (رجوم) راجعة إلى السيوف.

وفي البيت تشبيهه إذ أنه شبه الآراء بالمعالم، والوجوه بالمصباح، والسيوف بالرجوم، وعليه يكون بين اللف والنشر في هذا القسم، والتشبيه صلة وطيدة تربط بينهما.

ومثله قول امرئ القيس:

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرهَا الْعَنَابِ وَالْحَشْفِ الْبَالِي

فالنشر متعدد ومرتب ترتيب اللف في البيت، فقوله (العناب) راجع إلى (الرطب) و(الحشف البالي) راجع إلى (اليابس).

الثاني - أن يكون النشر على غير ترتيب اللف:

كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١)

فاللف ممثل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، والنشر في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ...﴾ و ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ...﴾. ونلاحظ أن النشر جاء على غير ترتيب اللف، فالأول فيه يعود على الثاني في اللف، والثاني في النشر يعود على الأول في اللف.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ (٢).

(١) آل عمران: ١٠٦، ١٠٧.

(٢)

آل عمران: ١٤٧، ١٤٨.

فقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ . دعاء جمعوا فيه بين أمرى الدنيا واخرة ، وهذا يمثل اللف . وقوله تعالى : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ إجابة للدعاء تمثل النشر، وقد جاءت على غير ترتيب اللف.

وقوله تعالى : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ (١) .

جعل ابتغاء الفضل للنهار، وعلم الحساب لليل، وهذا على خلاف الترتيب.

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢) .

فقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ تمثل اللف .

وقوله تعالى : ﴿ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ تمثل النشر .

والنشر فى هذه الآية كما نرى على غير ترتيب اللف . فـ (متى نصر الله) راجعة إلى الذين آمنوا، و﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ راجعة إلى الرسول.

ومنه قول الشاعر:

ولحظة ومحياه وقامته بدر الدجى وقضيب البان والراح

فبدر الدجى عائد على المحيا الذى هو الوجه، وقضيب البان عائد على القامة، والراح عائدة على اللحظ.

وأما اللف والنشر المجمع : فيكون اللف فيه مجملا يشتمل على عدد، والنشر يأتي مفصلا على حسب اللف.

كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ (١).

فاللف مجمل في قوله تعالى: (وقالوا)، والمعنى: وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى. فجاء النشر في الآية ف مفصلا على عدد اللف المجمع.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ... ﴾ (٢).

ذكر متعدد على جهة الإجمال ممثّل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ثم جاء بالنشر مفصلا في قوله تعالى : ﴿ أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾. وهذا يمثل الجزاء .

﴿ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن المرء بين يومين: يوم مضى أحصى فيه عمله فحتم عليه، ويم قد بقى لا يدري لعله لا يصل إليه ."

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل".

ومن ذلك قول القيس الأنديلسي (٣) :

لولا ثلاث هن والله مــــن أكبر أمانى فى الدنيا
حج لبيت الله أرجو به أن يقبل التوبة والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا إذا رويت أوسعت الورى ربا

(١) البقرة : ١١١ .

(٢)

المائدة : ٣٣ .

(٣) فن البديع : د. عبدالقادر حسين، ص ٧٤ .

وأهل ود اسأل الله أن يمتع بالبقية إلى القيا
 ماكنت أخشى الموت أننى بل لم أكن التذ بالمحيا
 وقد أجمل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أفصح من نطق بالضاد هذا
 المحسن المعنوى مفصلا ومجملا فى قوله :

إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث:

أما من شبهة فى الدين ارتكبوها،

أو شهوة للذة أثرها .

أو عصبية لحمية أعملوها .

فإذا لاحت لكم شبهة فاجلوهما باليقين .

وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزهد .

وإذا عنت لكم عصبية فادرأوها بالعفو .

ويعتبر هذا النوع وهو اللف والنشر المجمل شبيها بالتوشيع الذى هو: أن يؤتى
 فى عجز الكلام بمتنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر، وهو أحد أوجه
 الإطناب الممدوح والذى سبق وأن تحدثنا عنه فى باب الإيجاز والإطناب والمساواة فى
 علم المعانى.

تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وهو ضربان،

الأول - أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فى
 صفة الذم .

كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِمْ إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (١).

فقد جاء بصفة ذم منفية، ثم أعقبها بأداة استثناء لتوهم السامع أن ما سيأتي بعدها صفة ذم أخرى، فإذا جاءت صفة مدح تأكد المدح السابق.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ (٢).

فذكر صفة ذم منفية، وهى النقم، ثم تبعها بأداة استثناء لإيهام السامع أن ما سيأتي بعدها صفة ذم أخرى فجاء بصفة مدح فتأكد هذا المدح.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٣).

وكقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وكقول الشاعر:

ولا عيب فيهم سوى أن النزير بهم يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

وهذا دليل كرمهم، وحسن ضيافتهم.

وكقول الآخر:

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تعاب بنسيان الأحبة والوطن

والثانى - أن يثبت للشئ صفة مدح يعقبها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى.

كقول الشاعر:

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعدايا

(١) الواقعة : ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) البروج : ٨ .

(٣) المائدة : ٥٩ .

فيتوهم السامع بعد أداة الاستثناء التي اعقبت صفة مدح أنه سيذكر صفة ذم إلا أنه لما ذكر صفة مدح أخرى تأكد هذا المدح؛ لأنه مدح بعد مدح.

ومثله قول الشاعر:

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الدرغام لكنه الويل

وقول الشاعر:

وجوه كأزهار الرياض نضارة ولكنها يوم الهياج صخور

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: {أنا أفصح العرب بيد أنى من قریش".

فقد أثبت لنفسه عليه الصلاة والسلام صفة مدح وهي الفصاحة بعد صفة

مدح وهي كونه من قریش.

تأكيد الذم بما يشبه المدح :

وهو ضربان :

الأول : أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها. كقوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴾ (١) .

فذكر صفة مدح منفية وهي: ذوق البرد والشراب، ثم أعقبها بأداة استثناء، ثم

جاء بصفة ذم فتأكد الذم، لأن نفي المدح ذم. فكأنه ذم بعد ذم.

وقول الشاعر :

خلا من الفضل غير أنى أراه فى الحمق لايجارى

فقد نفى عنه الفضل، ثم تبعه بصفة ذم أخرى، وهي أنه لايجارى فى الحمق

وكقولهم: فلان لا علم له إلا أنه سىء الخلق.

والثانى : أن يثبت للشيء صفة ذم ثم يعقبها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى.

(١) النبأ : ٢٤، ٢٥.

كقولهم : فلان جاهل إلا أنه فاسق .

وكقول القائل :

لثيم الطباع سوى أنه جبان يهون عليه الهوان

وكقول الآخر :

هو الكلب إلا أن فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

أسلوب الحكيم :

وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقبه أو يتوقعه، إما بترك سؤاله الإجابة عن

سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد تنبيهها على أنه كان ينبغي له

أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ

وَالْحَجِّ ﴾ (١) .

فقد سأل الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم عن سبب تغير الهلال يبدو

صغيرا ثم يكبر ثم يعود صغيرا وهكذا فجاءت الإجابة عن سؤال آخر تبيين الحكمة من

تغير الهلال وهي: أنها مواقيت للناس والحج .

ومن هذا يتضح لنا أن سؤالهم عن قضية علمية لو أجابهم القرآن عنها فلن

تستوعبها عقولهم مما يؤدي إلى الريب والشك وعدم الوضوح، ولذلك أجابهم إجابة على

سؤال آخر تنبيهها لهم على أنهم يجب أن يسألوا هذا السؤال وهو بيان الحكمة من

وراء هذا التغيير .

وكقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ

فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ

اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

(١) البقرة : ١٨٩ .

(٢) البقرة : ٢١٥ .

فقد سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ما ينفقون، ولكن القرآن أجابهم عن سؤال آخر وهو : لمن ينبغي أن تكون النفقة، ومبينا طرق إنفاق المال تنبيها لهم على أن هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال عنهم.

وقيل لتاجر: كم رأس مالك؟ فقال : إني أمين، وثقة الناس بي عظيمة. مبينا للسائل أن الأمانة والثقة هي رأس المال الحقيقي الذي يجب أن يتمتع به كل تاجر. وكقول الشاعر:

قلت : ثقلت إذ أتيت مرارا قال : ثقلت كاهلي بالأيدى

قلت : طولت ، قال أوليت طولا قلت أبرمت ، قال : حبل ودادى

ففى البيت الأول يقول له : قد ثقلت عليك وحملتك المشقة بكثرة زيارتى لك، فيصرفه الشاعر عن رأيه فى أدب ويذهب عنه الحرج، وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر فيقول له : إنك ثقلت كاهلي بما أغدقت على من نعم.

وفى البيت الثانى يقول له : قد طولت إقامتى عندك، وأبرمتك إى جعلتك برما ملولا، فيرد الشاعر عليه مرة أخرى فى أدب ولطف، وينقل كلامه عن معناه فيقول له: إنك تطولت وأنعمت على، وأحكمت وقويت حبل ودادى(٢) .

(١) انظر علم البديع : د. عبدالعزيز عتيق، ص ١٧٧، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٨٤.

ثانيا - المحسنات اللفظية

الجناس :

هو تشابه الكلمتين في اللفظ، واختلافهما في المعنى. ويسميه البعض بالتجانس والتجنيس.

أقسام الجناس :

(١) الجناس التام :

وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف، وعددها، وهياتها، وترتيبها. وينقسم الجناس التام إلى ثلاثة أقسام :

الأول - التام المماثل :

وهو ما كان لفظاه من نوع واحد.

كأسمين : نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يِقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (٢).

فالجناس في الآية الأولى بين الساعة وساعة، فالأولى بمعنى: القيامة، والثانية بمعنى: الزمن المعروف، وهما اسمان.

وفي الآية الثانية: جمع بين الأبصار الأولى وهي بمعنى البصر والنظر، والأبصار الثانية وهي بمعنى العقل.

وكقول الشاعر:

عباس عباس إذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

النور : ٤٣.

(٢)

(١) الروم : ٥٥.

عباس والفضل والربيع الأولى أسماء أعلام وعباس الثانية من العبوس،
والفضل من التفضل من التفضل والزيادة، وربيع فصل الربيع.

وقول الآخر:

حديق الآجال آجال والهوى للمرء قتال

فالجناس بين آجال الأولى وهى جمع أجل وهو قطع البقر الوحشى، والثانية
جمع أجل والمراد به انتهاء الأعمار.

وكقول الشاعر:

معانيك شتى والعبارة واحد فطرفك مغتال وزندك مغتال

فمغتال الأولى بمعنى مهلك، والثانى بمعنى ممتلىء

وقول أبى تمام:

إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا صدور العوالي فى صدور الكتائب

فالصدور الأولى هى أعلى الرماح، والثانية بمعنى نحورها.

أو فعلين : كقول الشاعر :

قوم لو أنهم ارتاحوا لما قرضوا أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

فالجناس بين شعروا الأولى بمعنى أحسوا، والثانية بمعنى نظموا الشعر.

وكقول الآخر:

يا أخوتى مذ بانئت النجب وجب الفؤاد وكان لا يجب ما

فارقتم ببقيت بعركم هكذا كان الذى يجب

ف (يجب) الأولى من الخفقان ، والثانية بمعنى الوجوب .

الثانى - التام المستوفى :

وهو ما كان لفظاه من نوعين مختلفين.

كاسم وفعل : نحو قول الشاعر:

سميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل

فالجناس بين (يحيى) الأولى وهم اسم شخص، والثانية بمعنى يعيش وهي فعل.
وقول الشاعر :

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ونحن في حفر الأجداث أحيانا

فجانس بين (أحيانا) الأولى وهم اسم بمعنى بعض الأوقات ، والثانية وهي فعل ماض من الإحياء.
وقول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبدالله.

الثالث - التام المركب :

وهو على ثلاثة أنواع :

أ- المرفو : وهو أن تكون إحدى اللفظتين مركبة من كلمة وبعض كلمة.

كقول الشاعر :

لا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يحاكي الويل حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه

فالجناس بين كلمة (مصابه) في البيت الأول، والميم من مطعم وصابه. وهنا تشابهت الكلمتان لفظا لاختلافهما.

وقول الآخر :

بنيسابور سادات كرام ترى أحلامهم أحلام عاد

إذا بدأوا بعرف تمحوه وعادوا بعده أحلى معاد

فالجناس بين الميم في أحلام الأولى وعاد، وبين معاد الثانية .

وقول الآخر:

وكم لجباه الراغبين لديه من مجال سجود في مجالس جود

ب- المتشابه: وهو ما اتفق فيه الركنان لفظا وخطا.

كقول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذاهبةً فدعه فدولته ذاهبة

فالجnas بين الكلمتين (ذا) و (هبة) والكلمة الثانية (ذاهبة) فالأولى بمعنى

: صاحب عطاء، والثانية: بمعنى زائلة، واللفظتان تشابهتا في الخط واللفظ، لذلك كان متشابهاً.

وكقول الآخر:

عضنا الدهر بنا به ليت ما حل بنا به

وكقول الآخر:

ناظراه فيما جنى ناظراه أودعاني أمت بما أودعاني

ج - المفروق: ما تشابه ركناه لفظا لا خطا، وسمى مفروقا لافتراق الركنين في الخط.

كقول الشاعر:

كلكم قد أخذ الجام ولا جـام لنا

ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا

فالجnas بين الكلمتين (جام) و (لنا) بمعنى كأس لنا، وبين (جاملنا) من

المجاملة.

ومنه قول الشاعر:

وإن أقر على رق أنامله رق بالرق كتاب الأنام له

وقول الآخر:

مات الكرام وانقضوا ومضوا ولو مات في أثرهم تلك الكرامات

وخلفوني في قوم ذوى سلفه أبصروا طيف حنيف في الكرى ماتوا.

ومن خلال ماتقدم ذكره حول المرفو والمفروق فإنه يتضح لدينا أن المرفو يختلف عن المفروق إذ أنه بين كلمة وبعض كلمة لتجانس بها كلمة ثانية، أما المفروق فإنه يكون بين كلمة وكلمة أخرى لتجانس كلمة ثانية وإن اتفقا في اختلاف الخط بين الكلمات المتجانسة التي يختلف فيها مع الجنس المتشابه.

(٢) الجنس الناقص : وهو اختلاف اللفظين في عدد الحروف.

كقوله تعالى : ﴿ وَالْتَفَتُ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ (١) .

فالجnas بين (الساق) و (المساق) حيث زادت الثانية عن الأولى بحرف فى أول الكلمة.

وقد تكون الزيادة بحرف فى وسط الكلمة كقولهم: جدى جهدى.

وقد تكون الزيادة فى طرف الكلمة، كقول أبى تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

وقول البحتري:

لئن صدفت عنا فربت أنفس صواد إلى تلك الوجوه الصوادف

فالجnas الناقص بين الكلمتين (صواد) بمعنى العطش و (الصوادف) بمعنى المائلة المنصرفة.

ومثله قوله تعالى: ﴿ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (٢) .

ويسمى النوع الأخير - ما كان بزيادة حرف فى نهاية الكلمة - بالجnas المطرف.

وإن كانت الزيادة بأكثر من حرف فالجناس يكون مذيلا.

كقول الخنساء :

إن البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

وكقول حسان بن ثابت :

وكنا متى يغزو النبي قبيلة نصل حافتيه بالقنا والقنابل

(٣) الاختلاف فى أنواع الحروف : وهو على قسمين :

الأول - المضارع :

ويكون فيه الحرفان المختلفان متقاربين فى المخرج.

كقول الحريري: بينى وبينى كنى ليل دامس وطريق طامس.

فالجناس بين (دامس) و(طامس). فالحرفان المختلفان هما : الدال والطاء وقد

وقعا فى أول الكلمتين.

وقد يقع الحرفان المختلفان فى الوسط.

كقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ (٢).

وقد يقع الحرفان فى آخر الكلمة. كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الخيـل

مفقود بنواصبيها الخير إلى يوم القيامة".

الثانى - اللاحق :

ويكون فيه الحرفان مختلفين فى المخرج.

كقوله تعالى: ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾ (٣).

وقول الحريري : لا أعطى زمامى لمن يخفر زمامى.

(٢) القيامة : ٢٣.

(١) الأنعام : ٢٦.

(٣) الهمزة : ١.

والحرفان المختلفان وقعا في أول الكلمتين.

وقد يقعان في وسط الكلمتين:

كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (١).

وكقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (٢).

وقد يقع الحرفان في آخر الكلمتين:

كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ (٣).

(٤) جناس القلب: وهو اختلاف اللفظتين في ترتيب الحروف.

وهو نوعان: قلب كل. وهو كقولهم: حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه. فلو قرأنا كلمتي (فتح) و (حتف) لأعطت كل واحدة منهما لفظ الثانية.

وهذا كقول رشيد الدين الوطواط (٤):

حسامك فيه للأحباب فتح ورمحك فيه للأعداء حتف

وقلب البعض: كما جاء في الأثر: "اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا".

وقول أبي تمام:

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب.

وكقول بعض البلغاء: من يحرم يرحم، ومن يجرم يرحم.

وكقول عبدالله بن رواحة:

تحمله الناقة الأدماء معجرا بالبرد كالبرد جلى نوره الظلما

(٢) غافر: ٧٥.

(١) العاديات: ٨٤٧.

(٤) حدائق السحر في دقائق الشعر، رشيد الدين الوطواط ص

(٣) النساء: ٨٣.

(٥) الجنس المحرف : وهو اختلاف الكلمتين في هيئة الحروف.

كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَأَنْظِرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (١).

وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى".
وكقولهم : جبة البرد جنة البرد.

السجع :

فى اللغة : الكلام المقفى، أو موالة الكلام على روى واحد، ويجمع على أسجاع وأساجيع ، وهو مأخوذ من قولهم، سجعت الحمامة، وسجع الحمام هو هديله وترجيعة لصوته(٢).

وفى الاصطلاح : هو تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو حرفين متقاربين، أو حروف متقاربة.

ويشترط فى السجع حتى يكون حسنا توافر أربعة شروط وهى:

(١) أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة رنانة، لا غثة ولا باردة.

(٢) أن تكون التراكيب صافية وحسنة خالية من الغثاثة.

(٣) أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى، ولا يكون المعنى تابعا للفظ وإلا كان كظاهر مموه على باطن مشوه.

(٤) أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه اختها. فإذا كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه، لأن التطويل إنما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها(٣).

(١) الصافات : ٧٢، ٧٣.

(٢) انظر: لسان العرب مادة (سجع).

ويشترط بعض علماء البلاغة أن تكون إحدى السجعتين غير متنافرة مع

اختها^(١).

أنواع السجع :

الأول - المطرف : *أول سائر المثلث* : جمع ولكن يسرمة في قوله

وهو اتفاق الفواصل في الحروف، واختلافهما في الوزن.

كما في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾^(٢).

فـ (وقارا) و (أطوارا) اتفقتا في حرف الروي، واختلفتا في الوزن، فوزن وقارا على فعالا، وأطوارا على أفعالا.

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾^(٣).

وكقول أبي تمام :

تجلى به رشدى وأثرت به يدي وفاض به ثمدي وأورى به زندي

فرشدى ويدي، متفقان رويًا مختلفًا وزنا.

الثانى - المرصع : صقابلة كل لفظه من صمد اليوم أو قصرة السحر على

وهو اتفاق ألفاظ الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية. *بما كان على وزن*

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾^(٤).

فالأبرار والفجار اتفقتا وزنا وتقفية. *كقوله*

وكذلك اللفظتان : نعيم وجحيم .

ومكانة أم نعيم مستبراً

بجرائم الناس وما

(٣) انظر : المثل السائر، لابن الأثير، ج ١، ص ١٧٦ - ١٧٩.

(١) فن البديع: د. عبدالقادر حسين، ص ١٢٧. (٢) نوح: ١٣، ١٤.

(٣) النبأ: ٦، ٧. (٤) الإنفطار: ١٣، ١٤.

وقوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (١) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً".

ومنه قول الشاعر:

فيا يومها كم من مناف منافق ويا ليلها كم مواف موافق

وقول الشاعر:

وأفعلنا للراغبين كرامة وأموالنا للطالبيين نهاب

الثالث - المتوازي : أن يتخذه اللفظة الأضمة بما يقابلها من اللفظة

وهو ما اتفقت فيه الفقرتان وزنا وتقية.

كقوله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ (٢) .

لاتفاق مرفوعة ، وموضوعة وزنا وتقية.

وكقوله تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ (٣) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم إن أدراك بك في نحورهم وأعوذ بك

من شرورهم".

وقول الحريري في مقاماته : "أجاني حكم دهر قاسط إلى أن اتنجع أرض

واسط".

ومنه قول المتنبي :

فنحن في جدل والروم في وجل والبر في شغل والبحر في خجل (٤)

(٥) العاديات : ١ - ٥ .

(١) العاشية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) المرسلات : ١ ، ٢ .

(٢) العاشية : ١٣ ، ١٤ .

(٤) الجذل : الفرج ، والوجل : الخوف .

الرابع - المتوازن : ان يكون الوزن متساويًا في الوزن والوزن دون

وهو اتفاق الفاصلتين في الوزن دون التقفية.

كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا فَلَا

تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ (١) .

كلمة (أزا) و (عدا) اتفقتا وزنا، واختلفتا تقفية.

وقوله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ ﴾ (٢) .

وقول أبي تمام:

مها الوحش إلا أن هاتا أو انس قنا الحظ إلا أن تلك ذوابل.

تم بحمد الله وتوفيقه الانتهاء من تأليف هذا الكتاب يوم السبت الموافق

١٩٩٤/٨/٢٨ م.

فإن أصبنا فمن الله ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والحمد لله رب العالمين أولا

وأخرا. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, framing the central text.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم :

- ١- أساليب بلاغية - د. أحمد مطلوب - طبعة وكالة المطبوعات الكويتية - علم ١٩٨٠ .
- ٢- اسرار البلاغة - عبد القاهرة الجرجاني - مكتبة القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٧٦ .
- ٣- أسرار التكرار في لغة القرآن - د. محمد شيخون - مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٤- اسلوب الإنشآت - د. نزيه محمد فراج - الطبعة الأولى - ١٩٨٣ .
- ٥- اسلوب التغليب في القرآن - د. محمود عبدالعظيم صفا .
- ٦- الاشارات والتنبيهات - الجرجاني - تحقيق/د. عبدالقادر حسين - دار نهضة مصر بالقاهرة، عام ١٩٨١ .
- ٧- اصول البيان العربي - د. محمد حسين الصغير - الشؤون الثقافية العامة بالعراق .
- ٨- اعراب القرآن - الزجاج .
- ٩- الأغاني - ابو الفرج الأصفهاني - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٠- البحر المحيط - لابي حيان .
- ١١- البديع - ابن المعتز - تحقيق/ كراتشوفسكى - الطبعة الثالثة - ١٩٨٣ / دار المسطرة - بيروت .

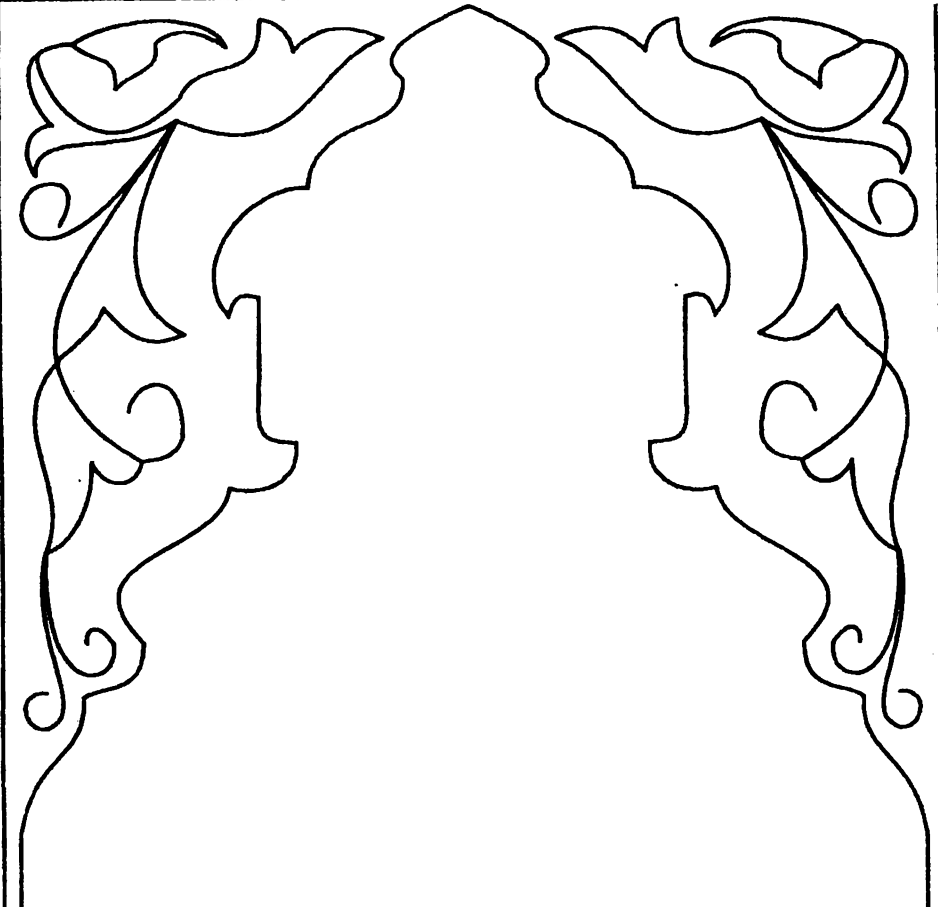
- ١٢- بديع القرآن - ابن ابى الأصبع - تحقيق/ حفنى محمد شرف - ١٩٥٧م.
- ١٣- البديع فى البديع - اسامة بن منقذ - تحقيق/ عبد أ. على مهنا - دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٧.
- ١٤- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن - ابن الزملىكانى - تحقيق د. احمد مطلوب ود. خديجة الحديثى، مطبعة العانى بغداد - ١٩٧٤م.
- ١٥- البرهان فى علوم القرآن - الزركشى، طبعة عيسى الحبى.
- ١٦- بغية الايضاح - د. عبدالمتعال الصعيدى - مكتبة الآداب ومطبعتها.
- ١٧- البلاغة العربية - د. أحمد مطلوب.
- ١٨- البلاغة العربية فى ثوبها الجديد - د. بكرى شيخ أمين - دار العلم للملايين - ١٩٨٢م.
- ١٩- البلاغة فنونها وأفنانها - د. فضل عباس - دار الفرقان - الأردن - ١٩٨٩م.
- ٢٠- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري - د. محمد أبو موسى - دار الفكر العربى.
- ٢١- بلاغة القرآن، فى آثار القاضى عبدالجبار - د. عبدالفتاح لاشين - دار الفكر العربى.
- ٢٢- البلاغة والتحليل الأدبى - د. احمد ابو حاقه - دار العلم للملايين - ١٩٩٣م.
- ٢٣- البيان فى ضوء اساليب القرآن - د. عبدالفتاح لاشين - دار المعارف - الطبعة الثانية - ١٩٨٢م.
- ٢٤- البيان والبديع - د. فضل عباس - دار الفرقان بالأردن - ١٩٨٧م.
- ٢٥- البيان والتبيين - الجاحظ - دار المعارف - القاهرة.
- ٢٦- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة - تحقيق/ د. السيد صقر - دار التراث - ١٩٧٣م.

- ٢٧- التفسير الكبير - الفخر الرازي.
- ٢٨- تفسير النيسابوري - الطبعة الأميرية.
- ٢٩- د. محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر.
- ٣٠- جواهر البلاغة - الهاشمي - دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٣١- حدائق السحر فى دقائق الشعر - رشيد الدين الوطواط.
- ٣٢- الخصائص - لابن جنى - دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٣٣- دلائل الاعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - تحقيق د. محمود شاكر - مكتبة الخانجي بالقاهرة - ١٩٨٤.
- ٣٤- روح المعاني - الألوسى.
- ٣٥- سر صناعة الاعراب - ابن جنى.
- ٣٦- سر الفصاحة - ابن سنان الخفاجى - تحقيق د. عبدالمتعال الصعيدي - مطبعة محمد على صبيح.
- ٣٧- شرح عقود الجمان - السيوطى.
- ٣٨- شرح الكافية البديعية - صفى الدين الحلى - تحقيق د. نسيب نشاوى - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق - ١٩٨٣م.
- ٣٩- شرح التلخيص - كمال الدين البابرتى - المنشأة العامة للنشر والتوزيع - طرابلس، تحقيق د. مصطفى صوفية.
- ٤٠- شروح التلخيص - التفتازانى - مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.
- ٤١- صحيح البخارى - ضبط وترقيم د. مصطفى البنا - دار القلم.
- ٤٢- صناعة الكتابة - د. رفيق عطوى - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٩.

- ٤٣- الصناعتين - ابو هلال العسكري - تحقيق محمد على البجاوى ومحمد ابو الفضل ابراهيم - مطبعة عيسى الحلبي - ١٩٧١م.
- ٤٤- الصورة بين البلاغة والنقد - د. احمد بسام ساعى - دار المنارة للطباعة والنشر - ١٩٨٤.
- ٤٥- الطراز - العلوى - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٤٦- عروس الأفراح - السبكي - طبعة عيسى الحلبي - القاهرة.
- ٤٧- العقد الفريد - ابن عبدربه الأندلسى - طبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة.
- ٤٨- علم البديع - د. بسيونى عبدالفتاح - مطبعة السعادة مصر.
- ٤٩- علم البديع - د. عبدالعزيز عتيق - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨٤م.
- ٥٠- علم البيان - د. بسيونى عبدالفتاح - مطبعة السعادة - مصر - ١٩٨٧م.
- ٥١- علم البيان - د. محمد هداره - دار العلوم العربية - بيروت - ١٩٨٩م.
- ٥٢- علم المعانى - د. درويش الجندى - نهضة مصر - الطبعة الثانية.
- ٥٣- علم المعانى - د. عبدالعزيز عتيق - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨٤م.
- ٥٤- العمدة - ابن رشيق - دار الكتبة العلمية.
- ٥٥- علوم البلاغة - المراغى - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٥٦- فتح القدير - الشوكانى - دار المعرفة - بيروت .
- ٥٧- فى النقد الأدبى - د. شوق ضيف - دار المعارف.
- ٥٨- فن البديع - د. عبدالقادر حسين - دار الشروق - ١٩٨٣م.
- ٥٩- فن البلاغة - د. عبدالقادر حسين - عالم الكتب - بيروت - ١٩٨٤م.
- ٦٠- القرآن والصورة البيانية - د. عبدالقادر حسين - دار المنار - القاهرة - ١٩٩٢م.

- ٦١- الكامل : المبرد - المطبعة التجارية - القاهرة ونسخة مكتبة المعارف ببيروت.
- ٦٢- الكتاب - لسبويه - الطبعة الأميرية.
- ٦٣- الكشف - الزمخشري - طبعة عيسى الحلبي.
- ٦٤- لسان العرب - ابن منظور - دار المعارف.
- ٦٥- المثل السائر - ابن الأثير - تحقيق د. احمد الحوفي - د. بدوي طبانة - دار نهضة مصر.
- ٦٦- مجاز القرآن - ابو عبيدة بن المثنى - عرضه وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين - مكتبة الخانجي بالقاهرة - عام ١٩٥٤.
- ٦٧- المحتسب - ابن جنى - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهرة.
- ٦٨- المحرر الوجيز - ابن عطية - مؤسسة دار العلوم - قطر - ١٩٨٢م.
- ٦٩- المطول - التفتازاني - ١٣٣٠هـ.
- ٧٠- المعانى فى ضوء اساليب القرآن - د. عبدالفتاح لاشين - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٨م.
- ٧١- معانى القرآن - الفراء - دار العلم للملايين.
- ٧٢- معترك الأقران - السيوطى - تحقيق / د. على البجاوى - دار الفكر العربى.
- ٧٣- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها - د. احمد مطلوب - مطبعة المجمع العلمى العراقى - ١٩٨٦م.
- ٧٤- مفتاح العلوم - السكاكى - تحقيق / نعيم زرزور - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٣م.
- ٧٥- المفصل - الزمخشري - ١٣٢٣هـ.
- ٧٦- المقتضب - المبرد - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

- ٧٧- من بلاغة القرآن - احمد بدوى - دار نهضة مصر - الفجالة - ١٩٨٧م.
- ٧٨- منهاج البلغاء وسراج الادباء - حازم القرطاجنى - تحقيق د. محمد الحبيب بن الخوجة - تونس - ١٩٦٦.
- ٧٩- الموازنة - الأمدى - دار المعارف.
- ٨٠- نحو بلاغة جديدة - د. عبدالمنعم خفاجى ود. عبدالعزيز شرف - مكتبة غريب القاهرة.
- ٨١- نقد الشعر - قدامة بن جعفر - تحقيق البروفيسور -س. أ. بون باكر - مطبعة بريل ليدن، ١٩٥٦م.
- ٨٢- نقد النثر - قدامة بن جعفر - تحقيق وتعليق د. طه حسين وعبدالحاميد العبادى، مطبعة لجنة التأليف والنشر - الطبعة الرابعة، ١٩٤٠.
- ٨٣- نهاية الأرب -النويرى - مطبوعات وزارة الثقافة.
- ٨٤- النهاية فى التعريض والكناية -الثعالبي -الطبعة الميرية المكية.
- ٨٥- الوساطة بين المتنبى وخصومه - القاضى الجرجانى - تحقيق محمد ابو، الفضل ابراهيم -مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة - ١٩٦٦.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns, framing the central text.

المتويات

المحتويات

رقم الصفحة

الموضوع

تقديم
المقدمة

الباب الأول - الفصاحة والبلاغة

١٣	أولا : الفصاحة
١٧	- فصاحة الكلمة
٢٠	- فصاحة الكلام
٢٣	- فصاحة المتكلم
٢٤	ثانيا : البلاغة

الباب الثاني - علم المعاني

٣٢	الخبر والإنشاء
٣٢	أولا : الخبر
٣٢	- أغراض الخبر الأصلية
٣٣	- الأغراض البلاغية للخبر
٣٦	- أضرب الخبر
٣٨	ثانيا : الإنشاء
٣٩	- الإنشاء غير الطلبي
٤٠	- الإنشاء الطلبي
٤٠	١- الأمر
٤٢	- الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر
٤٧	٢- النهي
٤٧	- الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي
٥١	٣- الاستفهام
٥١	- ما يفيد التصور والتصديق
٥٢	- ما يفيد التصديق
٥٢	- ما يفيد التصور

٥٥	✓ - الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام	
٦٧	٤ - التمني	
٦٨	- الفرق بين التمني والترجي	
٦٩	٥ - النداء	
٧٢	- التعريف والتكثير	✗
٧٩	- التكرار	
٧٩	- تكرار في اللفظ والمعنى	
٨١	- التكرار في المعنى	
٨٢	- الأغراض البلاغية للتكرار	
٨٥	- الاعتراض	
٨٧	✓ - التقديم والتأخير	
٨٧	✓ - الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير	
٩٤	خروج الكلام عن مقتضى الظاهر	
٩٤	أول - الالتفات	
٩٧	- فائدة الالتفات وأثره البلاغي	
٩٨	- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي	ثانيا
١٠١	- التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل	ثالثا
١٠٣	- وضع المفرد موضع المثنى	رابعا
١٠٣	- وضع المثنى موضع المفرد	خامسا
١٠٤	- وضع المفرد موضع الجمع	سادسا
١٠٦	- وضع الجمع موضع المفرد	سابعا
١٠٨	- وضع المثنى موضع الجمع	ثامنا
١٠٨	- وضع الجمع موضع المثنى	تاسعا
١١٠	- القلب	عاشرا
١١٣	- التغليب	الحادي عشر
١١٤	- أقسام التغليب	
١١٧	- القصر	
١١٧	- طرق القصر	
١٢٤	- أقسام القصر	
١٢٤	- القصر باعتبار الحقيقة والاضافة	
١٢٦	- القصر باعتبار الطرفين	
١٢٦	✓ - القصر باعتبار حال المخاطب	
١٢٨	✗ - الفصل والوصل	

١٣٠ مواضع الوصل
١٣٣ مواضع الفصل
١٤٠ الإيجاز والأطناب والمساواة
١٤٠ أولاً - الإيجاز
١٤٠ إيجاز الحذف
١٤١ إيجاز القصر
١٤٣ ثانياً - الأطناب
١٤٣ صور الأطناب
١٤٣ الإيضاح بعد الإمام
١٤٤ ذكر الخاص بعد العام
١٤٤ ذكر العام بعد الخاص
١٤٤ التكرار
١٤٥ التوسيع
١٤٥ الاعتراض
١٤٦ ثالثاً - المساواة

الباب الثالث - علم البيان

١٥٠ التشبيه
١٥١ أولاً - أركان التشبيه
١٥١ - التشبيه باعتبار الطرفين
١٥١ * تشبيه المحسوس بالمحسوس
١٥٤ * تشبيه المعقول بالمعقول
١٥٦ * تشبيه المحسوس بالمعقول
١٥٧ * تشبيه المعقول بالمحسوس
١٥٩ - التشبيه باعتبار الأفراد والتركيب والتعدد
١٥٩ * تشبيه مفرد بمفرد
١٦٠ * تشبيه المركب بالمركب
١٦١ * تشبيه المتعدد بالمتعدد
١٦١ - التشبيه الملفوف
١٦١ - التشبيه المفروق
١٦١ * تشبيه التسوية
١٦٢ * تشبيه الجمع
١٦٢ - أدوات التشبيه

١٦٥ أقسام التشبيه باعتبار الإداة
١٦٥ أولاً - التشبيه المرسل
١٦٦ ثانياً - التشبيه المؤكد
١٦٧ - التشبيه باعتبار وجه الشبه
١٦٨ - التشبيه المفرد والمركب والمتعدد
١٦٨ - وجه الشبه المفرد
١٦٨ - وجه الشبه المتعدد
١٦٩ - وجه الشبه المركب
١٧١ - الفرق بين وجه الشبه المتعدد والمركب
١٧٢ - وجه الشبه باعتبار الذكر والحذف
١٧٢ * الأول - التشبيه المفصل
١٧٣ * الثاني - التشبيه المجمل
١٧٤ - التشبيه باعتبار القرب والبعد
١٧٤ * الأول - التشبيه القرب
١٧٥ * الثاني - التشبيه البعد
١٧٥ - أسباب بعد التشبيه
١٧٥ * حثرة التفصيل
١٧٦ * حثرة حضور الشبه به في الطعن
١٧٧ أنواع التشبيه
١٧٧ أولاً - التشبيه البليغ
١٧٨ ثانياً - التشبيه الضمني
١٨٠ ثالثاً - التشبيه المقلوب
١٨٣ رابعاً - التشبيه التمثيلي
١٨٧ أعراض التشبيه
١٨٧ - الأعراض التي تعود إلى المشبه
١٩٤ - الأعراض التي تعود إلى المشبه به
١٩٤ - بلاغة التشبيه
١٩٨ ثانياً - المجاز
١٩٩ - أقسام المجاز
١٩٩ - المجاز العقلي
١٩٩ - علاقات المجاز العقلي
٢٠٣ - المجاز المرسل
٢٠٤ - علاقات المجاز المرسل

٢١٣	- الفرق بين المجاز المرسل والاستعارة
٢١٤	ثالثا - الاستعارة
٢١٦	- الاستعارة المكنية والتصريحية
٢٢١	- الاستعارة الاصلية والتبعية
٢٢٣	- الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة
٢٢٥	- اجراء الاستعارة
٢٢٦	- التشبيه البليغ والاستعارة
٢٢٩	رابعا - الكناية
٢٣١	- أقسام الكناية
٢٣١	الأول - الكناية عن صفة
٢٣٣	الثاني - الكناية عن موصوف
٢٣٥	الثالث - الكناية عن نسبة
٢٣٧	- بين الكناية والتعريض

الباب الرابع - علم البديع

٢٤٢	أولا - المحسنات المعنوية
٢٤٢	- الطباق
٢٤٢	- صور الطباق
٢٤٤	- الطباق المجازى
٢٤٥	- الطباق الخفى أو المعنوى
٢٤٦	- طباق الايجاب والسلب
٢٤٧	- ايهام التضاد
٢٤٨	- المقابلة
٢٥٠	- المشاكلة
٢٥٣	- التورية
٢٥٥	- أقسام التورية
٢٥٥	- المرشحة
٢٥٥	- الميينة
٢٥٦	- المجردة
٢٥٧	- التجريد
٢٥٧	- اقسام التجريد
٢٦٠	- بلاغة التجريد

٢٦١	اللف والنشر	-
٢٦٦	تأكيد المدح بما يشبه الذم	-
٢٦٨	تأكيد الذم بما يشبه المدح	-
٢٦٩	اسلوب الحكيم	-
٢٧١	ثانيا - المحسنات اللفظية	
٢٧١	الجناس	-
٢٧١	اقسام الجناس	-
٢٧١	الجناس التام	-
٢٧١	التام المماثل	-
٢٧٢	التام المستوفى	-
٢٧٣	التام المركب	-
٢٧٥	الجناس الناقص	-
٢٧٦	الاختلاف في أنواع الحروف	-
٢٧٦	المضارع	-
٢٧٦	اللاحق	-
٢٧٧	جناس القلب	-
٢٧٨	الجناس المحرف	-
٢٧٨	السجع	-
٢٧٩	انواع السجع	-
٢٧٩	المطرف	-
٢٧٩	المرصع	-
٢٨٠	المتوازي	-
٢٨١	المتوازن	-
٢٨٥	المصادر والمراجع	
٢٩٣	فهرس الموضوعات	